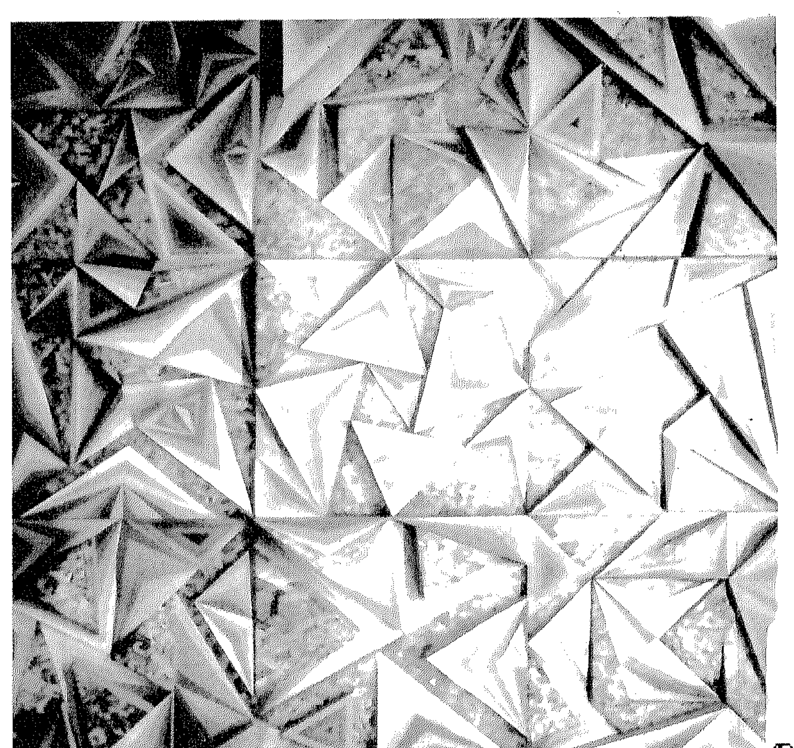
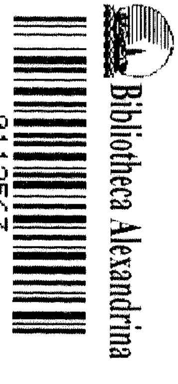
علي عبد الفتاح

أعلام في الأدب العالمي







أعلام فى الأدب العالمى

على عبد الفتاح

لوحة الغلاف للفنان : عبد الرحمن النشار

الطبعة العربية الأولى : يوليو ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٩٩/٧٣٤١

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-152-3



- مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الأراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

الجمع والصف الالكترونى
مركز الحضارة العربية
جرافيك : **د. يحيى عبد الظاهر**
تنفيــذ : شريــف عــلى

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

على عبد الفتاح

أعلام في الأدب العالمي





إهداء

إليكِ أنتِ ..

أهدي كتابي ..

ثمرة حبك ..

وسنبلة حنانك الجميل

لولاكِ ..

ماكتبتُ وما أبدعتُ ...

علي عبد الفتاح



مقدمة

في لحظة تتمزق روحي ...

تغيب شموس في بحر أحزاني ...

ويرحل قمر المساء في سحابات غائمة غامضة ... دون رؤى أو ظلال ...

ويتسلل قلبي يهفو إلى إشعاعات فجر جديد يشرق في روحي ...

وحين يغلبني اليأس .. وتهوى نجماتي من علٍ ... أفتح كتب الأدب وأسبح في آلام الشعراء والأدباء ... علني اكتشف ذاتي وألمس وجه الحياة الرقيق .

وهكذا أستغرق بوجداني وروحي مع شهب الإبداع العالمي ...

أجل عشت بهم ... أجل تأثرت بهم ... واحترقت في جحيم مآسيهم ...

وتمزقت وتناثرت كالأعشاب على بحيرة الدمع ...

فما أروع الموت بين صفحات يتوهج عليها الإبداع ...

وما أجمل الرحيل في صور الحب .. و الثورة .. والتمرد ...

« أعلام في الأدب العالمي »

عايشتهم تذوقت من نسائم حروفهم رائحة الفلُ ، وعذوبة المطر في ليل صحراوي طويل ، فإذا به حديقة غناء .. وحقول خضراء .

وأيضاضربتني عواصف هوجاء .. وأطاحت بأشرعتى قصائد غاضبة .. رافضة للفساد والانهيار والسقوط . وأنا دائما أعاني من تلك الحالات الوجدانية العنيفة التي تتلبسنى وأتقمصها حين أعيش مع شاعر أو أديب يثيرني ، ويذهلني .. ويصدمني بروائعه .

فإذا بروحي ترتعش على أوتار قلبي .. وعيوني تحتضن الضوء المنسكب من حروف الإبداع .. وتحتوي آهات المعاناة ونزيف الجراح .

وأحببت هؤلاء المبدعين جميعًا ... وعشقت القيم والمبادئ الجميلة التي ناضلوا من أجلها...

وكلما قرأتُ .. وشاهدتُ .. وتأثرتُ تمردتُ وانفعلتُ وثرتُ وانفتحت أمامي أبواب من المعرفة ... ومدائن من الدهشة ... وجزر من الحنين لم أسافر إليها من قبل .

هؤلاء «أعلام في الأدب العالمي» اضاءوا كياني وأثاروا ذكرياتي .. وارتقوا بأحلامي وسيرتهم الذاتية أرهفت إحساسي ، ورقرقت مشاعري ووجداني ..

ورغم ذلك ... كنت أتمزق وأتألم حين أتابعهم .. تنهشني أنياب الغربة .. والرحيل إلى ماوراء هذا العالم رغبة في اكتشاف ذاتي الغارقة في حلم بلا انتهاء .. وطموح بلا حد .. وارتجافة دمعة تنتفض حين تواجهني بشاعة الواقع .. وقسوته ...

ولذلك ألجأ إلى الحلم في حياة جديدة ، ناسها كأنهم ملائكة وأبطالها غاضبون ..رافضون لواقعهم .

ولكن الحلم وحده لا يكفي .. وهذا قدري ... أن يتصارع العالم أمامي وأدير له ظهري وأركض على ضفاف الحدائق الخضراء أبحث عن وردة ياسمين أهديها لامرأة أحببتها تحت عيون الشمس ..

وقد تعلمت من هؤلاء «الأعلام في الأدب العالمي» أن يمتد حبي وينمو ويصبح حرًا عميقًا يضم إليه المراكب الحائرة .. والنفوس الظامئة للحنان ، والعيون التائهة في الليل ... والدمعات المختفية تحت الأجفان ..

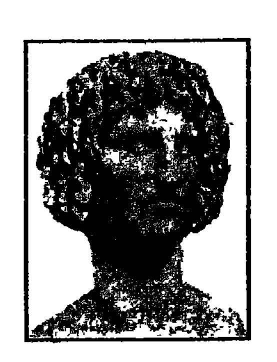
تعلمت منهم .. رغم انهيار مبادئ الإنسانية أن أكون إنسانا عاشقا للحياة وللحب والخير والجمال .

وكتابي هذا ليس إلا رحلة عشق .. هروبا من صور زائفة .. باهتة أمامي .. إلى حقيقة أخرى شفافة تسمو فوق الواقع والأشياء والكائنات .. حقيقة الأدب القادر على التغيير والرفض والثورة .

فما حياتي إلا وهم كبير ...

وحقيقة وجودي في بحر الأدب والمعاناة ...

علي عبد الفتاح



فيرجيل

(٧٠ - ٩١ ق.م)

فيرجيل شاعر البطولة والقصائد القصصية الطويلة في الأدب الروماني ، واسمه بالكامل «بوبليوس فرجيليوس مارو» وقد ولد في أسرة فقيرة بسيطة الحال ولعل هذا ما دفعه إلى الدراسة والثقافة والاطلاع على التراث الروماني القديم ، واقبل على دراسة كتب النحو والصرف والفلسفة والبلاغة ، وكذلك قراءة مؤلفات كبار أدباء عصره .

درس فيرجيل الأدب والرياضيات والطب وتأثر بأستاذه الفيلسوف سيرو الأبيقوري ، ودأب على حضور حلقاته الفكرية واقترب من فلاسفة و أدباء عصره ، وعاش يقرأ ويتأمل الحياة ويفكر في كتابة قصائد تعبر عن أحلام وطنه ووجدان قومه .

بدأ فيرجيل في كتابة القصائد الرعوية ، وهي نوع من الشعر يخلق جواً ريفيًا يكتب فيه الرعاة مجموعة مختلفة في الغزل والرثاء والوصف ، ويرجع الفضل إلى فيرجيل في كتابة القصائد الرعوية في الأدب الروماني، وإن كان قد بالغ في التصوير إلى حد التكلف والصنعة.

اشتهرت القصائد الرعوية التي كتبها فيرجيل باللاتينية كما كتبها من قبل في الأدب اليوناني الشاعر ثيوكريتوس ، وأصبح فيرجيل علما في الشعر واحتفى به الشعراء والأدباء في المنتديات الثقافية وحلقات النقاش والنقد الأدبي .

وتميزت القصائد الرعوية بالنغم الموسيقي البارع وتكرار بعض الأبيات لتعميق فكرة أو التركيز على قيمة وطنية وجمالية ، وكذلك استطاع فيرجيل أن يجسد عالم الرعاة ويطلق الأناشيد المرتبطة بالطبيعة والحلم والتغني بما يدور في عصره من قيم وأحاسيس ومشاعر وبذلك أوجد علاقة وثيقة بين حياة الرعاة والمجتمع الكبير الذي يعيشون فيه ، وتحولت هذه القصائد الرعوية إلى ملاحم طويلة أثارت الخيال بما ذكره من تطلع إلى الغيب وتشوق إلى

أرض المجد والعظمة التي أطلق عليها اسم "أركاديا" .

وقد تمعن فيرجيل في واقع روما فتألم لهذا الصراع القائم بين الناس على النفوذ والسلطة والمال فحاول أن يخفف من حدة المؤامرات بإيقاظ الحلم الجميل لدى هؤلاء الغارقين في نيران الحقد والغيرة والألم .

كتب فيرجيل أيضا الملحمة الزراعية التي تمجد العمل حيث كانت الفترة التي عاش فيها تُمنح الاراضي من الدولة إلى الأفراد مما أدي إلى تقاعس السكان عن العمل الجاد ، وهنا حاول فيرجيل أن يجعل قيمة العمل أقرب إلى العبادة والإصلاح الذي تأمر به الآلهة ليصبح الرجل مواطنا شريفا ، ويقبل على الأرض الزراعية ولايحتقر العمل فيها .

بعد الملاحم الرعوية والزراعية انطلق فيرجيل يحلم بنوع آخر من الملاحم ينفض فيها الغبار عن أمجاد وطنه وتراثه العريق ، ومن هنا جاءت فكرة ملحمة الإنيادة التى قامت على فكرة الحروب الطروادية والإيطالية والتقاليد الشهيرة لليونان . وتتألف الملحمة من حوالي عشرة آلاف بيت من الشعر نقل فيها فيرجيل أحداثا من ملحمة هوميروس في الإلياذة ومزجها بالتقاليد الرومانية والعادات الشائعة والقيم التراثية لبلاده .

وقد شاعت في ملحمة « الانيادة » مآثر أبطال طروادة الذين أسسوا الإمبراطورية ، الرومانية حيث البطولات والمآسي وما في نفوس البشر من شرور و آلام .

ورغم هذا الجهد الإبداعي الكبير داهم المرض فيرجيل فلم يتمكن من وضع نهاية لهذه الملحمة ، وقد حاول أن يكتب باقي نصوص هذه الملحمة ، ولكنه لم يستطع أن يواصل الكتابة. ورحل تاركا في تراث الأدب الروماني ثروة إبداعية مازالت مصدر إلهام للشعوب في أنحاء العالم .



كونفوشيوس

(٤٧٩ - ٥٥١ق.م)

كونفوشيوس أديب وفيلسوف صينيّ أسس مذهبًا أخلاقيًا يقوم على احترام الفرد لذاته وللمجتمع والتقاليد والتراث القديم ، ودعا في كتاباته إلى الفضيلة والأخلاق الرفيعة والسلوك القويم ، فالحياة ليست إلا محاولة للبحث عن الحكمة والارتقاء بالروح إلى عالم نورانيّ شفاف قادر على اختراق الظلمات ، وتجاوز النظم الجامدة والعقول الخاضعة لإغراء المادة والنفوس اللاهثة وراء المتع الزائلة .

واستطاع كونفوشيوس أن يؤسس مدرسة قوامها الأخلاقيات العالية والمبادئ الإنسانية والمثل الرفيعة ، والثقافة الجادة القادرة على تغيير المجتمع وتكوين عادات وأفكار جديدة تواكب العلوم والفنون والآداب والعقائد الدينية .

وبدأ كونفوشيوس في مدرسته الخاصة يعلم التلاميذ معنى الحكمة ، و يفسر وثائق التراث الديني ، ويستلهم من خلاله مواقف النفس الشجاعة التي لا تهاب شيئا في الدفاع عن الحق والعدل وعن حبها للسلام والجمال والسكينة .

شغل كونفوشيوس وظيفة في مجلس الدولة وأصبح رئيسا للوزراء ، ولكنه لم يكن قانعا بتلك المراكز المادية وشعر بأن ما في أفكاره ورسالته أكبر من ذلك وتخلّي عن كل شيء وأخذ يتجول في البلاد داعيا إلى الحب والقيم الأخلاقية ، ولكنه واجه العداء والحقد من الناس ولم يحقق نجاحا في دعوته إلى مبادئه العظيمة .

قام كونفوشيوس بتعليم وتربية أبناء الطبقة الأرستقراطية ، وظل يحاول أن ينال تأييدا من بعض الحكام لتطبيق تعاليمه والاعتراف بمدرسته ، إلا أن هؤلاء الحكام أيضا لم يكترثوا

لأهمية دوره أو رسالته التنويرية ، ولكنه ظل في مدرسته وبين تلاميذه في حلقات النقاش المعلم الأخلاقي الكبير والفيلسوف الصيني الذي لا يفوقه أديب أو عبقري آخر في هذا المجال.

دون كونفوشيوس أقواله وكلماته في عدة كتب رائعة هي : كتاب الشعر ، التاريخ ، التغيرات ، الطقوس وأخبار الربيع والخريف ، وكتاب المنتخبات .

وفي هذه الكتب دعوة إلى إصلاح النفس من الفساد ، والإصرار على السمو الأخلاقي والتحليق في عالم من نور ، والانطلاق داخل فضاءات من الخير و المحبة والوفاء .

وقد تقترب تعاليم كونفوشيوس من الفلسفة الأخلاقية التي تؤمن بالقيم الثلاث وهي : الخير والحب و الجمال ألا أنه أضاف إليها معني التضحية من أجل الآخرين والتعاطف مع البؤساء وإنكار الذات وإيثار الغير ، ودعا الحكام أيضا أن يجاهدوا من أجل هذه المبادئ .

وبذلك حاول كونفوشيوس أن يخلق من الإنسان قديسا أو رجلا خيّرا بطبعه يقف ضد الشرور ، ويقوم سلوكه على العقائد الدينية ، وإن من يتمثل بهذه الصفات يصبح هو الرجل الأعلى أو الإنسان الأرقى الذي تكاملت فيه شفافية الروح وطهارة النفس ورجاحة العقل وصلاح الشخصية .

وإذا قرأت بعضًا من منتخبات كونفوشيوس وجدتها أقرب إلى جوهر الأديان ورسالات الوعظ وآيات الحكمة ، يقول :

– يظل الإنسان تائها على وجه الأرض وحين تمس الحكمة شغاف قلبه ينبثق نور من داخله يهديه إلى طريق الخير .

– إن خدمة الله تبقى دون فائدة إذا أهمل المرء خدمة ذاته وخدمة الإنسان .

– الروح تحلق في الفضاء تبحث عن عالم آخر ناءٍ وتنظر من أعلى إلى الدنيا الفانية ، وتظل تحلق فوقها ولا تلمسها .

– البر بالوالدين ، واحترام تراث الأجداد من صفات المرء المؤمن بالفضيلة والخير والمحبة .

– العلاقة بين الأخ الكبير والصغير تقوم على المحبة والتعاطف والتآزر الوجداني حتى الموت .

ومع مرور السنوات بدأ أهل الصين ينظرون إلى كونفوشيوس نظرة قداسة وتعظيم حتى

إن البعض أطلق على فلسفته ومذهبه أنه رسالة دينية ، ورأى أنه قد أسس ديانة جديدة في الصين .

وفي الحقيقة خاف الحكام من تلك الظاهرة وأحرقوا كتبه وحذروا من انتشار أفكاره وتعاليمه ، ورغم ذلك أصبحت هذه الكتب تمثل أكبر نسبة من ثقافة الصين وتراثها بل أصبحت العقيدة الرسمية للدولة . وقد تفاقم الأمر بالأباطرة قبل ظهور المسيحية إلى تقديم الأضحيات على قبر كونفوشيوس .

وعندما ظهرت الماركسية تحولت النظرة عن كونفوشيوس ، واعتبر المعلم الذي علم عشرة آلاف جيل في الصين القديمة ، ويقال : إن فلسفة كونفوشيوس استمرت تحكم الصين حوالي عشرين قرنا من الزمان .



جيوفاني بوكاشيو

«١٣١٣- ١٣٧٥م»

رائد النثر الحديث في الأدب الإيطالي بما أضافه من كتابات عاصرت الحياة الاجتماعية بالنقد الساخر ، وتعرية الشخوص أمام ذاتها ، وكشف خيانة الأزواج ولاسيما المرأة ، ومواجهة الاضطراب الأخلاقي الذي ساد الحياة والفوضى التي انتشرت والقيم الغريبة المادية التي تفشت بين الأفراد .

وأصدر بوكاشيو مجموعة من الدراسات والمقالات والقصص ، من أهمها حكايات «ديكاميرون » التي تعتبر من أهم إبداعات تلك المرحلة ، فقد ساهمت في تطور القصة القصيرة في إيطاليا خلال تلك العصور الوسطى . وقد أعطت هذه القصص لبكاشيو أهمية ، كبيرة ومنحته فرصة ليصبح علما من اعلام الأدب في النثر الإيطالي .

احتوت قصص الديكاميرون على خبرة بوكاشيو وقراءاته الكثيرة في الآداب اليونانية والشرقية ، ويقال أنه تأثر بروايات ألف ليلة وليلة الشعبية التي تتميز بالطرافة ، وأنها قصة من داخل قصة فياضة بالمغامرات والمتعة الذهنية والمواقف الخفية .

وتبدأ قصص الديكاميرون من كارثة الطاعون الأسود الذي ساد إيطاليا عام ١٣٤٨ ، والقصص عبارة عن جماعة تتكون من سبع نساء وثلاثة رجال فكروا في الهرب من الطاعون إلى أحد القصور الريفية والاعتزال هناك خوفا من العدوى ، ولأنهم يجلسون طوال الوقت لا يدرون ما يفعلون قرروا أن يقوم كل واحد منهم بتأليف قصة تخفف عنهم احساسهم بالخوف والملل والكآبة ، ومن هنا جاء اسم القصص بالديكاميرون أي الأيام العشرة ، حيث يقضي الجميع عشرة أيام داخل القصر يستمعون إلى قصص بعضهم هربا من الرعب الذي يطاردهم، وبلغت القصص حوالي مائة تدور في إطار من المفاجآت والتشويق والخيال .

وفي هذه القصص طرح بوكاشيو فلسفته القائمة على السخرية من الأوضاع السياسية والاجتماعية ، حيث عبر عن سخطه على خيانة المرأة ، ويعتقد أن المرأة لا تعرف الوفاء إطلاقا فهي خائنة وغير قادرة على تأسيس حياة جميلة مع الرجل ؛ أما الرجل فهو الزوج المخدوع الذي لا يدري شيئا ويسقط في براثن المرأة عن سذاجة وطيبة قلب .

اهتم بوكاشيو بإصلاح أحوال المجتمع الذي عاش فيه رغم إيمانه في بداية حياته بمبدأ اللذة والاقبال على متع الحياة دون خشية الشرائع أو القوانين الأخلاقية ، ولكنه في نهاية حياته اجتاحته تجربة روحية خالصة فأنفق أيام عمره في الدعوة إلى الآداب الرفيعة والقيم العليا وكان يقوم بشرح « المهزلة الإلهية » لدانتي في ساحات الكنائس ، وكتب بوكاشيو الشعر في بداية حياته الأدبية حين التحق بالبلاط النابولي وعاش بين المفكرين والشعراء و الأدباء والفلاسفة وتأثر بهم ولاسيما دانتي وبترارك ، ويبدو أن حياة القصور رقرقت عواطفه وسبح في أجواء الخيال فكتب يقول في إحدى قصائده :

ثلاث فتيات صغيرات جلسن على ضفة نبع صافي الحياة

وكن يتبادلن أقاصيص الحب

فقالت إحداهن : تذكّرا يا صاحبتيّ

فبعد ساعة يأتي العشاق إلى هذا المكان

تري : هل سنجري هاربات ويعترينا الخوف ؟

فقالت الصديقتان : مجنونة تلك الفتاة التي تهرب من أسعد اللحظات .

وسجل بوكاشيو بملاحظاته في جوانب الحياة الإنسانية بداية الاتجاه الإنساني الذي بدأ يشق التيارات الأدبية ، فقد كان بارعا في تحليل أعماق النفس البشرية والتعبير عن أدق الخلجات والأحاسيس ، ولذلك ظل أدبه تراثا عالميا حتي اليوم .



جفري تشوسر

(١٣٤٠ - ١٤٠٠م)

رائد النهضة الأدبية في إنجلترا ، وباعث روح الحياة في اللغة السائدة التي ظلت تعاني من سيطرة اللاتينية ومفردات من الشعوب الجرمانية والنورماندية حين اتجه للكتابة بلغة أهل لندن .

اتصل تشوسر بالبلاط الملكي وعمل في الجيش ، واقترب من حياة الطبقة الوسطى ودعا إلى الحرية ، وعبر عن انفعالات الحب والحياة في أشعاره .

تأثر بالثقافة الفرنسية والإيطالية فقد سافر إلى بلاد كثيرة وعاد ليبدع أعماله الأدبية التي اعتبرت نواة الرواية الإنجليزية وهي حكايات « كنتربري » متأثرا فيها بالأديب الإيطالي بوكاشيو .

وحكايات « كنتربري » هي مجموعة قصص يرويها مجموعة من الحجاج في طريقهم إلى كنتربري وهم حوالي تسعة و عشرين فردا قد اجتمعوا في أحد الفنادق ويتم الاقتراح بأن يقوم كل فرد بتقديم قصتين في الذهاب والعودة ، وبذلك يمكن لرحلتهم أن تكون ممتعة . وهكذا كتب لنا تشوسر مجموعة من القصص الطريفة التي استمد بعضها من الواقع .

وترجم تشوسر مجموعة قصص شعرية عن الفرنسية ثم الإيطالية ، وصدرت في كتب ، من أشهرها ؛ (ترويلسي وكرسدا) ، لكن أدبه الحقيقي قد تجلي في الحكايات التي حقق فيها نبوغا لأنه رسم صور مجسدة لرحلة الانسان في الحياة وشقاءه مع المرأة والأنظمة السياسية .

وقد أعلن تشوسر في حكاياته وأدبه أن المرأة كائن مخادع وكل النساء قاسيات وليس لهن آمان ويقول :

أنتِ أيتها الساكنة في جوارحي ..

تتألقين .. ترتعشين .. تخفقين بالحب والأحاسيس .

وكل يوم قصة جديدة ..

وكل يوم رجل آخر ..

فلماذا أنتِ خائنة .. وتافهة ؟

لماذا أنتِ قاسية ؟

ورغم هذه الآراء إلا أنه قد عبر عن أحاسيس رقيقة في حبه للطبيعة ووصفه لقطرات المطر في شهر أبريل .

فرغم سخريته اللاذعة من المرأة إلا أنه تسرب كالنهر إلى عناصر الطبيعة في لغته البسيطة المحلقة ويقول :

قطرات المطر البريئة

تتدفق إلى الجذور .. تعانقها ..

تغسل كل غصن

تسري في الأزهار والسنابل ..

تورق الأشجار

وتضحك الأنسام اللطيفة في البستان

وتغرد الطيور ألحانها الجميلة

ويتشوق القلب إلى السفر ..

والرحيل في هذا العالم .

وقد قيل عن تشوسر أنه أبو الشعر الإنجليزي لأنه ترك تراثا من الأدب يعتبر ثروة إبداعية* وتراثا أدبيًا كبيرا تجلت على صفحاته صورة العصر وسماته .

إن أدب تشوسر لوحات صافية ومرايا مشرقة بروح الحياة والطبيعة وأنفاس ووجدان الأفراد في ذلك الزمن . حين تقرأ أدبه تقترب من تلقائيته وعفويته ، وتتأثر بالأحداث الخالية من

المبالغة أو الصنعة والتكلف .

كذلك تجلت روح الفروسية في أدب تشوسر ، وبرزت كتاباته عن أفكار جديدة كالحرية والإنسان والنضال من أجل القيم الرفيعة ، وقدم صوراً ساخرة من الطبقات الاجتماعية الهشة التفكير ، السلبية الموقف .

وقرأ الناس لأول مرة كتابات في لغة جديدة نابعة من أعماقهم ، ومعبرة عن وجدانهم ومعاناتهم وآلامهم ، وقد كانت اللغة قبل تشوسر معقدة وخليطًا من لغات أخرى كثيرة .

ولذلك ظهر أدب ركيك لا يعبر عن عصر ، ويخلو من الذوق الرفيع والحس المرهف ونبض الحياة .

وظل الأدب معزولا عن الجماهير لا يفهمه أحد حتي ظهر تشوسر وارتقى باللغة والصور العميقة والدلالات الثرية والخيال الخصب والألفاظ الجزلة فاستحق حقا أن يقال عنه . . . «أبو الشعر الإنجليزي الحديث »



إدموند سبنسر

(١٥٥٢ - ١٥٩٩م)

أدموند سبنسر شاعر إنجليزي يمثل عصر اليزابيث بما فيه من تسامح ديني ويقظة فكرية واتجاه إلى التراجم من اليونانية إلى الإنجليزية ، وبزوغ نجم إنجلترا بعد انتصارها على أعدائها ، وإتجاه المغامرين إلى رحلات الكشوف والبحث عن أرض وشعوب جديدة ، وبالطبع أرتقى الأدب وسمت الفنون وظهر الشعراء الأفذاذ ومنهم سبنسر .

أمضي فترة من حياته في أيرلندا في قصر كلكومان حيث عمل سكرتيرا للورد جراى وأتاحت له هذه الحياة الهادئة المنعزلة أن يقرأ في الأدب والتاريخ والفلسفة والدراسات الإنسانية وتكونت نظرته للحياة والناس وبزغت موهبته الشعرية وبدأ الكتابة .

أصدر مجموعات شعرية بالطبع متأثرة بالمناخ الذي عاش فيه ، حيث الضجر الذي يسود أيرلندا ، والطبيعة التي ترمي بظلالها وخضرتها على المساحات الكبيرة من الروابي والسهول والمزارع واستطاع أن يثري وجدانه بهذا الجمال حوله .

من أروع أعماله قصيدة (ملكة الجن) التي يرمز فيها إلى عصر الملكة إليزابيث ، ويمزج بين العاطفة والتاريخ والقيم الإنسانية وقد ظل ينظم هذه القصيدة عشرين عاما ، ولكنها لم تكتمل ، ورحل ومازالت بلا نهاية .

ويقول سبنسر عن تلك القصيدة : إن هدفي خلق أجيال تعشق الفضيلة وتعرف الأخلاق العالية والقيم الشريفة ، أود أن أرى الجيل الجديد على قدر كبير من النبل والشهامة والرجولة والشرف .

وقصيدة « ملكة الجن » عبارة عن قصة الملك آرثر الذي يعشق ملكة الجن ، وكلاهما مثل أعلى في الخلق القويم والأخلاق السامية ، وتقوم الملكة بإرسال عشرين فارسا من بلاطها يمثل كل منهم فضيلة من الفضائل لإصلاح أحوال الناس ، ونشر الموعظة والخوف من الله ، والدعوة إلى الخير والتسامح الديني .

وهذا هدف سبنسر من محتوى القصيدة التي أصبحت ملحمة طويلة في الفضائل والخير وهذه القصيدة هي التي جعلت لسبنسر شهرة كبيرة بين معاصريه ، وقد تأثر بها شعراء كثيرون مثل جون ملتون وكيتس وتومسون وأطلقوا على سبنسر لقب (الأب الروحي لهم)

وإذا كان سبنسر يولي اهتماما لقصائد الأخلاق والقيم فإنه أيضا وطني غيور على بلاده فخور بدورها الكبير وسيطرتها على البحار وريادتها بين الدول الكبرى ، وتجلت في قصائده هذه الملامح الوطنية دون مبالغة أو إسراف في الصور .

ولذلك عد بحق أبو الشعراء لما تمتاز به عبقريته الأدبية من صدق وقدرة عميقة على كشف عواطف النفوس وطموحات الأمة واليقين الديني الذي يلازمه دائما .

ومن قصائد سبنسر الشهيرة أيضا (أنشودة عرس) يقول فيها :

أيها النهر العذب تدفق برفق حتى أتم نشيدي

هناك فوق الموج على جانب النهر

رأيت سرابًا من الحور

كلهن من بنات هذا النهر الحسان

يتدلى من ورائهن شعر ذهبي منفوش

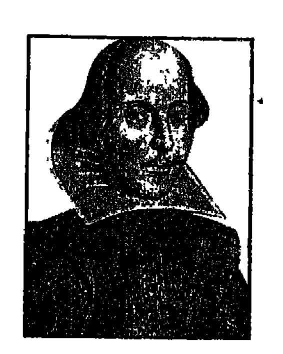
لأن كلا منهن في ذلك اليوم عروس

وكن يحملن سلال الصفصاف من رشيق الغصون

أيها النهر العذب

تدفق برفق حتى أتم نشيدي

في نهاية حياته فقد ابنه الوحيد حين هجم الأيرلنديون على قصر كلكومان وأحرقوا ما فيه، وانتابه حزن شديد، ورحل بعد وفاة ابنه بأيام قليلة .



وليم شكسبير

(١٥٦٤ - ١٦١٦م)

وليم شكسبير روح انجلترا ، وتراثها الساحر العميق . منبع العواطف الجياشة والانفعالات الوجدانية فى عنفها ورقتها . وجه الكائن البشري فى انسحاقه أمام الثروة والمال والسيطرة والنفوذ ، فيقتل ويقترف الجرائم دون وعى أو بيقظة ضمير . الخيانة والغدر . والغيرة وما يدور فى القصور والبلاط الملكى من صراع بين الفرسان من أجل الحب والبقاء . والأنانية والحقد والتميز والأمجاد الزائفة والأصيلة .

هذا الكاتب المدهش الذى أثرى الأدب العالمى واقتضى أثره فى كتاباته كثيراً من الأدباء الشعراء ليس فقط فى أوروبا وإنجلترا وأمريكا وإنما فى العالم العربى والغربى . إن إبداعه يتألق فى تصويره للبشر بغرائزهم وأحلامهم وأحزانهم ومسراتهم ، وطموحاتهم نحو فناء الآخرين من أجل انتصارهم وتفوقهم ، واستحواذهم على كل شيء فى الحياة . فجاءت مسرحياته لا ترتبط بزمان أو مكان ولا يحدها حدود أو بلاد أو أقاليم . لم يكن شكسبير يكتب عن عصره وانما كل العصور ، فأضاف إلى الآداب الإنسانية إبداعًا لا يخبو وميضه أو ينضب نبعه أو تنطفئ شموعه .

وإذا قرأت مسرحية «أوتلو» شاهدت كيف يتحول البطل الفارس النبيل إلى قاتل ووحش كاسر لأن الغيرة قد كسرت رقته ، وأطلقت ما فى خباياه من هدير المشاعر وقسوة الانفعال . لقد قتل زوجته التى يحبها لأن صديقه «اياغو» أوحى له بذلك . وبعد أن يقتلها يكتشف أنها بريئة ، فتكون تلك نهاية مأساوية لهذا البطل النبيل .

أما فى مسرحية «ماكبث» فتشاهد انفراط نسيج النفس الظامئة إلى القوة والسلطة والحكم حين يقوم البطل ماكبث بقتل الملك النائم بتحريض من زوجه ، ثم صديقه الأثير «بانكو» ، وتهدر العواطف فى النفس البشرية بعد أن تفجرت فيها الخشونة والطباع الفظة والكراهية والبدائية والجاهلية الحقيقية . لقد قاده طموحه إلى تأنيب الضمير وفقد راحة النفس

فأصبح مثل المجنون يتخيل من قتلهم ويراهم معه على مائدة الطعام. إنه الندم المؤلم والنهاية المفجعة.

أما مسرحية «هاملت» فهى الحيرة والتردد، وصراع الإنسان بين الإقدام والإحجام، أن يكون أو لا يكون . إن الأمير هاملت أدرك الحقيقة بأن أبيه قُتل على يد عمه ليتزوج أمه . وتعلو همسات النفس حتى تصل إلى صرخات تدوى فى القصر ، والأمير المنكوب يحدث نفسه حتى قيل أنه يهذى ومجنون وبلا قرار ، وتمزقه التناقضات فى هذه الحياة بين الخير والشر والرذيلة والفضيلة والحرب والسلام ، ويضرب بسيفه فى الهواء فلا يدرى إلى أين ؟ ومن يغتال؟ ومن يتهم ؟ ومسرحية «روميو وجوليت» مأساة عاطفية تنتهى بموت العاشقين بسبب نزاع عائلى لا يمثل قيمة فى موقف العاشقين . وإذا ذهبت إلى بلده «ستراتفورد» وزرت قبر هذا الكاتب المسرحى الكبير وجدت هذه الكلمات على قبره :

«قف يا صاح ناشدتك الله ألا تزيح عنى التراب .. بارك الله من يصون هذه الحجارة تمهل أيها العابر ، لم العجلة ؟ . إنه شكسبير زينة هذا الضريح .. لا تقدر بثمن .. لأنه فى كل ما كتب جعل من الفن الأصيل له عبداً » .

لقد تحول بيته متحفًا يزوره الناس من كل أنحاء الأرض ، ويقال بأن شكسبير قد أخذ أفكار مسرحياته من كتب التاريخ الإنجليزية القديمة وشيء من القصص الإيطالية ، وكذلك الحكايات الشعبية وبعض الكتب القديمة .

ومن أشعار شكسبير :

أنا أفنى ويفنى معى فني
أذهب ويلفني النسيان ..
وتبقى أنت
فى العيون التى نظرت إليك
والقلوب التى أحبتك
خذ أناملى بين كفيك
ترها انعقدت أو كادت
خذ يدى بين كفيك
ترها سالت أو كادت



دانيال ديفو

(١٦٦٠ - ١٧٣١م)

الأديب المغامر الخائف دومًا من الموت .. والفقر .. والضياع والجوع والتشرد فى عالم خلت روحه من الرحمة والحب والحنان .

دانيال ديفو عاش وفى أعماقه رغبة حادة لتأكيد ذاته فى مواجهة الاضطرابات .. والفوضى والجشع والحروب والفتن السياسية ولذلك قرر أن يظل باحثًا عن حقيقة ما فى خياله ربما قادته إلى ابتكار رؤى لا تغيب فى الأدب الإنجليزى والعالمى .

نشأ دانيال ديفو فى أسرة فقيرة ، فأبوه قصاب وأمه سيدة شعبية لم تنل حظًا من التعليم، وقد جزع فى طفولته حين شاهد حريقًا ضخمًا يلتهم البيوت والمزارع والأشجار ، ويقف أهل قريته بلا حيلة ولكنهم يقاومون .

وكذلك تفشى مرض الطاعون وسقط آلاف الضحايا وعجزت المستشفيات عن علاجهم . وظلت هذه الصور الكئيبة فى ذاكرته حتى عبر عنها فى روايته التاريخية «مذكرات سنة الطاعون» .

انغمس ديفو فى الحياة السياسية محاولاً إصلاح فساد المجتمع فكتب مقالات عن إنشاء الطرق وحرية المرأة ، وسخر من القوانين البريطانية الظالمة للأجانب ، وعمل فى التجارة ولكنه خسر أموالاً كثيرة وتعاطف مع حركة الثوار والمنبوذين والمضطهدين فى المجتمع .

وكانت هذه المقالات التى كتبها سببًا كافيًا لغضب الكنيسة عليه ووقوف رجال الدين ضده وأن تنهال عليه الاتهامات حتى سجن . وبعد السجن أسس صحيفة واصل فيها كتاباته النقدية الساخرة ونشر أيضًا بعضًا من رواياته ، وإليه يرجع الفضل إلى ما عرف بالأدب الصحفى .

وفى الخمسينات من عمره شعر بالملل وانتابته الكآبة وقرر أن يظل يبحث عن حقيقة غائبة عنه فاهتدى إلى العزلة فى أحد ضواحى لندن .

وخلال عزلته برقت في ذهنه فكرة أهم رواياته وهى «روبنسن كروزو» وقد استمدها من قصة واقعية قام بها الكسندر سلكيرك البحار الذى عاش أربعة أعوام وحيداً فى جزيرة «جوان فرناندیز». واستطاع ديفو أن يجعل من روايته فنًا رائعًا مشوقًا جعل الناس تفكر فى المغامرات والإبحار إلى جزر نائية مع الطبيعة . وقد استفاد ديفو من ثقافته وتجاربه وخبراته المتعددة الثرية فى نسج أحداث الرواية .

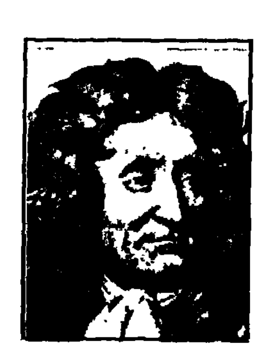
«روبنسن كروزو» رواية تحلل صراع الفرد مع قوى الطبيعة ، وكيف استطاع أن يتغلب على الصعاب من زلازل وعواصف وأمطار وبراكين ووحوش ضارية . وظل روبنسن فى هذه الجزيرة حوالى ثلاثين عامًا يشعر أنه البطل الفرد الذى هزم الطبيعة بفكره وقدرة احتماله . هذا ابن الطبقة المتوسطة قد حول الطبيعة إلى ينابيع يغرف منها ويفيد ذاته ويسجل مجد الفرد فى التاريخ ضد الغيب والأخطار وغرائب الحياة .

والرواية ذات خيال جامح ولكن ديفو جعل القارئ يعتقد أنها قد حدثت بالفعل ؛ فقد كانت القصص إلى عهد قريب من ديفو تروي المغامرات فى لغة متكلفة فيها الكثير من الصنعة وبعيدة عن تصور القارئ العادي .

أما ديفو فقد أضاف إلى روايته اللغة السهلة والصور المباشرة وبساطة الحبكة مع الخيال الثري والطبيعة الفاتنة وعشق المغامرة والبحث عن المجهول والاعتزاز بالفردية الذاتية وهذا جعل القارئ يتوهم بأن هذه الرواية قد وقعت حقًا .

وهناك مؤلفات أخرى كتبها ديفو هى :

الكونيل جاك ، ملك القراصنة ، ذكريات فارس ، تاريخ الشيطان ، كابتن سنجلتون ومول فلاندرز . ولكن عندما كتب رواية روبنسن كروزو قال : «لقد اهتديت إلى الحقيقة التى كنت أبحث عنها وهى بطولة الإنسان فى مواجهة الطبيعة وما وراء الطبيعة» .



جان دی لافونتين

(١٦٢١ - ١٦٩٥م)

ولد الشاعر الفرنسي لافونتين فی مقاطعة بريي على نهر المارن ، اتجه إلى القراءة وعشق الخيال وظل دائمًا يفكر فی حياة المغامرة واكتشاف معنى جديد يساهم فی تألق ذاكرته الإبداعية .

درس علم اللاهوت ، وحوارات أفلاطون ، والأبحاث الأخلاقية، وتعلم الإيطالية، وتأثر بأعمال فيرجيل وأوفيد ، وبدأ يميل إلى القصيدة الخرافية الخاصة بالرعاة .

أعجب لافونتين بحياة الخيال ، وتأثر بالجمال ، وقرر أن كل شيء ليس إلا مجرد خرافة . ويؤكد أن سعادة الناس تكمن فی هذه الخرافة ، ويقول :

- لا ينبع سر إسعاد الناس فقط من انسجام النص أو لذته وإنما من كونه خياليًا أو خرافيًا .

واهتم لافونتين بالحكايات الشعرية الخرافية ، وبحث عنها فی التراث الأدبی للشعوب وأضاف إليها ما يجعلها أكثر تشويقًا .

وقد رأى لافونتين أن الناس فی عصره تعشق حكايات الغرام والهزل ، وقد لا يقبلون على قراءة كتاب إذا لم يحتو على هذين العنصرين . ولذلك اتجه لافونتين إلى مزج حكاياته بالمواقف الغزلية والعابثة من خلال تجربة الخرافة الشعبية التی تثير وعی القارئ وتحفز ذكاءه للتفكير وتثري خياله ، وأصدر كتابًا بعنوان : "أعمال من النثر والشعر" وكذلك أصدر كتابه "حكايات لافونتين" الذی يشتمل على سرد فلسفی لأحوال الإنسان وظروفه النفسية مع سخرية حادة تذكرك بموقف أفلاطون النقدي من عصره . وتحتوي أيضًا على تحليل للعلاقات الإنسانية فی الحب والصداقة ، يقول للعشاق :

أيها العشاق السعداء .

كونوا لبعضكم البعض

عالمًا دائمًا جميلاً

دائمًا متنوعًا وجديدًا

فى قصائد لافونتين وصف للمشاعر الرقيقة والروحية ، والحسية الماجنة وإن كان يغلفهما نظرات فلسفية وأفكار جريئة .

وفى حكاياته على لسان الحيوانات ابتعد عن الأنظمة السياسية ، وندد بجنون الطموح ومنح الحيوانات القدرة على النقاش والجدال والمعرفة .

وقد عشق لافونتين مجموعة كبيرة من النساء وكتب عنهن وذكرهن فى قصائده . وفى الحقيقة ليس هناك ما يشير إلى أنه ارتبط بعاطفة قوية تجاه امرأة واحدة ، فقد عرف رئيسة الدير وأحبها ثم افترق عنها بعد أن وجه لها رسالة قاسية ، وعشق امرأة اسمها كلودين وأمضى معها فترة وقدمت له مجموعة من الأشعار كتبها لها زوجها الكهل وادّعت أنه من نظمها ، وعشق مدام سيفينيه التى وضعته بين الآلهة حين مدحت أعماله وكذلك مدام ڤوكيه والدوقة بوبون دماريان المرأة الغريبة الأطوار ، التى أخلصت له لأنه حماها من أعدائها .

وقد عبر عن نفسه تجاه هذه الغراميات بقوله :

- لقد أعطانى الله قلبًا قليل الرضا عن نفسه مضطربًا يركض وراء كل حب جديد قلبًا يرغب فى الإخلاص لكل حب جديد ، لكن دون أن يستمر هذا الإخلاص طويلاً .

تزوج من امرأة اسمها مارى هيريكارت فى السادسة عشرة من عمرها وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين، واكتشفا بعد الزواج أن هناك اختلافات كثيرة بينهما ولم يوفقا فى الحياة.

كان لافونتين يقول :

- أحب اللهو والحب والكتب والموسيقى ومطالعة الروايات الغرامية .

وقالت عنه : إنه يحلم ويفكر ويستغرق فى التفكير بحيث إن ثلاثة أسابيع تمر دون أن يحس بوجودى . وشعر باللامبالاة والفتور تجاه زوجته إلى حد أنهم قالوا له :

- إن هناك رجلاً ما يغازل امرأتك . فقال لهم بلا اكتراث :

- لن أقلق بهذا الخصوص ، لأنه لن يلبث أن يمل منها كما مللت أنا منها .

وأخيراً ... هجرته زوجته ولم تستطع أن تواصل الحياة معه ، وعاشت وحدها .

ظل لافونتين طائر الحب المحلق من غصن إلى غصن ومن شجرة إلى أخرى ومن أجمل قصائده :

أيها العشاق السعداء

هل ترغبون فى السفر

إلى ضفاف الأنهر القريبة ؟!

هل ترغبون فى أن تخلقوا عالمًا

دائمًا جميلاً ومختلفًا وجديداً

لقد أحببت أحبابًا

ولم أرغب فى أن أبدل حبى مقابل اللولؤ وكنوزه

مقابل السماء والقبة الزرقاء

مقابل الغابات وكل الأشجار

لأنى كنت أشعر بفخر

بخطوات حبيبتى

وكان نور عينيها ينير طريقى

لكن للأسف متى تعود هذه اللحظات

وفى قصيدة أخرى يقول :

ماذا فعلت لك أيها الحب ؟

قل لى ما هى جريمتى ؟

كيف يحدث أن أكون أنا دائمًا ضحيتك

من يجبرك على وضع قيود جديدة فى يدى

ألم تكتفى بالمحن التى عانيت منها ؟

تذكر أيها الظالم

كم من النساء الخاليات من الإنسانية

يتبجحن بأنهن أذقنني كافة عذاباتك

لقد أحببت وكنت سعيداً .

وكنت ظالمًا لي دائمًا .

وكتب إلى محبوبته كليمان يقول لها :

جعلتنى أيها الحب أرى كليمان

الجميلة الفائقة الجمال .

ولكنها تذرف الدمع لأتفه سبب

وأرادت أن تحبس قلبها فى قبر

كان فى إمكانها أن تحب ولكنها لم تعرف كيف تحبنى

لم يبق لى سوى هذا الاستشهاد الجديد

فهل تريدني أن أستشهد أيها الحب اللعين ؟!

فإن لم تكن راغبًا فى قتلى ستأخذ كليمان قلبى

قل لها ذلك أنت لأني أخشى أن أثير عنابها .

عندما أصبح لافونتين فى الأربعين من عمره عاش فى عزلة نفسية وفى أماكن هادئة بعيداً عن صخب المدينة . وفى تلك الفترة ارتبط مع أرملة الدوق أورليان بعلاقة حب بدأت عندما كانت تستقبله في صالونها الأدبى وكتب لها لافونتين أروع كلمات الحب حين سافر إلى إنجلترا ويقول لها :

أتذكر ذلك الصباح عندما

كنت أقرأ عليك أشعارى

كنتِ فى نفس الوقت تهتمين بما تسمعين وتراقبين شجار الحيوانات

اقترب لافونتين من الشخصيات السياسية البارزة فى الدولة وقدم حكاياته الشعرية إلى ابن الأمير ، لتعليمه الحكمة والفضيلة ، وأصبح بعد ذلك الشاعر الرسمى لبلاط الأمراء .

وساهمت علاقاته فى التعرف بكبار الشخصيات فى الدولة وكبار الأدباء والشعراء والنقاد ، وعشق امرأة أخرى هى مدام دى لاسابليار وارتبطت معه بعلاقة حب قوية ، ولكن سرعان ما حدث انفصال بينهما وانزوت مدام دى لاسابليار عن المجتمع واتجهت إلى العبادة والإحسان .

ووجه قصائده للحفلات الرسمية ومدح الملك وابنه وعشيقاته ، وعندما شعر لافونتين بالإرهاق كتب إلى أحد أصدقائه يقول :

يا صديقى العزيز ، الموت لا يعني شيئًا بالنسبة لي ، ولكن أرتجف عندما أفكر بأنى سأواجه الله، أنت تعرف كل تفاصيل حياتى الماجنة .

ورغم الشهرة والمجد الذى حققه لافونتين وعلاقاته المتعددة مع النساء إلا أنه كان يعاني من الوحدة واليأس أحيانًا وسيطرة اللذة الحسية على مشاعره ، يقول :

أيتها اللذة الحسية التي بدونها ومنذ طفولتنا

يتساوى الموت والحياة

أيًا من الجاذبية التى تمارسين علينا لكى نحب كما تحب الحيوانات

كل شئ يتحرك على الأرض

يتحرك لأجلك

لأجلك أنت نركض وراء العذاب

ليس هناك لا جندي ولا ضابط

ولا وزير في الدولة

لا أمير ولا مواطن عادي

لا يسعى وراء التمتع بك

أيتها الشهوة التى كانت

سيدة فى اليونان

وأخضعت لسطوتها

النابغين والفلاسفة

لا تبتعدي عني

تعالي واسكني فى داخلي

فسوف تجدين عملاً لك

أحب اللهو والكتب والموسيقى

والمدينة والريف

كل شيء يجذبني إليه

حتى الحزن بالذات

وحين ترحل عنه إحدى عشيقاته يصرخ كالطفل محاولاً الإبقاء عليها ؛ فالحب لديه ضرورة للنشاط الإبداعي . وضرورة للتغلب على القنوط واليأس والألم .

وهنا تكمن تجربة اللذة والألم لدى هذا الشاعر الذى عاش دائمًا فى عيون امرأة ما ويقول لها :

يا حبيبتى ألم تحبى أنت الحياة لتتركينى بقساوة دون وداع

افتحي عينيك واجعلي نفسك

أشد إحساسًا بآلامي .

انظري كم هى تعيسة حياتك .

لقد صرخت كثيراً وعاليًا

لأن ليلاً أبديًا

أجبرك على تركي

لا تفيد دموعى ولا تأوهاتي

فى منعك من الذهاب

بعيداً عني

وأخيراً انتهى إلى عشق العزلة ، يقول :

العظمة الحقيقية بالنسبة للفلاسفة هى السيطرة على النفس وأهوائها ، واللذة الحقيقية هى الشعور بالسعادة ولا توجد هذه السعادة إلا فى العزلة فقط .

وبدأ يشكو من داء المفاصل الذى منعه من السير .

وعندما بلغ الثانية والسبعين وقع فريسة مرض شديد ، وبدأ يشعر بالندم والأسف وقد قام بحرق بعض من أشعاره واعترف أمام وفد من الأكاديمية الفرنسية بذنوبه ، ووعد أعضاء الوفد بأنه إذا شفي من مرضه فسوف يستخدم قلمه فى كتابة أشعار جميلة تحث الناس على التقوى وبالفعل بعد أن شفى قليلاً بدأ يترجم الترانيم الدينية من اللغة اللاتينية إلى الفرنسية ولكن هذا لم يطل كثيراً ..

ففي ذات يوم عندما كان عائداً من مبنى الأكاديمية الفرنسية أصيب بدوار شديد ، وسقط على الأرض قرب قصر اللوڤر ، وأغمض عينيه إلى الأبد .



جون دريدن
(١٦٣١ - ١٧٠٠م)

جون دريدن شاعر البلاط الملكي الذى أعجب به الملك شارل الثانى وعطف عليه وقربه من الطبقات النبيلة ، وتزوج منها امرأة عاشت معه مواقف الإبداع والنضال من أجل عصر خال من الأزمات والمحن والمآسي .

يمثل دريدن تلك الفترة فى تاريخ إنجلترا التي تسمى بعودة الملكية وذلك بعد انتهاء عصر المطهرين ، حيث سيطر الجمود والتحفظ والعودة إلى الأفكار التقليدية والرجعية .

أما فى عصر عودة الملكية فقد ساد المذهب الواقعي فى محاولة جادة لتصوير واقع الحياة الاجتماعية والاضطراب الخلقي والانهيار السياسي فى البلاد ، فقد قام الملك شارل الثانى بإعطاء الوظائف الكبيرة للمنافقين وأشعل الصراع بين المذاهب الدينية ، ولم يكن يشعر بالولاء لوطنه وخرق معاهداته مع هولندا التى قامت بضرب لندن بالمدافع .

ولذلك كتب دريدن قصيدته الشهيرة «سنة العجائب» أشار فيها إلى الحرب مع هولندا ووجه النقد الحاد لأحوال البلاد ، ولكنه من جهة أخرى انساق فى مديحه إلى الملك فأصبح شاعر البلاط الوحيد الذي لا يشق له غبار فكتب للمسرح عدة أعمال تضمنت سخريته من حزب الأحرار الذين هاجموا الملك بعد أن أرسل زعميهم إلى المقصلة .

وازدهر المسرح بعد الحرب ، وكتب دريدن مسرحيات يمجد فيها البطولة ويدعو الأمة إلى التضحية والبحث عن البطل الذى يقودها إلى المجد والعظمة والتاريخ المضيء فى درب الحرية والتقدم . وقد مزج فى المسرح بين الملهاة والمأساة وصور حدة العواطف وأحزان الشعوب في مواجهة المحن والآلام وتعددت مسرحياته حتى بلغت الثلاثين .

غلبت على كتابات دريدن النظرة العلمية والروح الموضوعية ، ورغم مديحه للملك إلا أنه تخلى عن موقفه فى البلاط الملكى وطرح قضايا مصيرية وناقش هموم الشعب الإنجليزي

وأفاد من المنهج التاريخي والنفسي .

وفى الحقيقة شعر دريدن بالحيرة والألم من ظروف عصره الغريب ، ولم يكن يدرى هل يظل محافظًا على روح العصر اليزابيثي بما فيه من وطنية وخلق وابتكار وإغراق فى الخيال أم يظل مرتبطاً بعصر الملكية حيث صراع المذاهب والانتماء إلى الواقعية ؟ غير أنه يقول :

- أنني أحاول خلق أدب جديد يساند الإنسان .

ويقول فى أجمل قصائده «وليمة الإسكندر»:

عزف المغني على قيثارته ثانية

وعلت النغمات ثم علت

ألا فلتحطم يا مغنينا قيود النعاس

ولتقذف بها عنا بعيداً

وأيقظ زعيمنا بنغم كهزيم الرعد

جلجلة وقصفا وقصفا

أنصتوا أنصتوا ها هو ذا ينهض برأسه

وكأنه يصحو من الموت بعدما طرق النغم القوى مسمعيه

وإنه فى دهشه

ألا فلتنتقم فلتنتقم ولتثر روح الغضب

أما عن حياة دريدن فقد تألقت موهبته وهو يزال طالبًا وكتب شعراً غامضًا تسوده النزعة الميتافيزيقية ، غير أنه تحول إلى الرومانسية بعد ذلك وأفرط فى الخيال والأحلام وقرأ فى الأدب الانجليزي والفرنسي واليوناني وعشق الشعر والمسرح ، وتكاملت فى شخصيته السخرية من التناقضات حوله وشعوره بالمأساة والحزن للكوارث التي تجتاح إنجلترا .

كان دريدن يحلم أن يكون رائداً لأدب جديد ، غير أنه لم يوفق فى ذلك ورحل وترك وراءه مجموعة من الكتب والأشعار والمسرحيات ترمز إلى عصر كامل بما فيه من قلق واضطراب .

ومن أهم مؤلفات دريدن : مقال فى الشعر التمثيلي ومقدمة القصص الخرافي والأقدمون والمحدثون وثلاثون مسرحية شعرية .



جوناثان سويفت

(١٦٦٧ - ١٧٤٥م)

ينتمي الكاتب الساخر جوناثان سويفت إلى تلك الفترة التي عرفت في تاريخ الأدب الإنجليزي بالعصر الكلاسيكي الأول (١٧٠٠ - ١٧٤٠م) وكان من أعلامه ألكسندر بوب ودانيال ديفو وجوزف أدسن وريشارد ستيل وغيرهما . وقد غلب على هذا العصر روح التقليد والاتجاه إلى البحث عن المعرفة والتعبير عن روح الشعب ومعاناته ووجدانه .

اتجه سويفت إلى الدراسات الدينية واهتم بإصلاح أحوال المجتمع فهاجم المسيحية التي يتمثل بها قومه ، وكشف مواقف الساسة الكبار وتناقضهم حتى ثارت الكنيسة ضده والناس وادعوا أنه زنديق يجب أن يُعاقب . ويضحك سويفت ويقول :

- إني أقدم حياتي فداء إذا كانت هناك في كتاباتي فكرة واحدة ضد الدين أو الأخلاق والمثل العليا .

وجمع سويفت تلك المقالات وأصدرها في كتاب "حكاية برميل عام ١٧٠٤ وكان ينظر إلى كتابه هذا ويقول : "لقد كنت عبقريًا حقًا ونابغة حين كتبته "

وشاهد سويفت فقراء أيرلندا يتسولون في الشوارع والنساء قد جررن في أعقابهن ثلاثة أو أربعة أطفال يرتدون أسمالا بالية ويلحون في طلب الصدقة من كل عابر . ويثور سويفت ضد النظام والحكومة والأغنياء الذين يتمتعون بلذة الحياة ورغدها ، بينما فقراء أيرلندا يتضورون جوعًا فقام بإصدار فكرة تحت عنوان (اقتراح متواضع) سخر فيها من الأغنياء وقرر تقديم الأطفال إليهم كوجبة شهية . ويصرخ سويفت بأن هؤلاء الأغنياء ينهشون لحم الأطفال الفقراء.

وعندما شاهد سويفت أيرلندا تترنح تحت رياح الخلافات الحادة ويمزقها الجشع والطمع كتب

مقالاً حاداً هاجم فيه النواب فى البرلمان ونشره دون توقيع .

وثار النواب وقرروا إعطاء جائزة مالية لمن يكشف عن صاحب المقال .. ولكن سويفت لا يبالي ولا يهدأ بل يواصل رسالته لإصلاح عيوب المجتمع وإنقاذ شعبه من براثن الجوع والفقر والمرض .

وحين اختلف الأدباء والكتاب حول قضايا التجديد فى الأدب وغرقوا فى الصراعات والحروب شعر سويفت بالغضب لأنهم تخلوا عن قضايا بلادهم فقام بتوجيه اللعنات إليهم وصب حرائق غضبه عليهم ودعاهم إلى أدب صادق من أجل الجماهير .

ومن أهم مؤلفات سويفت الغاضبة الساخرة ما عرف باسم . "رحلات جلفر" والكتاب فى أربعة أجزاء يبدأ بموقف البطل جلفر فى بلادالأقزام ثم العمالقة ويذهب إلى جزيرة «لابوتا» حيث يصف نفاق العلماء وتفاهتهم وكيف يبددون الوقت فيما لا طائل منه ، وفي الجزء الرابع يصل جلفر إلى بلاد تحيا فيها مخلوقات مروعة بشعة غريبة يطلق عليها اسم (ياهوز) ويلاحظ أن كل ما يقوله عن ياهوز هى عيوب البشر فوق الأرض ويكشف نظام الحكم فى إنجلترا ومساوءه حين يقول ملك جزيرة العمالقة :

– أفهم من حديثك يا سيد جلفر ان الغالبية العظمى من مواطنيك جنس رهيب بشع يتكون من ديدان حقيرة تعتبر أشد خطراً وضرراً من كل ما يدب فوق الأرض ؟

وقد لاقت رحلات جلفر شهرة كبيرة ومن الغريب أنها عُدت روايات سياسية تنقد الأحوال الاجتماعية فى إنجلترا ، إلا أن هذه الأجزاء الأربعة قد أعجبت الأطفال وأصبحت من أروع قصص الأطفال حيث غلب عليها الخيال والمغامرة والمواقف الطريفة .

لقد عاش سويفت غاضبًا على مجتمعه ساخراً من أحوالهم داعيًا إلى مجتمع جديد خال من الفقر والأمراض والنفاق والأحقاد ، ولكنه فى نهاية حياته أصيب بالهذيان والجنون لفرط حساسيته ولأنه كان يحلم بالعدل فى مواجهة الظلم والحرية فى مواجهة الشر والقيود والسجون. ولكن من عجائب الأحوال أننا أصبحنا ننظر إلى سلسلة رحلات جلفر على أنها موضوعات للتسلية والضحك وليست أكثر من ذلك فى حين أنها كتابة غاضبة ساخطة على المجتمع الإنجليزى فى ذلك العصر الذى كتبت فيه .



ألكسندر بوب

(١٦٨٨ - ١٧٤٤م)

ألكسندر بوب شاعر القصيدة الذهنية والنظرة الساخرة إلى العالم ، وزعيم الحركة الكلاسيكية والنزعة العقلية التي ترى العالم من خلال المنطق والتناسق والنظم الإصلاحية .

فى شبابه كتب مقطوعات شعرية مستوحاة من الريف الإنجليزي وصف فيها جمال الطبيعة وعناصرها القائمة على دقة وإحكام وترابط وانسجام بين الطبيعة والإنسان .

واهتدى بوب فى أشعاره إلى فلسفة ترى أن معاناة البشر تكمن فى محاولتهم التمرد على واقعهم ورفض صور العالم المألوفة والبحث عن المطلق أو الكمال . فالشر فى الكائنات قد يكون ضروريًا ليسمح للخير بالتغلب عليه ومحاربته . ومشاعر الكبر والزهو والخيلاء التي تسيطر على الفرد قد تكون هى المبرر الوحيد لسقوطه وانهزامه ولذلك أطلق سخريته الحادة من واقعه المضطرب ، وبحث فى الإنسان عن ميوله وخصائصه التي تجعله منسجمًا مع الكون وليس نافذًا أو شاذًا .

وعبر عن تلك الفلسفة فى قصيدته «دنسياد» التى هاجم فيها النقاد حين أكدوا بأنه شاعر ضئيل لا يملك القدرة على التعمق فى الأشياء .

ولم يقف الشاعر بوب عند التعبير عن إحساسه فى شعره بل هاجم حياة الترف والأثرياء الباحثين عن غرائزهم الحسية واغتالوا الجمال فى الكون وخربوا الطبيعة بأفكارهم الهشة .

فى قصيدته الرائعة «الخصلة المخطوفة» يسخر من المرأة ولا يرى فيها سوى قطعة تغنى وتذروها الريح وتظل ذكراها فى القصيدة باقية ، فالشعر قادر على تخليد ذكرى المرأة بعد أن يطويها الفناء وما المرأة فى النهاية إلا ظلالاً وأوهامًا .

ويقول :

خففي عنك أيتها الجميلة الحسناء

ولاتبك على شعرك المخطوف ..

فإن عالم الكواكب يزيد به جمالاً وجلالاً

قل من الخصلات مما تفخر به رءوس الحسان

ما يستدعى الحسد كالخصلة التى فقدت .

ذلك أن صرعى عينيك زائلون

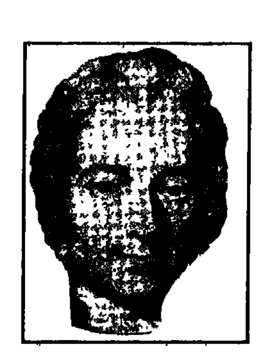
وأنت يا سيدتى فى فناء بعد ما تقتلين الألوف .

ولسوف يوارى كل تلك الخصلات التراب ولكن الشعر سوف

يرفع هذه الخصلة المخطوفة إلى سماء الشهرة المقدسة

ويسطر اسمك بين النجوم .

ومن أهم قصائد بوب الشعر الريفى «The postorals» وهى مقطوعات كتبها الشاعر فى السابعة عشرة من عمره وقسمها إلى فصول السنة ، وكتب بوب مقالات فى النقد وترجم شعر هومر ، بالإضافة إلى قصائده الطويلة .



فولتير

(١٦٩٤ - ١٧٧٨م)

المفكر الثوري الذي حرض الشعب الفرنسي ضد أهل الخزى الذين يضطهدون الأحرار ، هذا الأديب الذي دعا إلى نبذ التعصب وإلى الإيمان بالحب والتسامح ومناقشة آراء الغير فى حرية ونزاهة .

عاش فولتير يحارب الظلم فقد أعلن دفاعه عن الشاب الذي اتُّهم بتحطيم الصليب وحيازة المعجم الفلسفي (من مؤلفات فولتير) وكذلك لم يركع عند مرور موكب ديني .

وانتهت المحكمة بحرق الشاب مع المعجم الفلسفي عقابًا له . ولم يتوقف فولتير بل انطلق صوته غاضبًا على السلطة الغاشمة التي تطيح بأعناق الأبرياء دون ذنب اقترفوه .

ويحكى أن لصًا اقتحم منزله ليسرق رغيفًا من الخبز وركع اللص أمام فولتير ليسامحه ولكن فولتير ركع أمام اللص وجفف دموعه وقال له : لا تركع إلا لله وحده .

وأصبح فولتير مطارداً تتعقبه السلطة وتود أن تتخلص منه بأية طريقة ولكن ظل صوته يصيح بالعدل والتسامح والحرية والإخاء .

وفى تلك الأثناء تعرف على امرأة اسمها إميلى دو شاتله سمعت عن فولتير وعاش فى خيالها وأمضت فترة من عمرها تقرأ مؤلفاته وتتمنى أن تراه .

والتقت إميلى بالأديب الثائر واعترفت له بحبها ، وأعجب بها فولتير وقدم لها إحدى مؤلفاته وهى «الرسائل الإنجليزية» وهو الكتاب الذى يشيد فيه بالدستور الإنجليزي ، ويوجه نقده العنيف للحياة السياسية فى فرنسا .

وفى اليوم التالي أمرت السلطة بإحراق كتاب «الرسائل الإنجليزية» واعتقال فولتير. فلم

يجد الكاتب مكانًا يختبئ فيه سوى قصر السيدة إميلى دى شاتله القائم بعيداً عن المدينة .

عاش فولتير فى هذا القصر مع إميلى أجمل أيام حياته واستطاع فى هذا المناخ الهادئ الجميل أن يكتب كثيراً من قصصه وأشعاره وكذلك إميلى ، كتبت رواية «رسالة فى النار» وترجمت عن اللاتينية كتاب نيوتن وكتبت بحثًا فى السعادة وبحثًا آخر عن أهمية الثقافة للمرأة .

وكان العاشقان ينطلقان إلى الصيد بين الغابات وتضحك إميلى ، وهى تضم فولتير إليها وتقول : هل تصدق أن الشرطة تبحث عنك وأنت هنا فى قلبى .

وعندما سقطت التهم عن فولتير بدأ يرتاد الندوات والأمسيات مع إميلى ويقف يناقش قضايا الحرية ويجلس وتبتسم له فى صفاء ويرجع معها إلى القصر يمضي أمسيات حالمة .

وعاشت إميلى تحب فولتير حبًا عنيفًا وتغار عليه إلى الحد الذى رفضت أن يسافر إلى ألمانيا عندما دعاه فردريك وكتبت إلى الملك تؤكد له أنها لن تتخلى عن فولتير ولن يسافر إليه .

ورغم أن فولتير لم يتزوج إميلى فقد اعترف المجتمع الفرنسى بهذه العلاقة رغم دلائل الاستنكار والرفض التى كان يعبر عنها البعض عندما يراهما .

وذات يوم تخلت أميلى عن وقارها وحيائها وصادقت أحد الأمراء الشبان حتى فوجئت بأنها حامل ، فأسرعت إلى فولتير لينقذها من هذه الورطة .. ووقف معها يرعاها ويشرف على علاجها حتى أوشكت على ولادة الطفل وتعهد لها أن يرعاه .

وحينما وضعت إميلى طفلة بريئة جميلة تلقاها فولتير بين ذراعيه وقال : ما أجملك وأنت طاهرة بلا ذنب . وفجأة سمع أنين أميلى التى بدأت تتوجع فأخذ يواسيها ويذكرها بالأيام والذكريات الجميلة ولكن توفيت إميلى بحمى النفاس .. وتألم فولتير وحمل الطفلة البريئة وظلت معه طوال حياته واستمر فى كفاحه ونضاله الثورى .

وفى تلك الفترة الزمنية التى عاشها استطاع أن يؤلف نحو سبعين كتابًا فى التاريخ والأدب والسياسة والاجتماع والاقتصاد . وفى هذه الكتب أطلق صرخته التي اهتزت لها أفئدة الطغاة وزعزت كيانهم وهى : اسحقوا أهل الخزى .. ويقصد هؤلاء الذين يطاردون الأحرار ويضطهدون الشعب ويكبلونه بالأغلال ، إنها الحرية التى وهب لها فولتير دمه ويقول لها :

«أيتها الحرية الحمراء لك قلبي وفكري .. ودمائي تسقي شجرة الديمقراطية لشعبي العظيم .»

وحقًا لقد زرع فولتير شجرة الديمقراطية بين غابات الاستبداد والتعسف والقمع ، وكتب عن التعصب وضرورة نبذه للدخول فى عالم التسامح والمحبة واحترام الإنسان وكرامته ، وحمل كتابه «قبر التعصب» دعوته إلى هذا التسامح والاخاء فيقول :

«إن من يتلقى دينه بلا فحص ، يكون كالثور يتقبل النير بلا معارضة»

وفى كتابه «التسامح» يقول :

«لا يحتاج المرء إلى براعة فائقة أو فصاحة نادرة لكى يبرهن على ضرورة التسامح بين جميع الناس» ويقول أيضًا «يجب على الناس أن يتجنبوا التعصب لكى يحققوا التسامح» .

ظل فولتير عاشق الحرية وشهيدها الذى لا يهاب بطش المستبدين ، ووقف بجوار شعبه يناصره ضد الظلم وقد تبنى قضية الشاب الذي أدانته المحكمة ظلماً لأنه لم يركع عند مرور موكب ديني ولحيازته المعجم الفلسفى وهو من مؤلفات فولتير . ورغم ماحدث لهذا الشاب لم يتوقف فولتير عن إدانة القوانين الجائرة وكشف مساوئ .. النظام فى سقوط الأبرياء ..

وقضية أخرى شغلت فولتير حين صدر قانون عام ١٧٥٧م بإعدام المفكرين والمؤلفين الذين يكتبون ضد الدين أو ينتقدون الكنيسة ، وتوقفت بذلك الحركة الفكرية الثقافية وامتنع المؤلفون عن النشر والكتابة بحرية ، لم يتوقف فولتير عن الكتابة والنشر والنقد وإن كان بأسماء مستعارة إلا أنه حطم خرافة الاستبداد وأخذ يدعو إلى الحرية والتسامح .

حينما قامت الثورة الفرنسية انطلقت الجماهير الشعبية إلى سجن الباستيل الذي كان يسجن فيه الأبرياء بلا محاكمة وهدموا هذا السجن ، وعُرف بيوم (سقوط الباستيل) فهو معقل من معاقل الظلم والموت والقهر . وفى هذا السجن الرهيب حُكم على فولتير أن يحبس ويجلد بالسوط لأنه كتب قصيدة عن أحد النبلاء ينتقده ، فاستطاع هذا النبيل أن ينتقم منه .

وخرج من السجن لينفى إلى إنجلترا حيث كتب هناك إحدى روائعه وهى (رسائل فلسفية) التى دعا فيها إلى نشر التسامح الدينى ، وقد أعجب بالدستور الإنجليزى وتأثر بالعالم الرياضي «نيوتن» ودعا إلى الأخذ بقواعد الدستور الانجليزى عندما عاد إلى وطنه .

يعتبر «المعجم الفلسفى» من أهم مؤلفات فولتر فقد صادرته الحكومة الفرنسبة وأدانت مؤلفه بالكفر بل حكموا على فولتير بالموت ، ومن هنا اكتسب هذا الكتاب شهرة ولاسبما

حين حكمت المحكمة على الشاب بالحرق عندما اكتشف معه «المعجم الفلسفى» .

وكتب فولتير عن نفسه فى المعجم الفلسفي يقول :

«إني أجهل كيف تكونت وكيف ولدت وقد قضيت ربع حياتى وأنا أجهل تمامًا الأسباب لكل ما رأيت وسمعت وأحسست وكنت مجرد ببغاء تلقنني ببغاوات أخرى . ولما حاولت أن أتقدم فى الطريق الذي لا نهاية له لم أستطع أن أجد طريقًا معبداً ولا هدفًا معينًا فوثبت وثبة أتأمل الأبدية ، ولكنني سقطت فى هوة جهلي»

مؤلفات فولتير كثيرة نذكر منها : رسائل فلسفية ، نبذة عن الأخلاق ، القاموس الفلسفي، سيرة لويس الرابع عشر ، عقد التسامح ، كانديد ، حكايات ساخرة ، الساذج (رواية) .

وعندما اندلعت شرارة الثورة الفرنسية وأعلنت الحرية والإخاء والمساواة ، شعر فولتير أن بذور أفكاره التي غرسها فى عقول الشعب قد ترعرعت أشجارها وارتفعت أغصانها فى سماء الحرية .



صامويل جونسون
(١٧٠٩ - ١٧٨٤م)

صامويل جونسون الأديب الكلاسيكي الذي ظل مؤمنًا بأن الآثار الغابرة والإبداعات الماضية هى الرمز الحقيقي للأدب والدافع إلى الكتابة الجادة ، فقد ظل ينظر إلى أدب الأقدمين بإعجاب وخيلاء وجاءت أعماله تتأنق فى الصياغة والعمق فى التحليل الخلقي والنفسي والوضوح فى الأسلوب والالتزام بقضايا الواقع الذي اتسم بالنزاع السياسى والحروب والفتن والدسائس ورغبة الطبقات الشعبية المشاركة فى الحكم كل هذه الأفكار دفعت الأدب والأدباء إلى الارتباط بالواقع والحنين الدافق إلى الماضي الجميل .

صامويل جونسون ولد فى أسرة فقيرة كادحة فقد كان أبوه تاجراً للكتب فأتاح له هذا أن يتجه إلى القراءة بسهولة ، واكتشف فى الكتب ذاته التي تتألم كل يوم تحت سياط الذل والحرمان والألم .

وقرر صامويل جونسون أن يكافح ويصمد أمام ضربات القدر وعصف الزمن وعندما التحق بجامعة أكسفورد لم يستطع أن يواصل دراسته وترك الجامعة ليبحث عن عمل ، فاشتغل فى التدريس ثم الصحافة ، واهتم بترجمة الكتب الفرنسية وبدأت أحواله المادية فى تحسن ، فأحب إمرأة تكبره بعشرين عامًا وتزوجها واقتنع بحياته العاطفية ومضى يخطط لمستقبله الأدبى .

بعد ترجمة الكتب الفرنسية كتب صامويل جونسون مسرحية «أرين» وعدة كتب أخرى هى: حياة ريتشارد سافيدج ، وصديق شاعر مكافح ، وكتاب يحمل بعض المقالات التى نشرها فى الصحف . غير أن أهم عمل روائى صدر له بعنوان «راسلاس» ويقال أن هذه الرواية كتبها فى أسبوع واحد ليحصل من بيعها على نفقات جنازة أمه .

عرف الجمهور والأصدقاء والقراء شخصية الأديب صامويل جونسون بأنها ذات كبرياء

واعتزاز بالكرامة والإحساس المرهف والمشاعر الرقيقة والثقافة الواسعة ورجاحة العقل والاعتدال فى إصدار الأحكام والذاكرة القوية ، ويقولون عنه : إنه عذب الحديث .. طيب القلب مؤمن بقدرة الانسان على السمو والتحدي والنضال .

وظل جونسون يرفض طوال حياته النفاق والتملق للحصول على مكاسب فى الحياة ، فقد عاش يعانى الفقر فى بداية حياته حتى إنه لم يكن يجد مصباحًا فى بيته يضيء له ليقرأ أو يرى ما حوله ورفض اللجوء إلى أصحاب النفوذ أو السلطة لمساعدته .

دعا جونسون فى كتاباته إلى الاهتمام بالعلوم الحديثة والاطلاع على آداب الأمم الأخرى وقراءة تاريخ الشعوب . وأن قضية الكاتب ليس مجرد التعبير عن فكرة ما حتى وان كانت رائدة فى عصره ، وإنما أن يجعل القارئ العادي مؤمنًا بأهمية التغيير والإقبال على العلم والثقافة وصقل الشخصية بالقيم والأفكار النبيلة .

ويقول جونسون : **إن الحياة التي تمضي دون أثر للعلم أو الثقافة فيها كأنها لم تكن إطلاقًا، ولابد للإنسان أن يترك أثرًا كبيرًا خلفه يقود الأمة إلى الخير والصلاح والتقدم .**

وأصبح صامويل جونسون من أهم أعلام الأدب الإنجليزي بعد صدور هذه الكتب ، وكذلك تأسيسه مجلة أدبية هى «إيدلار» وانتشرت كذلك روايته «راسلاس» التى تتحدث عن الأمير عندما قرر أن يخرج من عزلته فى القصر ويمزج ذاته بحياة البسطاء ويرحل من مدينة إلى أخرى حتى يكتشف أنه لم يكن يعيش حياة أصيلة جديرة أن تُعاش حقًا .

وفى السيرة الذاتية للشعراء أصدر كتاب «حياة الشعراء» وهو كتاب نقدي يترجم مجموعة كبيرة من الشعراء المعاصرين ، وتحدث عن أهم القضايا التى شغلت عصره فى الشعر ويقول : **إن الشاعر لا يحصي أوراق الشجر ولا يصف الألوان ، وإنما يصور لنا من صور الطبيعة ما يذكرنا دائمًا بأروع ما فى الحياة من أحاسيس وقيم ومواقف .**



توماس جراى

(١٧١٦ - ١٧٧١م)

شاعر الحزن الساكن فى أوراق الخريف الجرداء .. وغناء الطبيعة الصامتة إلى حد البكاء ورنين أجراس الكنائس فى صباح يكسوه الضباب وتنتحب على شمسه طيور تهدمت أعشاشها.. ووقفت حائرة على غصن مكسور .

تلك صور فى قصائد توماس جراى تشعرك بالوحدة والعزلة وأن الحياة لا جدوى منها .. فالموت يتعقب الإنسان فى كل مكان ، وعلينا الاستسلام لأقدارنا والرياح التى تضربنا كل لحظه وتطفئ فى داخلنا توهج الأمل وانبعاث الشوق .

وحين يرسم لك الشاعر صورته الفنية ترى الفلاح فى الحقل يعمل فى صمت ، وخرير الماء وخشخشة أوراق الشجر .. وارتطامها بالأرض الخشنة . والقطعان تشق طريقها فوق الجبل ويقول :

هذا ناقوس الغروب يدق ينعى يومًا راحلاً

وهذه القطعان الغائبة تشق طريقها وئيدة فوق الجبل

وهذا الفلاح يتعثر فى مشيته متوداً صوب داره

ويهجر الدنيا لظلام ولى

والآن تتلألأ أمام النظر صورة الطبيعة ذات الوميض

ويستولى على الكون سكون عميق

هكذا تبدو القرية فى قصائد غارقة فى الكآبة فلا الآمل يبرق أو اشعاعات القلب تشق ركام الجراح والدموع وتضيء الذات .

لقد عاش توماس جراى متشائمًا لا يرى سوى العصفور المنكسر الجناح ، والنهر الآسن .. والمراكب المزقة الشراع ، والمرأة التى هجرها الحب وحطمتها السنون .

إن قضية التشاؤم ترجع إلى صديقه الذى فقده فى يوم ما ، وكان يحبه ويحمل له قدراً من الوفاء والذكريات الجميلة . وأصبح توماس جراى بعد محنة الموت يركض فى الظلام وينقش قصائده على أوراق الشجر الصفراء ويجلس وحيداً يرقب كل صباح حركة الناس فى الريف ولا يلمح بارقة أمل فالحزن والموت قد تملكا قلبه واعتصرا ذاته .

ورغم هذا التشاؤم نلمح احساسًا متدفقًا بالحياة وتطلعًا إلى لحظة من الفرح غائبة لأن المشاعر الانسانية فى محنتها يمكنها أن تترجم أصدق الانفعالات وتجسد المواقف الحزينة .

يقول عن صديقه الذى مات :

هناك يستقر فى حضن الأرض الرءوم

رأس فتى لم يعرفه الحظ السعيد

ولم يدركه بعد الذكر والصيت

كان وضيع المولد

فلم ينشر له العلم السمح جناحه

واصطفاه الحزن العميق

ويرتبط هذا التشاؤم بالإيمان العميق بما تأتى به الأقدار وإن الإنسان لا خيار له وأنه مجرد لعبة فى يد الريح لا يملك مصيره ، وإن علينا أن نلوذ بالصمت ونقدس الحزن . إن الحزن رؤيا إلى داخل الذات المفجوعة بالألم .

ويعتبر توماس جراى من شعراء المدرسة الرومانسية وقد درس فى كمبردج وطاف فى رحلات إلى القارة الأوروبية ودرس العلوم وأتقنها وقرأ فى التاريخ الطبيعى وتفقه فى الدين والسياسة والأخلاق .

ولكن سيطرت عليه نزعة تشاؤمية غريبة حتى إنه اشتهر بقصيدته" مرثية مكتوبة فى فناء كنيسة ريفية التى ذكرنا منها بعض النصوص .

ويعود هذا الحزن والتشاؤم أيضًا إلى انطواء الذات على نفسها واستغراق الشاعر فى فلسفة الحياة والموت .



ألفرد جولد سميث

(١٧٢٨ - ١٧٧٤م)

ألفرد جولد سميث شاعر غنائي كان يطوف فى الشوارع وبين الناس يعزف على مزماره وينشد لهم الأشعار التى سجلها من شفاه الشعب . فأحبته الجماهير ورددت هذه الأشعار ولكنه ظل فقيراً يمشي مشرداً ضائعًا ، وينام فى المراعي والحقول ويخفي بين طيات ثيابه ديواناً من الشعر أو كتابًا فى الأدب .

ويجلس وحيداً تحت الأشجار يقرأ وينسى العالم من حوله ، وإذا تعب افترش الأعشاب وأغمض عينيه على حلم جميل يراوده ، وعانق الغطاء والوحدة والعراء .

ولد ألفرد جولد سميث فى إحدى قرى أيرلندا وارتبط بعاطفة قوية مع قريته والناس البسطاء وعلاقاتهم القائمة على المحبة والتعاطف وانطلق ساعات طويلة بين الغدران والبحيرات وألوان الزهر ورائحة الياسمين يقرأ ويكتب ويتأمل ويحلم أن يصبح شاعراً كبيراً وأديبًا مشهوراً.

ورغم الفقر الذى تعاني منه أسرته بذل جهداً كبيراً فى تحصيل العلم والدراسة والتحق بجامعة دبلن ليدرس الطب .

ولكن بعد تخرجه لم يكن راضياً عن ذاته فى الطب وقرر أن يهجر هذه المهنة ليمارس الأدب ويحترفه ، فبدأ يكتب بعض المقالات فى الصحف ويرسل لهم بعض أغانيه الشعبية التى استلهمها من وجدان الناس وانفعالاتهم ومشاعرهم البسيطة الرقيقة .

اتجه ألفرد جولد سميث أيضًا إلى التاريخ وأصدر عدة كتب عن تاريخ إنجلترا وعن الحياة الاجتماعية والسياسية فى لندن ، كشف عن المساوئ التى لوثت السلوك الإنساني والظواهر السلبية والخلل فى العلاقات وانهيار المبادئ . ووجه نقداً عنيفًا لهؤلاء الذين يتخلون عن مواقفهم والتزامهم بقضايا الوطن .

وفى تلك الفترة نشر قصيدته «المسافر» التى حازت إعجاب الجمهور والنقاد لما احتوته من رؤية فلسفية عن رحلة إلى جبال الألب يقوم بها رجل يتأمل الحياة والأنظمة السياسية وعادات الشعوب ويمزج هذا بالنظرة العميقة للتاريخ . وقد نشرت القصيدة عدة مرات وناقشها النقاد

ونشرت حولها تحليلات أدبية كثيرة .

وظهرت روايته الأولى (قسيس ويكفيلد) واعتبرت من أروع الأعمال الروائية التى بث فيها ألفرد جولد سميث خلاصة عبقريته وعشقه للتاريخ والأخلاق الرفيعة رغم انسياق الأحداث إلى الخيال والتطرف فى تصوير العواطف والأحاسيس ، فالبطل قسيس يقوم على تعليم الناس ووعظهم وارشادهم إلى الخير .

ويقول سميث عن هذه الرواية : إنها قد لا تسر أحداً فى عصرنا لأنها عن شخصية بطل يستمد عزاءه من عقيدته الراسخة فى الحياة الأخرى .

أما قصيدته الشهيرة «القرية المهجورة» فهى من أجمل القصائد الحزينة التى ترثي جمال القرية والألفة والحب بعد الثورة الصناعية وهجرة المزارعين إلى المدينة حيث الثروة والترف .

شعر ألفرد بالحزن الشديد والرفض للحياة الصناعية الجديدة التى مست الطبيعة فى القرية ونشرت فيها دخان المصانع والتهمت المساحات الخضراء ويرثى قريته قائلاً :

قريتي كم فرشت فى الماضي على الوادي جمالاً

وعلى شطيك خصب وغناء

يملآن قلب أهليك سروراً

كم مشى الربيع المزهر

باسمًا قبل الأوان

ويأتى الزهر فى الصيف طويلاً

محجمًا عند الوداع

قريتى يا بسمة الوادى الجميل المزهر

ما لأفراحك قد ولت وغابت

ولهذه الوحشة الضارية

ويد الباغي استباحت مغانيك

وطوقت قبضته أرضك بالظلم

لم يعد جدولك الرقراق يجلوها بطاحًا

وغناء الطير الشحرور قد أمسى عويلاً

ماراً فى الروض غريبًا ..



يوهان جوته

(١٧٤٩ - ١٨٣٢م)

يوهان جوته أديب وشاعر ومفكر ألماني نشأ فى أسرة ثرية/فقد كان والده يعمل محاميًا وعلى قدر عال من الثقافة والفكر فتعلم منه كيف يواجه الحقائق ويناقش الأمور ويقف فى صلابة وقوة أمام الآراء المعارضة ليثبت رؤاه . أما أمه فقد تميزت بالحس الرقيق والعاطفة الجياشة والخيال الخصب . فاكتسب منها جوته هذه الخصال وانغرست فى ذاته فأصبحت مزيجًا من الشاعرية والموهبة الفطرية التي صقلهابالدراسة والقراءة.

فتحول إلى كتلة من الأحاسيس تنبض بشتى الانفعالات ، وتهدر فيها أمواج التمرد والرفض والرغبة فى البحث عن الجديد .

درس الحقوق وتولى عدة وظائف إدارية وقضائية . بدأ يكتب الشعر فى فترة مبكرة من حياته يحاول التعبير عن تجاربه العديدة مع النساء وقصة غرامه بهن . وهذه التجارب أثرت على حياته حين أحب فتاة اسمها «شارلوت» ولكنها تزوجت رجلاً آخر . فقرر هجرة العالم والانعزال والتفكير فى الانتحار . ولكنه لم ينتحر بل أفرغ عاطفته فى رواية طويلة هى «آلام فرتر» التى انتحر فيها البطل لفشله فى الزواج من حبيبته . وقد قال نابليون بونابرت : إنها أعظم رواية حب.. قرأتها سبع مرات .

واشتهر جوته بعد هذه الرواية لما فيها من تصوير لعواطف الحب والمشاعر الرقيقة وأحزان الإنسان واليأس والهروب إلى الطبيعة . وتلك هى تيار الرومانسية الذى يهتم بالانسان وموقفه فى المجتمع وقد ثارت الرومانسية ضد الآداب الكلاسيكية التى تؤمن بالعقل ولا تهتم بالجانب الانفعالي . ومن هنا ساهم جوته فى تيار الرومانسية بأحزانه وتقديسه لمشاعر الحب وعلاقته بالمرأة.

وكتب جوته رواية أخرى هى «فاوست» التي حملت تأملات للحياة والبحث عن السعادة

والحب والتلذذ بالألم من أجل اكتشاف الجانب الإنسانى . وقد تأثر الكاتب الإنجليزي كريستوفر مارلو بهذه الرواية وكتب مسرحية «فاوست» عن البطل الباحث عن المتعة والجمال فى الحياة إلى الحد الذى يبيع حياته للشيطان. وقد تأثر أيضًا توفيق الحكيم بأعمال جوته وكريستوفر مارلو وكتب مسرحية ذات فصل واحد اسمها «نحو حياة أفضل» عن الفلاح الفقير الذى يخرج له الشيطان ويتفق معه أن يمنحه الشيطان الثراء والمال والبيت الكبير وينقله من الريف والفقر والمرض الذي يحيط به ، وفى مشهد آخر نجد الفلاح فى البيت الكبير وقد رقدت الماعز والخراف فى الحمام الأبيض الفخم وفوق الفراش النظيف تنام الحيوانات معه وكأنه مازال فى قريته الفقيرة الملوثه بالأتربة والغبار وروث الحيوان .

لقد فشل الفلاح أن يستمتع بحياته الجديدة لأن التغيير لا يجب أن يأتي من الخارج بل من الداخل حيث يجب على الفلاح أن يتعلم ليتبدل ما فى عقله من ظلام وجهل وتخلف . ويفشل الفلاح فى أن يجد متعة داخل هذا الثراء والبيت الكبير الذي يسكن مثله الأمراء والأثرياء .

أما رواية جوته «فاوست» فهى النبع الأصلي لماكتبه الحكيم ، لقد صور «جوته» شخصية «فاوست» أنه متعطش للعلم والمعرفة . يود أن يعرف كل شئ فى فترة زمنية قليلة . فيأتيه الشيطان ويعقد معه صفقة أن يبيع فاوست روحه لهذا الشيطان لمدة زمنية معينة ، على أن يقوم الشيطان بفتح أبواب الاكتشاف والمعرفة والذات لفاوست .

وقد وظف جوته داخل هذا العمل الأدبى عناصر فلسفية وقيمًا تتصل بمواقف فى الحياة ومقاومة الشر والصراع بين الذات والواقع . والصراع بين العقل والمعرفة . وقد انتشرت هذه الرواية فى مختلف بلدان العالم لتؤكد قدرة جوته الفنية على تحليل وتتبع نوازع النفس وتطلعات العقل وطموحات الفرد حين تفوق إرادته .

مسرحية الحكيم «نحو حياة أفضل» أبسط وأكثر وضوحًا وهى بعيدة عن التأمل الذهني أو الفلسفي . فهو يخاطب جمهوراً عاديًا يود أن يعلمه قيمة هامة عن التغيير فى الحياة نحو الأفضل بأنه يعتمد على تغيير النفس والعقل والتعلم والمعرفة وليس على الشكل الخارجي .



وليم بليك

(١٧٥١ - ١٨٢٧م)

الشاعر الإنجليزي وليم بليك أحد رواد الرومانسية الذي يرى فى الطبيعة عناصر الخير والحب والحق والجمال .

والشاعر لا يكتب إلا من خلال نوع من الإلهام يبرق فى ذاكرته مع لحظات الحلم ، إنه يحتوى الوجود ويتلقاه بأشكال مختلفة وغريبة ليعيد بناءه فى حالة الرحيل مع الوحى فتأتى القصيدة روحًا ترفرف على الواقع وتحلق بين ضوء النجمات ونسائم الصبح الطليق . وتحس فى شعره كيف تتحرر النفس من هموم الواقع اليومى ، وترى العالم بصور شفافة ولمسات حانية تثير الفرحة وتبعث رؤى الجمال الحالم .

فى ديوانه (أغانى البراءة) تبدو الطبيعة هى ينبوع الإنسانية ومصدر الخلاص من أزمة الروح فى علاقاتها الحزينة بقوى الشر والصراع على المادة . إنه يدعوك إلى أن تسمو وتحلق بعيدًا لتشاهد العالم من علٍ ولا تهبط أو تدنو إلى القاع فيقول لك :

إذا رغبت فى مشاهدة العالم ، فى حبة الرمل ، والسماء فى زهرة برية ، فاقبض فى راحة يديك على الخلود ، فى لحظة الأبدية .

وتلمح فى قصائده حواره الطريف مع الأطفال . فالرمز عنصر فني يهدف منه الشاعر إلى إيقاظ روحك وبصيرتك من الداخل ، لترقب الفراشة وهى تنتحر على حافة الضوء ، والوردة التي تمد أغصانها إلى النهر ، والموجة الهاربة فى لون البحر ، والشمس الباكية عند المغيب ، والمروج الشاسعة والتلال . فالطبيعة هنا ترد للشاعر طفولته ، تشاطره شقاءه ، وتعلو به إلى آفاق من الوجد والصور الخيالية التي تصبح أقرب إلى مقاومة الواقع . إنه الغناء الذى يتحدى الجمود . وتتلاشى الأحاسيس الدفينة فيقول الشاعر :

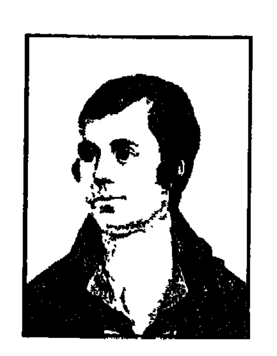
عندما تصدح أصوات الأطفال على المروج ، والضحك على التلال يهدأ قلبي فى صدري . وكل

شيء إلى سلام وسكون ... إلى منازلكم أيها الأطفال ، الشمس شارفت الزوال ، واتشح الليل بالندى . هيا دعوا اللهو . اذهبوا من هنا . حتى الشروق ... لا، دعنا نلعب . لم يفت الأوان . لا نتعس باكراً والطيور فى الفضاء . والخراف متتشرة على التلال ... اذهبوا إذن والعبوا ولا تعودوا حتى يأفل النهار . طار الصغار من الفرح . اخذوا يصيحيون ويرقصون ويضحكون . رددت صداهم التلال .

هذه الصورة التى يرسمها الشاعر وليم بليك هى مواجهة مجتمع الآلة ودخان المصانع والزحف العمرانى على المراعى الخضراء والحقول الفسيحة النابتة بالثمار . لقد علا ضجيج الآلات الحديثة وطغى على مشاعر القلب ونبضاته الخافتة . فتحولنا جميعًا إلى قلوب صدئة ، ومشاعر من رماد ، وأحاسيس جامدة . وسيطر على الكون النزاع على الأرض ، والحرب من أجل الاستعلاء والثروات وقتل الطيور فوق الضفاف وتحت الشجر وبين الحقول . تباعدنا عن الإخاء والتراحم والتعاطف وتمزقت فى داخلنا القيم الدينية والأخلاقية ، وصرنا بفخر نصطاد الحمام الأبيض فيسقط تحت أقدامنا مضرجًا بدمائه . فمن ينقذ الإنسان من وحشية الإنسان؟ من ينقذنا من ذاتنا التى تهوى الذبح وتعشق الانتحار ؟ وإذا كان وليم بليك يحاول تطهير القلب من خطاياه وآثامه بغنائه للطبيعة فهو قد أطلق لهذا الغناء تلقائيته وتعبيره البسيط الشجى عن أحزان الوجود . إن الغناء هو رد الحياة للحياة :

اعزف على مزمارك فى هذه الفلاة ، اعزف على أغاني الفرح . هكذا قال الطفل الذى يدور فى الغمام ضاحكًا : اعزف أغنية الحمل . فعزفت بفرح لا يوصف . أيها العازف .. بالله اعزف تلك الأغنية مرة أخرى . عزفت حتى بكى . سقط الدمع من عينيه كالندى ... وقال لى : يا منبع الفرح اجلس هنا دون أغانيك فى كتاب يقرأه جميع الناس . فاقتلعت قصبة جوفاء وصنعت قلمًا ريفيًا ومن الماء حبرًا وبدأت اكتب أغاني الفرح لجيمع الأطفال الصغار .

الغناء للطبيعة محاولة لانتصار الشاعر على مآسيه وحاضره المسكون بالوحشة ويخلو من عناصر الجمال والالهام . فالشاعر يصنع واقعه ، ويبدد غربته ، ويسمو بروحه فى فرحة الطفولة والبراءة .



روبرت بيرنز
(١٧٥٩ - ١٧٩٦م)

الشاعر الانجليـزى روبرت بيرنز علمته لغة الـريح كيف يكون متمرداً ، واسـتلهم من اخضرار الطبيعـة عشقه للكائنات وتـعاطفه مع الفقراء ، وتأثـر بمشاهد قريته ونضال المـزارعين ضد غضب الأمطار وهديرها .. وصـرخات الرعـود وضـربات العواصف فـأيقظت فى حـواسه الثـورة على الجمود والفساد والأثرياء الذين يكنزون المال ويستعبدون الفقراء .

هذا الشاعر ابن الطبيعة والسهول الخـضراء والفطرة الصافية والروح النقية يظل كل يوم يتأمل خـروج الشمس من بحـر الغمـام وطلوع الأشجـار من خلف الروابي وتدفق الأنهـار فى الحقـول والمزارع .

وتساءل الشاعر :

- لماذا لا يصبح البشر فى وداعة الشجر وفى انسياب النهر العذب ؟

ولذلك حين تقرأ أشـعاره تكاد تسمع أصوات المطر .. وتـهب عليك رائحة السنابل .. وتحس بلمسات النسائم وتغاريد الطيور .

ومن هنا تجسد فى كـيانه معنى الحرية والانطلاق فى الفضاء الرحب ومـعنى أن يعشق الإنسان الحياة والخير والعدل ويزرع فى القلوب وردة بيضاء .

ان الحياة لابد أن تصفو لتصبح خالية من العنـف والقهر ويتألق البشر تحت أضوائها فى صدق وانتماء للقيم والمثل العليا .

ولد الشاعر روبرت بيرنز فى أسرة فقيرة واضطر أن يعمل مزارعًا لينفق على أسرته التى تعانى آلام الجوع ويمزقـها الحرمان واقتـرب الشاعر بذلك من حـياة الفلاحين الفقـراء يرهف السمع إلى عـذابهم ويبكى مع أحـزانهم تراودهم وأيضًـا كـان يغنى مـعهم فـى الحقـول ، فـاستـشف عـمق

الأحاسيس والأفكار والأحلام التى ترواده‍م.

وبدأ ينظم أول قصيدة عندماكان يحرث الأرض ، ويجلس آخر النهار بعد يوم عمل شاق يقرأ كتب الأدب والتاريخ والفلسفة وأيضًا كتب عن الموسيقى وتعلم اللغة الفرنسية .

وامتزجت روحه بالطبيعة وصقلها بالثقافة والشعر الرقيق ، فأصبح محلقًا بين الحقول يدعو الفلاحين البسطاء إلى الحب ومقاومة الفقر والنضال من أجل حياة جميلة .

ورغم ذلك تمزق وجدانه كثيراً ، واكتشف أن هذا العالم لا خلاص له بالحب وحده ، وإنما بالثورة عليه والتمرد على أوضاعه الجامدة والإطاحة بالطبقات الثرية التي لا هم لها سوى اشباع غرائزها .

وكانت أسرة روبرت تتمزق تحت وطأة ضربات الفقر الساحقة ، والشاعر يقرأ فى الليل ويعمل فى النهار خوفًا على أسرته من الموت جوعًا ، يقول :

- أشعر بالكراهية للطغاة والمنافقين الذين اقتسموا ثروات الحياة وتركوا الآخرين يموتون جوعًا .

تحطمت روح روبرت بيرنز فى مواجهة الحياة وسقط فى بحر اليأس والعدم ، وقرر أن يهاجر إلى جزيرة جامايكا ليعمل فى إحدى المكتبات العامة .

وحينما بدأ ينظم أوراقه وأغراضه لمح أوراقًا تحمل قصائده فقرر أن ينشرها قبل السفر ، وذهب إلى بعض المؤسسات والأفراد حتى استطاع أن يجمع مبلغًا من المال ودفعه لدار النشر .

وعندما قرر الرحيل أرسل إليه الناشر يهنئه برواج ديوانًا الشعرى ويطلب ديواناً آخر ، وابتهج روبرت وقرر أن يظل فى أسكتلندا ، ونشر ديوانه الثانى وعدة أعمال أخرى حتى أصبح شاعراً مشهوراً وثريًا واشترى مزرعة وسدد نفقات أسرته .

واتجه إلى الأغاني الشعبية ونشرها فى كتاب أحدث ضجة وصادف نجاحًا كبيراً ، وترك وظيفة الفلاحة وتولي منصب مفتش جمارك إلا أنه لم يستمر وقرر أن يعود إلى الطبيعة يتأمل المزارع والطيور ويشاهد الأنهار والسنابل ، ويناضل للحرية والحب والجمال ويدعو إلى التسامح والتعاطف والقيم النبيلة .

ومن أجمل قصائده عن الطبيعة :

حين تشدو الغابات الخضراء

بأصوات الفرح

والجدول المتموج يجري راقصاً

حين الرياح تمزح معنا وتلهو

وتردد صداها التلال

حين الهضاب والمروج

وأعشاشها

المتماوجة تضحك وتتمايل

حين الأطيار تضحك

عندما الأطفال يطلقون صرخات السعادة

حتى الطيور الضداحة تغرد في الظلال

تعالوا نغني معاً ..

للحب .. والحرية والجمال .



فريدرش شيلر

(١٧٥٩ - ١٨٠٥م)

فيلسوف وشاعر وأديب بارع ، تميز برقة العاطفة ورهافة الحس وعشقه للطبيعة والغابات ، حيث ولد فى قرية مارباخ الألمانية التى تحتشد فيها المراعي وتطل على نهر النيكار .

درس اللاتينية واليونانية وعلمته أمه التسامح الديني من خلال قصص الانجيل ، فساهم ذلك فى تعاطفه مع المساكين والفقراء . وكثيراً ما كانت الأم تفقد ثوبًا أو فرشًا للسرير وتعلم أن الصغير تصدق به على مسكين .

فى المدرسة العسكرية تعلم الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعلوم والرياضيات والقانون ، ثم تحول بعد ذلك إلى دراسة الطب ، قرأ كثيراً فى تلك الفترة واهتم بالأدب الإنجليزي والشعراء ذوي النزعة الدينية ، وعشق كتابات روسو وجوته .

بعد تخرجه عُين طبيباً في الجيش فى مدينة شتوتجارت ، وسكن عند امرأة اسمها (لويزا فيشر) وأحبها وكتب لها بعض القصائد العاطفية منها :

حبيبتى لاورا

نبئينى عن هذا الشعور الجياش المضطرب

الذى يشد فى عنف جسماً

إلى جسم

نبئني عن هذا السحر الذى

يدفع الروح بعنف إلى الروح

وبدأت أفكار شيلـر تتحدد تجـاه الناس والحياة ، فـهو يرى الحيـاة تافهـة والناس مجرد قـشور والطغاة يسيطرون على مقادير الأمور ولابد من مقاومتهم .

وقد عبر عن هذا المعنى فى قصيدة رثاء لأحد الأصدقاء وقال :

الا صفقوا

صفقوا بأيديكم

واجعلوا التصفيق

معبرًا عن الفرح والابتهاج

فإن الموت هو نهاية كل جنون طويل

ورب ألم واراه الإنسان

فى جنبات القبر معه

من هؤلاء الناس الذين

يعيشون على الأرض فى نور القمر

إنهم ممثلون

إنهم يلبسون الأقنعة

وبينهم وبين الموت

رباط لا يرونه حق اليقين

إلى أن يخرج النفاق بهم

من ساحة التمثيل .

وهكذا وقف شيلر ضد الاستبداد والقهـر ، وظل يحلم بحرية الإنسان من هذه القيود الدامية ، وكتب عدة مسرحيات يهاجم بها الأنظمة الفاسدة ويرمز إلى الخلل الذى تعانى منه ، ويعبأ الذهن والوجدان لإطلاق صرخات الحرية فى وجه الطغاة ومن هذه المسرحيات :

قطاع الطرق ، فبيسكو، مكيدة حب ، دون كارلوس ، وليم تل ، جان دارك ، ماريا ستوارت .

ومن سمات المسرح لدى شيلر إثارة القضايا ضد القـيود والتخلف والجمود ، وتمجيد الإنسان

وأحاسيسه ، وإعلاء قيمة المشاعر الوجدانية ، والاتجاه إلى البساطة ، وتصوير عالم الأطفال والمزارعين والصيادين وأصحاب الحرف البسطاء فى مواجهة الخبثاء والفاسقين من ملوك وأمراء ونبلاء ، يقول فى إحدى قصائده التى تتسم بالحرية والنضال والبحث عن المجد الإنساني :

ما أجملك أيها الإنسان

وأنت تقف بغصن النخيل

على حافة العصر

فى رجولة كريمة فخورة

بحس متفتح وعقل ملآن

وجد عنيف وسكون غني بالأعمال

وقد أصبحت أكثر أبناء

الأمان نضوجًا

تحررت بالعقل

وقويت بالقوانين

وعظمت بالحلم

وأثريت بكنوز

أخفاها عنك صمتك زمنًا

طويلاً

سيد الطبيعة أنت

الطبيعة التى لا تحب قيودك

والتى تعرف قوتك

فى ألف من المعارك

والتى سمت منبثقة

من تحتك

خارجة من الهمجية

وفى قصائد الحب مزج بين نضاله الإنسانى ومشاعـر الحب الصادقة ، فقد أحب نساء كثيرات ولكن عشق شارلوته فون كالب وهى امرأة يتيمة عانت من الوحدة واليأس القاتل ، وتزوجت من هانير بش فون كـالب ، ولكنها لـم تكن تحبه وأحبت شـيلر حيث لمست المعانى الجمـيلة فى كتاباته وثورته ضد القيود ودعوته إلى عالم يؤمن بالإنسان وإبداعه وحريته .

ويقول لها شيلر :

لا لن أستمر فى هذا الكفاح

إلى أبعد من هذا

كفاح الواجب الشاق

إذا لم تكوني قادرة على

إخماد دافع القلب المتأجج أيتها الفضيلة

لا تطلبي هذه التضحية مني لقد أقسمت أنا

نعم أقسمت

على أن أتحكم فى نفسي

خذى تاجك

لقد خسرته إلى الأبد

خذيه دعينى أذنب

ومن أجمل قصائده عن الاستبداد والطغيان ، قصيدته عندما هرب من مدينته نتيجة تأزم موقفه مع الرقابة حيث تعرض للمسـائلة من قبل الدولة ، وأقفوه عن الكتابة وأخضعوا أعـماله المسرحية للرقابة قبل النشر .. فقرر أن يهاجر إلى مدينة أخرى ، وفى تلك الليلة التي هرب فيها كتب يقول:

ها هو ذا فى القبر رفات الأمراء

ذوى الكبرياء

وكان من قبل أصنامًا فى عوالمها

بقايا ممددة وبريق رهيب من نور باهت يضيئها

هنا ترقد جماجم امحت نظراتها

وكانت من قبل فى علياء

ترنو بالوعيد لمن دونها

وكانت تحمل للإنسانية

الرعب والفزع

لأن إيماءاتها كانت تعنى

الحياة أو الممات

ويعود يكتب إلى حبيبته يقول :

إن نظراتك عندما تبتسم بالحب

تكاد تبث الحياة

فى المرمر الصلب

وتجعل النبض يدب فى عروق الصخور

إن الأحلام لتتحول من حولي إلى كائنات

إذا استطعت أن أقرأ فى عينيك :

لاورا .. لاورا حبيبتى

وتزوج شيلر المرأة التى أحـبها شارلوته بعد وفـاة زوجها ، وظل يواصل طريق كفـاحه ونضاله حتى بدأ المرض يداهم صحته وبدأ يشعر بالإرهاق الشديد .

وفى يوم سقط طريحًا على الفـراش ، يزوره الأطباء كل يوم ولكن لم تكن هناك بادرة أمل فى الشفاء .

وبدأ شيلر يهذى بكلام غير مفهوم ، ويسأل عن ابنته وزوجته ويقول :

- مادام لم يعـد هناك من يفهـمنى ، ومادمت أنا نفـسى لم أعد أستطيع فـهمى فـالأفضل أن أصمت .

ويغفو ويصحو ليقول :

- هل هذا جحيمكم ؟ هل هذه جنتكم ؟

فليرحمني الله من عذابي الطويل

وذات صباح طلب من زوجته أن تزيل الستار عن النافذة ليرى الشمس .. وتطلع اليها .. وألقى نظرة على ابنته ..

وابتسم ..

وفارق الحياة

والشمس منسكبة على وجهه

وانهالت رسائل الأحزان من الملوك والأمراء والنبلاء والمفكرين والأدباء فى ألمانيا وخارجها ،

تنعي رحيل الشاعر الكبير شيلر ..

وانتشرت النصب التذكارية

تخليداً لشيلر فى أنحاء المانيا .



مدام دى ستال

(١٧٦٦ - ١٨١٧م)

مدام دى ستال عاشقة سحر البطولة ، والثورة ضد ظلم الطغاة فى جراءة صارخة وثقافة عميقة تنتمي إلى أدب الحوار والجدال والنقاش القائم على مبادئ الخلق الرفيع والإيمان بالحق والخير والعدل والجمال .

حين بدأت مدام دى ستال تتألق فى صالونها الأدبي ويلتف حولها مجموعة من أعلام الأدب والشعر والفن مثل مونيه ووالتر سكوت وريكاميه ودى موسيه وغيرهم ازدهرت الحركة الرومانسية الفرنسية وبدأت مرحلة جديدة .

تميزت مدام دى ستال بقدرة بارعة فى الأدب الشفاهي ، فهى متحدثة لبقة ساحرة التعبير عذبة الحديث ، يشتاق كل مبدع أن يجلس أمامها صامتًا ويتأملها فى إعجاب ودهشة .

وذات مرة كانت تتحدث إلى الفيلسوف «نيتشة» وسألته أن يشرح لها مذهبه «فى الأنا» وحين بدأ الفيلسوف يحدثها باللغة الفرنسية قالت بكبرياء : هذا يكفى يا سيدى لقد أدركت ماذا يعنى مذهبك ، إنه اسقاط الذات . وحملق الرجل فى هذه المرأة التى لم تنس أنها من باريس .

كان لصالون مدام دى ستال أثر كبير فى الحركة الأدبية حيث رفضت ما يسود الواقع من ظلم وتقشف واضطهاد للحريات ، ودعت إلى حياة قائمة على العدل والحب وإشعاعات العلم والأدب ودعت أيضًا إلى ضرورة تغيير المذاهب والاتجاهات الأدبية لتلائم التغير العلمي والتحول الاجتماعي فى فرنسا . وكذلك تعتبر أول من تحدث عن الغزو الثقافي وحذّر من سطوة الآداب الألمانية وما تضخه من أفكار خطيرة ضد فرنسا .

وأكدت أن الشعر الصادق ليس مجرد نظم جيد ، وإنما حالة داخلية فى القلب ومشاعر إنسانية قد يستطيع الشاعر أن ينسجها داخل إطار شعري أو نثري يبلغ بروعته مستوى راقيًا لا يصل إليه الشعر .

وآمنت مدام دى ستال أن الشعـر احترام ومعايشة وتقديس للشعور ، وإعـلاء للعاطفة وتحليقة فى عالم الحلم والخيال رافضًا ضجيج الأرض وضجر الكائنات الفاسدة .

وكانت تربط بين العبقرية الشعرية والنزعة الروحية ، وخفق الوجدان والتعبير عنه فى لغة متأججة بالحياة منصهرة بالإبداع .

أما عن النقد الأدبى فإنه كما ترى مدام دى ستال لا يخضع للنظريات أو القواعد ، فالنقد مرتبط بالإبداع وحين يتغير الإبداع لابد للنقد أن يتغير أيضًا .

وفى أحد الأيام قرأ الأديب «بنجامان» مقالاً فى صالونها يدافع فيه عن الشعب الفرنسى وينذره ببداية عصر الإرهاب . ومنذ هذا المقال بدأت جماعات فى صالونها تهاجم نابليون ، ولذلك عندما تسلم نابليون الحكم قرر إبعاد مدام دى ستال إلى ألمانيا وهناك كتبت كتابًا اسمه «كورين» حقق نجاحًا كبيراً . ونشرت كتاباً آخر عن ألمانيا صادرته الرقابة .

وعاشت مدام دى ستال رافضة للاستبداد عاشقة للفكر الحر والإبداع الصادق ، ورحلت من ألمانيا إلى سويسرا وشيدت صالونها الأدبى الذى قيل عنه أن له ثلاثة أبواب تطل على فرنسا وإيطاليا وألمانيا .

أحبت الأديب الإنجليزى السير والترسكوت (١٧٧١ - ١٨٣٢م) وتبادلت معه رسائل عُدت وثائق تكشف خلجات النفس فى عشقها الراقى وأحاسيسها الإنسانية .

ومدام دى ستال اسمها الحقيقى : جرمين نكر .. تزوجت فى بداية حياتها قبل شهرتها من البارون دى ستال سفير السويد .

ومازالت فى ذاكرة الأدب رمزاً للمرأة المثقفة التي مزجت بين ثقافة العقل وسحر الروح وروعة أدب الحوار الشفاهي .



فرانسوا رينيه شاتو بريان

(١٧٦٨ - ١٨٤٨م)

شاعر العزلة والصمت بين عواء الأشجار .. ودموع الأنهار .. وحزن الغمامة المسافرة وحيدة في فضاء بلا نهاية .

عاش بين الطبيعة الخضراء .. ومساحات شاسعة من حقول القمح زاهية أمام عينيه ، والعصافير في مواكبها تعانق سنبلة القمح وتلتقط غذائها .. فكان يمشي ساعات طوال على ضفاف النهر .. ويرفع رأسه إلى السماء الزرقاء ويتخيل أنه أصبح طائراً يفرد جناحيه في الهواء.. ويسبح في الآفاق بحرية وانسجام .

ويظل في تأملاته يحتضن النسائم الحانية .. وينصت إلى صفير الريح الرعناء .. وحفيف أوراق الشجر .. وتغاريد العصافير .. هذا عالم السكون .. وهذا شاعر الجمال في لحظات عناق .

كانت أسرته تتمنى أن تراه بحاراً فقد شاهدوه يتجول على ضفاف النهر ويخاطب النوارس البيضاء .. ويتأمل السفن الراحلة في حزن .

ولكن الشاعر الرقيق قرر أن يصبح قسيساً ، وترك أسرته وسافر مع أخته الوحيدة وعاش معها في إحدى المقاطعات التي تحيط بها حقول القمح ، ولم يكن لديه ما يفعله سوى التأمل والقراءة والكتابة ، وكانت أخته أحياناً تشاركه أفكاره .

وبعد فترة شعر شاتو بريان بالملل .. واجتاحته الكآبة ..

وتسربت إليه أنهار الحزن .. وفي ليلة اشتدت عذابات ذاته وقرر الانتحار ..

وقبل أن يقدم على هذه الفكرة لمح عصفورين على نافذته يتناغيان .. فقرر أن يفكر في السر وراء هذا التناغي أو الحب الجميل في قلب هذه الطيور .

بدأ يقرأ كثيراً فى أدب التصوف والديانات السماوية ، ومن حوله الأشجار فى عواء .. والريح ترسل بقايا الأنين وآهات الجراح .. والسنابل فى لحظات نحيب فيقول معبراً عن أحزانه :

ادخلي وقد أحاطني ظلام القبور

وظلي وحيد هادئ

فى الغابات باحث عن الراحة

لم يكن شاتو بريان يدرى كـيف يقاوم هذا الضجر الذى ينـمو فى أعماقه .. وهـذا الإحساس بالإحبـاط والتأمل فى داخله ، وظل يطرح تسـاؤلات غريبة على الحـياة ويعذب ذاتـه بالبحث عن إجابات .. وبدأ يفكر فى الموت وما بعد الموت .. وكيف يكون مصير البشر ؟

ويقول عن ذلك :

سيموت اسمي

بعد هذه الإقامة الطويلة

بلا مجد

ولكنه سيعيش طويلاً تحت

السماء التى تظلل الغدران

وحاول شاتو بريان أن يشارك فى الحـياة الأدبية والثقافية ولكن ظلت أعمـاقه خربة ومظلمة لا يدري ماذا يريد ؟ وحين عشق امرأة قال لها فى أول لقاء :

- سيموت حبنا قريبًا .

وذهلت المرأة ولم تستطع أن تكتشف ذاته الحادة ومشاعره الغامضة وحياته الغريبة .

قام شاتو بريان بالسفر خارج فـرنسا وزار مدنًا أمريكية كثيرة وعاد أكثـر دهشة وانفعالاً ، تتقد فى ذهنه صـوراً أخرى عن الحـياة .. ومـعاني غـريبة عن الموت .. ومـواقف أغرب عن الإنـسان ، يقول:

جيلاً بعد جيل سوف يستمع الرعاة

وهم يرعون إبلهم إلى قصتي القصيرة

سوف يقولون :

لقد ولد صديقنا فى هذا المهد

ويدأ حياته فى ظل أشجار الصفصاف

لقد مر وهو ناعس بالقرب

من هذا الماء

وفى هذا الوادى تحت الأزهار

ثوى فى لحده

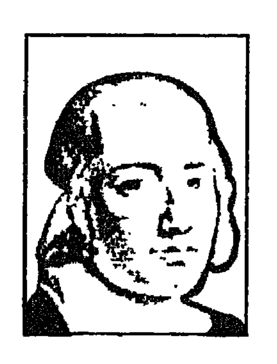
وظل شاتو بريان ينثر قصائده عن الموت والإنسان والأمجاد والبحث عن يقين فى العالم .

وحين علم بموت أخته الوحيدة ثم أمه انتابته الأمراض وغرست الأحزان سهامها فى روحه وسافر إلى انجلترا وأمضى هناك أياماً حزينة منكسر القلب .

ولكنه استطاع أن يكتب مؤلفه الكبير : رسالته فى الثورات .

وحين شعر بضآلة الحياة وأنها رحلة من العبث والجنون اتجه إلى الإيمان بالمسيحية وقرر محاربة الألحاد .. وأصدر كتابه «عبقرية المسيحية» .

وظل هكذا .. حتى أغمض عينيه وعواء الأشجار فى قلبه وبكاء الريح فى روحه وانين سنابل القمح يطوي مساحات الفضاء .



فريدريش هيلدرلين

(١٧٧٠ - ١٨٤٣م)

على نهر النيجر فى ألمانيا ولد الشاعر وتشربت روحه أحاسيس الحب والجمال وانطلق عصفوراً فى الفضاء الأزرق يغني لهذه الطبيعة الحسناء.

أحب فريدريش قراءة الشعر واتجه إلى الوحدة والعزلة يقرأ فى صمت ويرسم فوق الشجر صور أحلامه الضائعة . فقد شعر باليتم وهو مازال فى الثانية من عمره حيث رحل والده وحُرم من عطف الأبوة . وعاش فى ظلال أمه تغدق عليه من حنانها وترعاه بالصبر والخوف والأمل .

ورغم ذلك .. كان الحزن الذي يطل من عينيه يجرفه إلى شجيرة نائية يجلس فى ظلالها يتأمل ما يحدث حوله ويطرح تساؤلات على الواقع والحياة .

اتجه فريدريش إلى الشعر الذى يخاطب الروح ويسمو بالنفس ويرقى بالوجدان عن غرائز الدنيا . إنه الشعر الروحي والأنفاس الرقيقة واللمسات الحانية والضوء المنبعث متوهجًا يتسلل إلى جوانب النفس فيحلق بها وتترقرق الموجودات وتستعذب صور الحياة .

وفى هذا الشعر أيقن أنه الرسالة التي تتيح له أن يمارس إبداعه بهدف كبير ومقصد عظيم، فلم يعبر من خلاله عن قضايا وجدانية وإنما أيضًا عن التزامه بالنضال الإنساني من أجل الحق والحرية والجمال والحب .

ويقول الشاعر :

نحن الشعراء السنة الشعوب

تعلمنا حب الاختلاط بالاحياء

بتلك الجماعة الصديقة للجميع

السعيدة المتفتحة مع الأرجاء

فهذا موقفنا من أجل البقاء .

ويغني الشاعر للطبيعة التي وهب لها قلبه وظل يجلس متأملاً عناصرها فى صمت ودهشة وإعجاب ، وفى هذا الموقف يغمر قلبه تيار متدفق من الشوق والتعاطف مع كائنات الطبيعة وتترقرق الدمعات فى أحداقه لهذا الجمال الساحر الذي خلقه الله وأهداه إلى الإنسان .

واقتراب الشاعر من الطبيعة جعله أكثر استشفافًا لروح الوجود بحيث يشعر بخفقة الزهرة ورفة أهداب البراعم ويذوب قلبه فى هذا البحر الزاخر ويصف ذلك فيقول :

عندما كنت لا أزال أعبث بأزرارك

وأتعلق بأهدابك كالبرعم

وأحس دقات قلبك فى كل الأصوات

التي تغمر قلبي الضعيف الرقيق

عندما كنت لا أزال أقف متأملاً

صورتك

بقلبي العامر بالعقيدة والحماس مثلك

هيأ العالم مكانًا لدموعى ووطنًا

لحبي

وعشق فريدريش امرأة اسمها زوتسيته ووصفها بأنها أقرب إلى آلهة الإغريق ، وعبر عن عمق حبه لها فى صور مكثفة بروح دينية قوية وتعبيرات صوفية مؤثرة ، يقول :

أيها الأثير الجاثم

أنت تحفظ لروحي جمالها وسط

الآلام

وتحت سطوة نورك يا إلهى

يسمو قلبى الثائر إلى الشجاعة

والنبل

أيتها الآلهة الطيبة

يشقى من لا يعرفك

وتظل روحه الشقية بلا أمـل وقلبه تمزقه الفرقة والفراق ، وتصبح الدنيا فى عـينيه ظلامًا ويفقد المتعة والغناء .

الشاعـر فريدريش هيلدرلين قـرأ فى الفلسفة والأدب والتـاريخ ، ودرس علم اللاهوت واهتم أيضًا بدراسـة الأديان السماوية والتـصوف وهذه الدراسات تركت أثرًا فى حـياته إذ أصبح أكـثر تطلعًا إلى عالم الفضـيلة والبراءة والنور الذي يغمر الروح ، فأصبحت قـصائده تراتيل وابتهالات نفس تتوق إلى الانعتاق من أسر الحياة المادية وعذابات الصراع اليومي مع البشر الطامعين إلى المتع واللذائذ الحسية .

ويرى الشاعـر أنه رغم عراكه هذا مع الحـياة ومقـاومته للفسـاد فإنه قادر على حـفظ عبقـريته وابداعه من هذا الهلاك يقول :

إذا كنت قد عركت زحمة وضوضاء الناس وخطوت على بساط الحقيقة

بقدمى فأقدمى إذًا يا عبقريتي عارية فى الحياة بلا وحل .

ويرى فريدريش حـبيبتـه زوتسيته الظلال الرحـيمة التي تنقـذه من واقع الحياة الأليمـة ، وتفرد أجنحة الحب والخيال والشفافية ليحلق فى الفضاء البعيد ، يقول :

إن روحى التى لم تحظ بحقها فى الأرض لا تعرف السلام حتى فى الجحيم .

وهذه أشعارى أزهارى الغالية أهديها إليك

أيتها الظلال الرحيمة

سوف أمضى معك أهجر طنبورى وحقولى وسنابلى وأغصانى

وأعيش فى ظلالك أيتها الملاك الرحيم .

ويتعذب الشاعـر مع الحبيبة فهى امرأة متـزوجة ولها أولاد وحياة خاصة فكيف السـبيل إليها . وكان الشـاعر يذهب إلى بـيت السيدة زوتـسيتـه ليعلم أولادها بعـض دروس اللغات الأجنبـية ، وتصادف أن جلس مع السيدة زوتسـتيه وتناقش معها فأدهشـته ثقافتها وحبـها للشعر والأدب فى وحدتها مع أولادها بعـد وفاة زوجها . واشتـد إعجاب السيدة زوتـستيه بالشاعـر ولمست روحها روحه المعـذبة القلقة بهـموم الناس والواقع وتجسـدت أمامه امـرأة فوق الخيـال والنهى والحدود ، ووهب لها قلبه وحياته وسكن حبها فى جـوانحه واستسلم لهذا العشق الخرافي . ولكن هل يمكنه حقًا أن يتزوجها ؟؟

تلك هي المشكلة !

إن ظروف زوتسيته تمنعها من الزواج فهي تعيش مع أبنائها وهم في حاجة إليها ، وعائلتها المتزمتة في التقاليد ترفض هذا الزواج ، فلم يكن هناك مفر من الفراق والعزلة وعودة الشاعر إلى صومعته بين أشجار الطبيعة ينثر أحزانه على صفحة البحيرات الساكنة ، ويقول لها في حزن وأسى:

آه يا حبيبتي الرقيقة ..

لم أعد أراك في أي مكان تحت الشمس

وتذوب أشعاري في الهواء

وكلماتي الحنونة

التي همست بها إليك

أنت بعيدة حقًا أيها الوجه البريء

وغريب أن تمضي حياتي في هذا

العبث

وا لوعتاه .. أين أنت ؟

أين أنت .. ؟

ويمضي الشاعر فريدريش في أنحاء ألمانيا ضاربًا في الأرض لا يدري أين يذهب ، وظل يحب هذه المرأة سنوات طويلة ويحيا على أمل أن يتزوجها في يوم ما ولكن حالت الأقدار دون ذلك، فأين يذهب الشاعر في هذا العالم الغارق في البؤس والشقاء ؟

حروب تدمر الأبرياء.. وبؤساء في الخرائب يبحثون عن قطرة ضوء وكسرة خبز.. والحبيبة هي الرمز للخلاص من هذا العبث الذي يسيطر على الحياة ويهلك بحار الحب وزمان البراءة، يقول :

أنت تتعذبين في سكوت

أيتها الحياة النبيلة

أنت تحتضنين العيون في صمت

تحت وهج النهار الجميل

تبحثين عن القلب الحنون

وقلبي يتمزق على كف الريح

هل كتب حقًا علينا الفراق ؟؟

والبعاد والتناثر فى كل الأنحاء ؟

ويتألم الشاعر فريدريش حين يعلم بعد ذلك أنها تزوجت رجلاً من عائلتها فترامت أجنحة الشاعر محترقة ، وسقط على الشطوط الدامية ركامًا من الرماد ، لا يوقن فى لقاء آخر إلا فى السماء حين تتحد الأرواح يقول لها :

انظرى حبيبتى

قبل أن تستوي قبورنا

سوف تتم المعجزة

والقاك على صفحة بيضاء

وحقل ياسمينة

وغصن وردة تنثر عطرها

وسوف نشهد لقاء الضوء بالضوء

والغيمة بالغيمة

ويقرر الشاعر أن يعود إلى الشجر الأصفر ويجلس على صفحة البحيرات الساكنة والوردة الذابلة والورق اليابس ينثر أحزانه إلى فيروزة الفضاءات الأولى ويعزف لحن الوداع والرحيل الأخير .

ويسلم الشاعر نفسه للأوهام والظنون تغتال المعاني فى أعماقه ويفكر ويتألم ويتعذب ويحس دبيب خطى الموت يدنو منه فيقول لها :

وداعًا حبيبتى

يا ملاكي الرحيم

حين يتزوج الياسمين

تبكي عصافير السماء

وترحل الطيور المهاجرة إلى عالم الغربة

وتنطفئ مصابيح النهر فى قلبي

وداعًا حبيبتي ..

وداعاً يا ظلالي وأطيافي وأحلامي

وداعًا

ويخرج الشاعر فريدريش فى الصباح الباكر يركض على حافة النهر الذى شهد مولده ويجلس بين الياسمين الأبيض ويصرخ فى فضاء الوحدة والسكون الرهيب :

هل يمكن لشخص ما أن يحتوى عطر الياسـمين .. هل يمكن لرجل ما أن يقبض على الضوء ويحبس النهار ؟

أين أنت يا فيروزة الشطوط والفضاءات الأولى ؟

ثم يعلو نشيـجه وترتعد أغـصان الشجـر وتتساقط السنـابل صفراء على جسده الذى يرتعش تحت المطر .

وفى صبـاح اليوم التـالي اكتـشف الناس جثـة رجل يحتضـن زهور الياسمين وتـغطيه أوراق الشجر الذابلة المبللة بدمعاته .

وفى الفضاء تنوح عصـافير غريبة .. وغيوم فـاضت بدمعها وأرض تفجرت بدمـائها ، وجسد الشاعر يحتضن الياسمين فى دفء ، وأصوات يعلو صداها فى كل الأرجاء :

– وداعًا فيروزة الفضاءات الأولى وداعًا – وداعًا – وادعًا .. وداعًا



وليم وردزورث

(١٧٧٠ - ١٨٥٠م)

وردزورث عاشق العشب المتراقص على ضفاف الأنهار وتغاريد العصافير فى منطقة البحيرات فى «كمبرلاند» بإنجلترا . ولد فى أحضان الشجر المثمر .. والظلال الوارفة وكتب قصائده متأثراً بهذا النور الذي يغمر القلب ويثير المشاعر .

يقول الشاعر وردز ورث :

السعادة الحقيقية حين يرتجف إحساسك المرهف لرؤية المراعي والحقول والتماعة قطرات الماء فى النهر المتدفق .

ويشير الشاعر إلى هذا الارتباط الروحي بين مشاعرك الرقيقة وعناصر الجمال فى الطبيعة .. إن ورق الشجر .. والظل .. والنهر .. والنخيل والطيور وحشائش الأرض ليست إلا كائنات تعلمنا الحب والعطاء وعشق الحياة والناس .

ولذلك اعتبر أحد شعراء البحيرة مع كولردج وشيللى وآخرين تغنوا بخفق الروح حين تغيب فى سحر الطبيعة وتلمس أوتار القلب حزن الياسمين وارتعاشة الفراشات وأنفاس الزهر ونور النجمات واشترك وردزورث مع كولردج فى نشر ديوان «الأغانى الوجدانية» الذى تألقت قصائده عابقة بأريج الأعشاب .. وخرير المياه .. وتلألأ الظلال والحقول الشاسعة الخضراء .

ودعا وردزورث فى قصائده تلك إلى البساطة فى التعبير والتحرر من النماذج التقليدية القديمة فى الشعر الإنجليزى ورفض المحسنات البديعية والقوافى الجامدة والخيال السقيم . وسكنت الشاعر وردزورث رغبة جامحة فى إصلاح أحوال البشر ورسم ابتسامة مضيئة فى القلب الحزين ، والانطلاق من أسر الواقع وكآبته ورد الذات المرحة الحالمة بالمحبة والخير للعالم ، فاتجه إلى العمل السياسي وتحمس للثورة الفرنسية ولكنه واجه فوضى الأوضاع والنظريات القائمة ، ثم اكتشف

انحراف الثورة الفرنسية عن مسارها ومبادئها الحقيقة فإذا به يعاني الإحباط واليأس وانكسار ذاته العاشقة للطبيعة .

اتجه مرة أخرى إلى الشعر يغني للنسائم ، ويصف الطيور والماعز في المراعي ، والعصافير وهي تشرب من حافة البحيرة في دعة وسلام .

وكتب قصائد يصف فيها الريف الإنجليزي والفطرة الصافية في نفوس الناس وسذاجة أفكارهم ويعبر عن أحزانهم أيضًا ولحظات الطفولة والفرح في لغة سهلة بعيدة عن التعقيد تتدفق في مشاعر حنونة وعاطفة متوهجة وخيال ثري ، يقول :

كنت أمشي كغمامة وحيدة تطفو

على الجبال والتلال

فجاء حشد من الزنابق الذهبية سلب نظري

متماوجات على جانب البحيرات

تحت الأشجار .. مداعبًا النسيم

تتألق .. تمور كأنها النجوم

في الدروب المضيئة

وللشاعر قدرة فائقة في وصف الطيور وأصواتها في القرية وتقدير رقرقة ماء البحيرة وانسياب شعاع الشمس وظلال الشجر ، يقول :

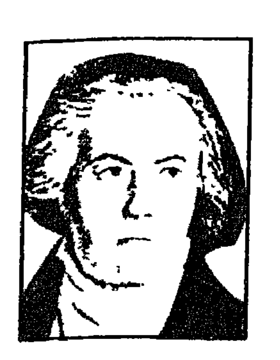
الديك يصيح .. الجداول تتمايل وترقص

العصافير تغرد .. البحيرات تلمع

الحقول الخضراء تطفو مطمئنة تحت شعاع الشمس

وفي أيامه الأخيرة واجه وردز كوارث شديدة في أسرته ، وفقد ثقته في العالم بعد ما شاهد نابليون يكتسح الشعوب بجيوشه ويقذف بها في بحار من الدماء ، وسيطر الاستبداد على أوربا وتحطمت أحلام الشعوب في الحرية والسلام والعدالة وانطفأت الشموع في قلب الشاعر .. وسقطت أوراق الشجر الخضراء ، وسكنته صحراء قاحلة .

وفي ليلة كان يقف يراقب عصفوراً يشرب من حافة البحيرة شعر بآلام حادة في قلبه فجلس على الأعشاب وعيناه تحملقان في البحيرة والعصفور والشجر والطيور ، ولفظ أنفاسه الأخيرة بين كائنات الطبيعة ، ووقفت العصافير تبكي عليه وتشرب دمعها .



لودفنج بيتهوفن

(١٧٧٠ -١٨٢١م)

الفنان العالمي لودفنج بيتهوفن عبقرية موسيقية حولت العالم إلى نغمات تتردد فى أعماق القلوب وتدوى فى آفاق الروح . فهل بيتهوفن مجرد موسيقار أبدع أم شاعراً عبر عن أحاسيس الذات ؟ أم فيلسوف تأمل بقلب من حرير يشتعل ليضيء العالم ويتعاطف مع أحزان البشر؟

ولد بيتهوفن فى مدينة بون بألمانيا فى ١٦ ديسمبر ١٧٧٠ وعاش طفولة هى بعض من المأساة التي شكلت عبقريته وساهمت فى عشقه للنغم . ظلت الآلام هى النبع الذي يغمر بحر الطفولة النقي العذب ، ثم تدفقت أمواج التعاسة لتجرف حياته في شلالات الكآبة ، ويبدو حقًا أن الألم العظيم يخلق فنانًا عظيمًا .

كان والد بيتهوفن يعمل مغنيًا فى كنيسة المدينة ويعاقر الخمر ، حيث يقضي ساعات كثيرة فى الحانات بين نساء الليل والسكارى ثم يعود مع خيوط الفجر إلى البيت منهاراً لا يدري شيئًا من حوله ، فكانت شخصيته هزيلة غير قادر على تحمل مسئوليات الأسرة .

ولهذا التدهور فى شخصية الأب قصة تعود إلى سخط وغضب والده «الجد لبيتهوفن» لأن والد بيتهوفن تزوج من امرأة .. كانت زوجة لأحد الخدم فى قصر الأمير وأدى ذلك إلى مقاطعته لابنه وأسرته .

شعر بيتهوفن بتلك المأساة التى لا تزول أو تخبو ذكراها وما تعانيه أمه من أحزان فى حياة صاخبة لا تعرف الحب أو الطمأنينة ، ومن جهة أخرى - مع مرور السنوات - أصبح بيتهوفن هو ابن المأساة والمحن . فقد ماتت أمه التي يحبها وتحنو عليه ويهرب إليها من قسوة أبيه . وكذلك فقد شقيقته الوحيدة التى يحمل لها عميق الحب . ثم طُرد والده من عمله نتيجة إدمانه للخمر وأصبح بيتهوفن هو المسئول عن اثنين من أشقائه ، فلجأ إلى العمل واشتغل عازفاً على آلة الأرغن فى كنيسة الدوق «فرانز مكسيميليان» إلى جانب دراسته للتأليف الموسيقي مع أستاذه «نيف» .

أحب بيتهـوفن الغناء الذي يردده الناس عند الصلاة داخل الكنيسـة ، فدأب على الذهاب إلى هناك والوقوف بجـوار عازف الأرغن يتأمل حـركة أصابعـه فوق المفاتيح ، وينسى نفـسه فى تلك اللحظات ويشرد ذهنه بعيداً فى الخيالات والأحلام .

وفى إحدى الأمسيات ذهب بيتهوفن إلى الكنيـسة فوجد الأرغن بدون عازفـه بعد أن انتهت الصلاة فـجلس وراح يعزف مقطوعة مـوسيقيـة من ابتكاره . فسمع الأب من الجهـة الأخرى هذه الموسيقى المنبعثة من الأرغن فذهب ليعرف لماذا لم يغادر عازف الأرغن الكنيسة حتى تلك اللحظة وعندما فوجئ بابنه بيتهوفن هو الذى يعزف من ابتكاره كاد أن يجن من الفرحة وبدأ يهتم بتعليمه الموسيقى .

وأخذ والد بيتـهوفن يحلم أن يرى ابنه فنانًا عظيمًـا مثل «موزار» ولذلك وضع له نظامًا دقـيقًا للتدريب وتعلم الموسيقى .. نظامًا لم يكن يراعي فيـه صحة الطفل ومدى احتماله والظروف التي يعيش فيـها حيث كان يعـمل فى النهار لينفق على أسرته ، ومع ذلك أرغمـه والده على التدريب المتواصل حتى ساعات متأخرة من الليل . بل إنه فى مـرات كثيرة يعود الوالد للمنزل بعد منتصف الليل ويذهب إلى بيتـهوفن ويجذبه من الفـراش ويأمره بالعزف ويظل مـعه حتى الصبـاح والفتى الصغير لم يذق طعم النوم . فكم تألم من هذه الحياة الجافة ، ولكنه تحمل وتعلم وتفوق لأنه عشق الموسيقى .

سافر الفتى إلى إيـطاليا حيث يقطن كبار الفنانين والعازفين الذين حـققوا مجداً كبـيراً وشهرة ونجاحًا باهراً. ذهب إليهم ليتعلم ويتلقى دروسًا فى التأليف الموسيقي ومن هؤلاء: موزار ، هايدن. ساليـرى. وقد آذهل بيتـهوفن هؤلاء الأساتذة بعـزفه الساحـر الذى يختلف تمامًـا عن السائد. ولا يمكن أن نقرر بأنه لم يتأثر بهم جميعًا ولكنه أضاف من إبداعه الخاص الذى يميزه عن الآخرين.

لقد حـقق شهرة فنية فى فـيينا ، واعترف له الجـميع بنضوج عبـقريته الفذة التي تأسـر النفوس وتضفي نوعًا من الـسحر والجمال على الحـواس . موسيقى مشـحونة بالعواطف الجيـاشة ، تحمل قدراً هائلاً من التعبير عن المعاني التى تنبض داخل الذات .

عاش بيتـهوفن صراعًا رهيبًـا مع المرض ، ففى عام ١٧٩٨ بدأ يشعر بالصـمم وتفجرت رحلة العذاب المرير ولاسيما بعدما أيقن أن مرض الصمم سوف يلازمه مدى الحياة فلم يستطع أن يخبر أحدًا من أصـدقائه أو يعبـر عن أوجاعه وإحـساسه بالانكسـار ، وبدأ يخلو إلى نفسـه ولا يخالط الناس كى لا ينكشف أمره ويقال أنه يكتب وصيته فى تلك الفترة .

لم يستسلم بيتهوفن لمرضه بل حاول أن يبدع أروع موسيقاه ، ويخلق ألحانًا جميلة تهز الأفئدة وتسحر العقول ، وكلما تفاقم المرض عليه ، دفعه ذلك إلى العمل الدائم فى مؤلفاته وألحانه وظل مرضه هذا عائقًا أمام تحقيق حياة زوجية إذ إنه لم يجد المرأة التي تقبل أن تحبه وتبادله المشاعر والأحاسيس وهو أصم .

حاول بيتهوفن أن يتناسى مرضه ، ذاب مع النغم ، فالمعاناة كانت تلهمه بالألحان الخارقة التي تحمل قوة نفسية تصارع الموت والفناء وتتحدى المرض .. إن الإبداع الموسيقي منح بيتهوفن حياة جديدة ومقاومة صامدة لم يشكُ أو يصرخ محتجًا على القدر أو الظروف . ولم ينحن للاحداث . بل يقاوم من أعماق ذاته ، يقاوم كل الأشياء التي تحاول أن تطعنه فى حياته وتحرمه من الحب والشرود مع الأصوات الغنائية فى الطبيعة . فالطبيعة هى الوحى والنور والصوت الشجي .

ويتوغل فى الغابات مسافات طويلة ويجاهد حتى ينصت إلى الأصوات ، لم تكن أصواتًا عادية ، هى أصوات خفية يسجلها وتصبح سيمفونيات عالمية . وعاشت موسيقاه تشيع نغمة التحدي والتفاؤل والرنين الذى يوحي لك بامتلاك الحياة والحب والناس ، ويبتسم بيتهوفن ساخرًا ويقول :

كيف أشكو إلى الناس الصمم وأنا الذى يُفترض فيه حسن الإنصات وقوة الاستماع ورهافة الأذن؟؟ كيف أعبر لكم عن مأساتى وأقول لو تسمح أن ترفع صوتك فأنا أصم ... ؟

وفى الفترة الأخيرة من حياته كان يضطر أن يجلس بالقرب من الأوركسترا حتى يسمع الممثل أثناء العروض ، ولم يجد إلا العزلة والشرود والصمت الذى يجلب له الأصوات الخفية .

ساهم بيتهوفن فى فن الأوبرا مثل موزار ، وفردي ، وفاجنر ، وهنز ، والأوبرا الوحيده التي قدمها هى : «فيديليو» وقد لاقت نجاحًا لأنها تميزت بكل معاني القيم الرفيعة والمثل العليا التى تعبر عن السمو وتجاوز الحياة العادية إلى عالم نقي طاهر . وظهر فى الأوبرا غناء المجاميع والغناء الفردي من خلال رواية تنقل لنا مظاهر الحياة وما يسودها من حرية وسجن وتحرر وعبودية .

إن الأوبرا هى فن بيتهوفن الذي يحرض على المقاومة للاستغلال والظلم ، الأوبرا لديه صوت من أصوات الحرية ، اقتربت من المنشور السياسي الذي يحث الجماهير على الإيمان بحياتهم الجميلة الخالية من العنف والقسوة والتشرد والضياع والقهر . لم تقف الأوبرا عند حد المتعة الفنية، وإنما الثورة الفكرية ومحاولة تغيير الذات والمجتمع والإيمان بالحب والشجاعة والأمل والتفاؤل .

وقد اشتد إعجاب بيتهوفن بالقائد الحربي نابليون بونابرت الذى رأى فيه صورة لمبادئ العدالة والإخاء والمساواة وفكر فى كتابة سيمفونية باسم نابليون ولكنه تراجع بعد أن غزا نابليون ألمانيا والنمسا وفقد إعجابه بهذا القائد الحربي ، وقد قال ذات مرة :

"إنني على استعداد لقهر نابليون لو توفر لى أن أحقق نبوغًا فى الحرب كما حققته فى الموسيقى ."

رفض بيتهوفن أن ينتمي لحزب سياسي خفي أو علني لأنه كان يؤمن أن الفن الحقيقي لا يمكن أن يحصر إبداعه داخل مذهب أو اتجاه خاص . إن الفن رؤية شاملة ، متعدد الأبعاد والقضايا ، مرتبط بالإنسان فوق كل أرض ..

وأعلن بيتهوفن موقفه ضد الأحزاب والعنف والأحقاد والظلم والاستبداد والاستعمار ، والدفاع عن حرية شعبه وحرية التعبير .

وقال عنه الشاعر الفرنسى لامارتين : إن ثورة بيتهوفن نابعة من كيان الإنسان الباحث عن حريته. وقال عنه الأديب الكبير فيكتور هيجو : إن بيتهوفن فنان من طراز نادر وفريد .

السيمفونية تعني مجموعة الأصوات المتآلفة فى لحن موسيقى طويل يخضع لقواعد وأصول فنية . وقد أبدع بيتهوفن فى التسعة ، وإن كان قد لجأ مقلدًا فى السيمفونية الأولى فإن الثانية قد أطلق عليها البطولة حيث جاءت مشحونة بالرومانسية والحلم وهى تلك التى أهداها إلى نابليون فى أول الأمر الذى اعتقد فيه أنه منقذ البشرية .

ونلاحظ أن موسيقى بيتهوفن تأثرت فى بداية حياته بأساتذته وأهمهم : موزار . ثم بعد ذلك اتجه إلى مرحلة رومانسية ثورية ، ثم مرحلة أخيرة التى اكتشف فيها مرضه واتسمت بالتأمل والاستغراق فى الطبيعة والعزلة والإحساس بالغربة .

أودع بيتهوفن فى حنايا موسيقاه كل مشاعر الحب والحنين ، عاش مع آلام الناس فى الواقع وعبر عن كل ما يجول فى قلوبهم ، وألهمته الطبيعة بعناصر السحر والجمال . ويقال أنه عندما ولدته أمه «ماريا ماجد الينا» شاهدت على نافذة الغرفة عصفوراً جميلاً يغرد لحنًا رائعًا وكأنه يستقبل الطفل ويتنبأ برحلة النغم والحلم التى سوف تصاحبه [illegible] العمر . وأحب بيتهوفن أمه ولم يجد بعد وفاتها من تشاركه عذابات حياته ومحنة مرضه .

عرف كثيرات من النساء ولم يقتنع أن هناك امرأة يمكنها أن تحتمل حياته الصاخبة الساكنة ، المنظمة الفوضوية ، وكان يقول ساخراً : **هل هناك امرأة تعشق رجلاً أصم ؟**

ومن تلك النسـاء أحبتـه فتاة وهامت به فكانت تـأتي لتقف تحت نافذته لتسمع ألحـانه ويقول عنها:

ـ لقـد أعجبت بهـا ولكنها لـيست لي ، فهـي جميلـة وأنا أعشق الجمـال ومع ذلك أخاف علـيه من الآخرين ...

وتعرف بيتهوفـن على إحدى الفتيات وأحبها وفكر في الزواج منهـا وهي «تيريز مالفاتي» ابنة أحد أصحـاب الأراضي البسطاء ، ولكنه رفض الزواج منها خـوفًا على حياتـها ومستقـبلها إذ لا تستطيع أن تواجه ثوراته وغضبه وحالاته الغريبة التي تنتابه فإنه إذ يهم بتناول طعامه ينهض مسرعًا ليركض في الغابات ويجلس تحت الأشجار يتأمل ثم يهرع إلى البيت ليعزف ويؤلف .

وأحب بيتهـوفن إحدى فتيـات الطبقة الراقية وأحـبها حبًا عنيـفًا ، وأخيرًا عندمـا مات وجدوا رسالة على مكتبه يقول لها :

معبودتي .. حبي الوحيد .. اذكريني دائماً .. لن أنساكِ .. وكم تمنيتُ لو شاركتني ما تبقى لي من أيام على هذه الأرض .

رحل بيتهوفن في ٢٦ مـارس عام ١٨٢١ بعد أن حقق مجدًا كبيرًا وأسس مـدرسة تخرج منها أعظم الموسـيقـيين في العـالم : مندسون ، فـاجنر وغـيرهم ، الـذين ساروا على دربه وأفـادوا من أسلوبه والقواعد التي تركها لهم . رحل عبقري الموسيقى الذي هز وجدان البشر وعبر بالنغم عن طمـوح الإنسـان وثورته وحـريته وقـيـمه العليـا . رحل الفنان العـالمي ولكنه ما زال في الوجـدان والفكر، نعيش معه الحب والحياة والإيمان ، والقيم الإنسانية .



والترسكوت

(١٧٧١ - ١٨٣٢م)

ولتر سكوت مؤسس الرواية التاريخية فى الأدب الإنجليزي التي تعتمد على سرد قصصي يدور حول حوادث واقعية فى محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص من نسيج الخيال أو الحقيقة .

وإذا كانت الرواية التاريخية تلزم الكاتب بالصدق والموضوعية فى معالجة التاريخ فإن ولتر سكوت قد منح نفسه حرية فى تحويل وقائع التاريخ إلى حد بعيد . وجاء ذلك فى رواية «الطلسم» التي تتناول موقفًا مشهودًا بين ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين الأيوبي ، وافتقدت الرواية إلى الدقة والصدق الفني .

بدأ ولتر سكوت حياته شاعراً رقيقًا ينثر على صفحة البحيرات الساكنة نغمات القلب الحزين والذات المنعزلة بين الغابات وأعشاب الطبيعة الصامتة ، ولكن اتجه إلى الرواية التاريخية بعدما أصدر قصيدة طويلة فى كتاب تحت عنوان : سيدة الأغنية الأخيرة .

أما عن طفولة ولتر سكوت فقد أصابه مرض أحدث شللاً فى قدمه اليسرى وبدأ يشعر بالحزن والخجل حين يسير أمام الناس بصعوبة على قدم واحدة .

حاولت أسرته أن تساعده نفسيًا فأرسلته إلى مزرعة جده ، وعاش هناك سنوات يخرج إلى الحقول ويشاهد قطعان الماشية والعصافير فى المراعي الشاسعة ويظل ساعات طوال يقف متأملاً جمال الطبيعة .

بدأ يكتب قصصًا قصيرة حملت ملامح من حياته فى المزرعة وحازت على إعجاب أصدقائه ، وظل يكتب ويقترب من الناس فى المزرعة يستمع منهم إلى حكايات عن وطنه أسكتلندا أو تاريخ إنجلترا .

اتجه إلى القراءة فى تاريخ أسكتلندا وتعمق فى دراسة الأدب الشعبي والتراث التاريخي ثم

درس القانون وعمل محاميًا لمدة عشرة سنوات .

في عام ١٨٠٢ نشر أول ديوان وهو «الأغاني الشعبية» من تراث أسكتلندا، ثم أصدر ديوان : "سيدة الأغنية الأخيرة" ، وكانت أول رواية هي «المتذبذب» ، ثم كتب عدة قصص مستوحاة من تاريخ أسكتلندا في مجموعة «عروس لامرمور» .

وتزوج والتر سكوت وأصبح كاتبًا مشهوراً واشترى مزرعة ، ثم قرر أن يضاعف ثروته فاتجه إلى الأعمال التجارية حيث تخصص في نشر الكتب ، ولكن هذه الأعمال فشلت واكتشف سكوت أنه مديناً بمبلغ كبير من المال .

ظل يعمل في تأليف الروايات التاريخية ويستنزف طاقاته الفكرية حتى أصدر مجموعة أعمال روائية كثيرة منها : روكي ، الدير ، القرصان ، الطلسم ، حكايات جد ، القصر الخطر ، بائع الأثريات ، وغيرها .

ونتيجة لهذا الإرهاق الشديد تهاوت صحته وضعفت ذاكرته وهاجمته الأمراض حتى سقط مريضًا ولفظ أنفاسه الأخيرة .

بعد وفاة سكوت ظلت كتبه رائجة وتباع في كل أنحاء إنجلترا حتى تم إيفاء مستحقات الدين الذي أرهق حياته ، وقد اعتقد سكوت أنه قد سدد دينه قبل وفاته .



كولردج

(١٧٧٢ - ١٨٣٤م)

شاعر القلق والهـذيان والجنون فى صفحات الشعـر الإنجليزي . خيال جامح ورغبـة عنيفة فى الانفلات مـن أسر الزمن الراهن والهـروب إلى عالم آخـر تحاصره المـدائن الساحرة .. والـغابات الموحشة والكائنات الغامضة الغريبة المرعبة .

قصـائده مشاهد خـرافيـة ، وصور تبحث فى خـوارق الطبيعـة وما بعـد الموت وما قبل الحـياة وينتمي فى رؤاه إلى ماض تتجسـد على صفحته شجاعة الأبطال المغامـرين والبحارة الثائرين على مراكب المجهول ومع رياح العدم تواجـههم الأشباح والطيور وقد يغرقون جـميعًا فى بحار الوهـم ويتناثرون حطامًا على ضفاف الموت والفجيعة .

لم يكن كـولردج يـبالي بأحداث اللحظـة الراهنة بقدر اسـتـغراقـه فى الـخيـال واجـتيـاح ذاته بانفعـالات عصـبية عنيـفة يود من خـلالها استـعادة نوع من الحلم الغـريب .. والحيــاة المدهشة .. والسفر إلى أرض السحر والغرابة والجمال .

وعندما بدأ كولردج يشكو آلاماً حادة فى معدته اضـطر أن يلجأ إلى تعاطي «الأفيون» ليخفف عنه تلك الآلام التي تمزقه ، ويصرخ كالحصان المطعون ويرتمي فى الأرض منهاراً .

وبعد سـنوات اكتشـف أنه مـدمن للأفيـون الذي يشفـيه تمامًـا من الآلام ، ثم يجلس فى هدوء ليكتب أروع قصائده وأبحـاثه النقدية . ولكنه ظل بعد ذلك عشـرين عامًا يحاول شفـاء نفسه من الإدمان فلم يفلح فى ذلك .

يعتبـر كولردج قطبًا بـارزاً من رواد الرومـانسية فى الشعـر الإنجليزي ، وقد اشترك مـع صديقه وردزورث فى نشر ديوان شعري بعنوان « الأغاني الشعبية» الذي اعتبر بداية لمرحلة الرومانسية فى الأدب الإنجليزي .

والصور الشعرية لدي كولدرج منتزعة من الخيال الغارق فى الغموض والأوهام إلى الحد الذي أحيانًا تصبح القصيدة أقرب إلى الهذيان أو الهلوسة الذهنية ، فهو دائمًا يستمد أفكار قصائده من القصص القديمة والأساطير الغريبة ويهدف فى ذلك كما يقول إلى إثارة خيال القارئ.

قرأ كولردج فى الفلسفة كثيراً وتكونت له رؤية عن الحياة وموقف للشعر يهدف إلى ابتعاث تلك الخرافات التي تذهل القراء وتأسر أذهانهم وترحل بهم إلى مدائن العجائب . ومن قصيدته «مغامرات ملاح قديم» يصف رحلته ، يقول :

هب النسيم العليل وتطاير الزبد الأبيض

وانشق الماء فى يسر

وكنا أول من انطلق فى هذا البحر الساكن

ثم تراخى النسيم وهبط شراع

السفين وعرانا اكتئاب

ما بعده اكتئاب

ولم تنفرج شفاهنا عن لفظة

ألا لنشق بها سكون البحر العميق

عشق كولردج الجمال فى لغة الإبحار والمفاجآت وانفجار النفس الحالمة بعالم آخر مهيّئ لإثارة الدهشة واللوعة فى القلب .



آرثر شوبنهاور

(١٧٨٨ -١٨٦٠ م)

نشأ في هولندا وواجهت عائلته حوادث غريبة تركت أثراً في حياته وفلسفته وكتاباته ، فقد عاش شقيقان من أجداده في مستشفى الأمراض العقلية وأصيبت والدته بالجنون ، أما والده فقد تميز بحدة الغضب والثورة لأتفه الأسباب والإحساس بالملل والضجر والتشاؤم .

ويبدو أن شوبنهاور قد ورث شيئًا من هذا الغضب والضجر فيقول :

«غمرني ، وعمري لم يتجاوز السابعة عشر ، الشعور بتعاسة الحياة كما شعر بوذا في صباه عندما اكتشف وجود المرض والشيخوخة والموت ».

وحدث أن سافرت أسرة شوبنهاور إلى لندن ، وتصادف أن شاهد هناك عملية إعدام فأدى ذلك إلى سخطه على الأنظمة وإحساسه بالضجر الذي يلازمه . وبدأ يكتب مقالات تكشف عن سمات المجتمع الإنجليزي الزائفة ومعصية الدين ودعا إلى حرية الفكر والتسامح والأخلاق الدينية.

وسافرت أسرته أيضًا إلى فرنسا ، وأتاح له ذلك الإطلاع على الفنون والمتاحف والحياة الأدبية ولكنه كان يشعر دائمًا بهذا الضجر والتشاؤم .ومما ساهم في شقاء ذاته وتمزقها عندما زار السجون في فرنسا وتألم للبؤس والتعاسة والفقر الذي يعيش فيه السجناء ، ودون هذه المشاهد في كتابه «يوميات السفر» .

مع مرور الأيام يواجه آرثر حقيقة مخيفة ومروعة وهي أن أمه ظلت طوال عمرها لا تحب أباه . وقد لاحظ آرثر ذلك عندما كان والده مريضًا وأمه تقيم الحفلات الصاخبة وتراقص الرجال في خلاعة وبذاءة .

وقد أكـدت جوهانا أمـه هذه الحقيقـة عندما كـتبت فى مـذكراتها أنـها لم تكن تحب زوجـها إطلاقًا. ولذلك بدأ آرثر ينظر إلى المرأة فى احتقار وقال فى بحث له حول «النساء» :

- إن المرأة روح لعوب لا ترى إلا ما هو أمام عينيها .

وتتفاقم الأحداث فى حياة آرثر شوبنهاور إذ تتفاخر أمـه بعلاقاتها الغرامية المشينة مع المعجبين بها من الرجال ، وتقول :

- إن لى من المعجبين كثيراً .

ونظر لها آرثر وقال :

- إن ما تفعلينه ظلم فادح ، والظلم من صلب طبيعة المرأة التي تسعى إلى تبديد المال والركض وراء المتعة .

ولم يجد آرثر شوبنهاور حـوله إلا أخته أويل التي أحبها وكان يتعذب ويبـكي على كتفها ولا يدري أين يذهب أو ماذا يفعل .

وأصبـحت علاقة آرثر بالمرأة واهيـة قائمـة على الشك والاحتقـار . وقد عرف فـتاة وأحبـها ، وعندما أوشك على الزواج منها سمعها ذات يوم تشيـر إلى الشاعر بايرون بإعجاب ، فابتعد عنها ولم يرجع إليها إطلاقًا .

انجرف آرثر شوبنهاور فى مغامرات عاطفية مع نساء الليل وقد أنجب طفلة من امرأة وطلب من شقيقته إعطاءها مبلغًا من المال وهرب من حياتها .

غير أنه عشق امـرأة اسمها كارولين ورغم أنها تمنح جسدها لمن يدفع المال إلا أنه ظـل يعشقها عشر سنوات وقد كتب لها قصيدة هى الأولى والأخيرة قال فيها :

الجوقة تغني فى الشوارع الضيقة

قدماى فى الماء وفى الثلج

ألف جسمي بمعطف خفيف

أتطلع بشوق نحو نافذتك

ولكن شعاع عينيك

يملأني بحرارة إالهية

وظلت نظراته إلى المرأة مرتبطة بغضبه على أمه وإحساسه بالسخط والنقمة والضجر . وفى عام ١٨١٣ قامت حرب الاستقلال فى ألمانيا فهرب من برلين ، واعتزل فى إحدى القرى وكتب مؤلفه الذى نال عنه الدكتوراه فى الفلسفة .

وحين توفيت أمه حرمته من الميراث ، ثم توفيت أديل شقيقته فترك ذلك أثراً خطيراً فى نفسه .

واشتهر آرثر وبدأت الجامعات تدرس كتبه والصحافة تنقل أخباره ، وقد تميزت فلسفته برفض العرف والتقاليد والقيم الشائعة . وسخر من أوضاع المجتمع وواجه المثقفين بلذعات نقدية شديدة.

وذات صباح أثناء تجواله فى الحديقة شعر بتعب شديد فى قلبه ، وشاهده صديق فحمله إلى البيت ، وعندما زاره فى اليوم التالى وجده ميتًا تحت صورة جدته .

ووجدوا على مكتبه كلمة لشكسبير يقول فيها :

صباح الخير يا سادتى

اطفئوا الشموع فقد انتهت لصوصية الذئاب

انظروا إلى عذوبة النهار

يغمر العالم بالروح !!



اللورد بايرون

(١٧٨٨ - ١٨٢٤م)

اللورد بايرون الشاعر الأعرج الذى حاول أن يحقق بطولة فردية تدهش المجتمع والناس فاكتشف أن طريقه إلى هذه البطولة غارق فى بحر الإثم والخطايا والمحرمات ، فاندفع إلى الفسق والفجور إلى الحد الذى أدى به إلى أن ينجب من اخته أوجو ستالي طفلة هى رمز الجريمة الكبرى والسقوط الأخلاقى .

وثار الناس فى إنجلترا ضد هذا الشاعر ، وغضبوا عليه ورفضوه ، ولكن بايرون كان يرى أن طريق المعصية والخطيئة مقدر عليه ، فقد كان والده رجلاً ماجنًا اختطف فتاة وتزوجها ، ثم تركها واتجه إلى امرأة أخرى سلب منها ثروتها وأنفقها على حانات الليل ، ثم هجرها ليموت خارج الوطن .

وكذلك عم بايرون اقترف جريمة قتل فى نزاع مع رجل داخل إحدى حانات الليل ، أما أمه فهى امرأة شرسة الطباع .. قاسية القلب ، إذا غضبت تمزق الأشياء وتحطم الأواني وتدعو بايرون بالصبي الأعرج .

أحس بايرون أنه منقاد إلى دروب وعرة ومظلمة وأن كرامته جرحت كثيرًا ، وكم مرة حاول الانتحار وأمسك بسكين ليذبح عنقه ولكن أخته كانت تسرع لإنقاذه . وعندما أحب فتاة اسمها "مارغريت باركر" وأحس أن ذاته بدأت تتفاهم مع هذا العالم الموحش أصيبت الفتاة بداء الصدر وماتت فظل ماضيًا فى سلوكه الفاسد من جنوح وشذوذ أخلاقى.

وتزوج امرأة اسمها ملبانك وأنجب منها طفلة ، ولكن بعد عام هجرته لسوء سلوكه فقد استدعت يوما طبيب الأمراض العقلية ليعالج بايرون لأنه قال لها فى ليلة الزواج :

- أنت الآن زوجتى وذلك سبب كاف لكرهك ولكنك لو كنت زوجة سواى لكان ذلك كافيًا ليجعلنى أحبك .

وحين أكد لها الطبيب أن بايرون فى حالة عقلية سليمة . قالت له : يمكن أن يكون سليمًا عقليًا ولكن مجنون أخلاقياً

ولكن الزوجة المسكينة لـم تتحمل أكثـر من عام معه وهجـرته إلى الأبد . وقفت طبقـة النبلاء ضد بايرون بعدما أشيع عنه أنه ينحدر من عـائلة قاتلة عريقة في الإجرام والتوحش ، وأنه ليس له هدف إلا البحث عن اللذة المحرمة وعصيان القوانين الأخلاقية والدينية .

وعندما أصـدر ملحمة «تشـايلد هارولد» أصبح شاعـراً مشهـوراً ، يقول : بعدمـا نشرت هذه الملحمة صحـوت ذات يوم فوجدت اسمي ملء الاسماع . وصور فى هذه المـلحمة البطل الغارق فى الملذات ويحـتقـر الناس ولا يبـالى بأفكارهم بل تائر وغـاضب على القوانين والأعـراف . ثم صوراً أخـرى لنقد عنيف للعصر الذي يعـيش فيه وكـراهيته لمعتـقدات الناس وأفكارهم . ورغم ذلك لم يسـامحـه الناس فهـجر إنجـلترا وذهب إلى سـويسرا وإيطالـيا ناقـمًا على وطنه ، وكـتب مسرحـية "مانفرد" ونظم قصـيدته «دون جوان» . وأعجب بايرون بالقائد نـابليون وحزن من أجله عندما هزم فى «واترلو» وكتب قصيدة غاضبة إلى البحر يقول فيها :

يا طيب عيش بين غاب موحش

أو فوق شط مقفر

وسحر موسيقى الهدير الصاخب

الناس خلانى

ولكن الطبيعة لى خليل أقرب

ولكم أفيق من الحياة

لاختلى بالكون فى دله

فيخفق بى الفؤاد خفوقًا

يعيا البيان به فلا يطاوله

وأنا أنوء به

فما أقوى على كتمانه

وسافـر بايرون إلى اليونان ليحـارب معها ضـد الأتراك ، ولكنه أثناء النضال والحرب أصـابته حـمى شديدة وتوفى عن سـتـة وثلاثين عامًـا وقبل أن يموت قـال : **لقد وهـبت اليونان حـياتى** . واهتـمت به اليـونان وتنكرت له إنجلتـرا ، وقـد ظل بدون ضـريح فى إنجلتـرا حـتى بدأت حـملة تبرعات لبناء قبر له فرغم آثامه إلا أنه شاعر مبدع وغريب .



شيللى

(١٧٩٢ - ١٨٢٢م)

شيللى قصيدة منشورة على كف الريح .. ورعشة الورق العاري تحت المطر.. وارتجافة النهر الثائر .. وغضبة الأمواج الرافضة لضفافها وشطآنها .

عاش شيللي يرتعش من الظلم .. وتضيئ الدمعات فى أحداقه إذا ضربته الأحقاد .. ويصرخ متفجراً في مواجهة العبودية وانسحاق الفرد أمام قوى التعسف والقهر . فلا حيلة له سوى العزلة تحت أجنحة الليل يرسم قمراً من الياسمين وشمسًا حانية ونوراً دافئًا وقلبًا منكسراً ، ولكنه يحتضن الفقراء والمحزونين .

عشق شيللى الحرية ووهب ذاته للصحراء التي طوت أجنحتها وغابت تحت خُطا الطغاة الذين خضبوا وجه الحياة بالدم والعويل واليتم والسقوط .

وحين تملكته حدة الغضب والرفض لعصره أصدر كتابًا عنوانه : «ضرورة الإلحاد» عندما كان طالبًا في الجامعة مما أدى إلى مصادرة الكتاب وطرده من الجامعة .

بحث شيللى عن ثقب فى هذه الجدران التي تحاصره لينفذ منه إلى العالم الذى تسكنه شهوة تغييره . فلم يتلمس سوى دمعات التعاطف وخفقات الحب من فتاة اسمها "دهاريت ويستبروك" ، ونام تحت ظل أهدابها يحلم بجزيرة تسكنها ملائكة وليس وحوش بشرية .

وكتب شيللى أجمل قصائد الحب لحبيبته «دهاريت» وتشاء الأقدار أن ترى هذه القصائد مديرة مدرستها فتطردها وتلعنها لأنها تحب شاعراً مارقًا وفاسداً.

ولكن شيللى يقرر أن يتزوجها وينقذها من العذاب . ولم يستمر زواجهما طويلاً لأن شيللى يرى العالم ألوانًا من السحب والغيوم ويغيب فى حالات من الوجد والفكر العميق ولم تفهمه فتاته ، وانفصلا .

عشق فتاة أخرى اسمها «ماري» وسافر معها فى رحلات إلى سويسرا ، وفى ليلة حزينة علم بانتحار زوجته «دهاريت» تاركة له أبناءها .. ولكن المحكمة رفضت أن ترد له الأبناء لسوء سلوكه.

غضب شيللى .. وشعر بالسخط وأطلق ذاته فى الرياح الباردة ووقف يغنى أمام البحر ويبكي وحدته وشروده وضياعه فى مجتمع تجمدت مشاعره وتحجرت أحاسيسه . وكتب «أغنية إلى الريح الغربية» :

يا رياح البحر العاصفة

يا نفسا ينبعث من كيان الخريف

أنت يا من تساق أمام وجودك الخفي

الأوراق الميتة كأشباح تولي هاربة من ساحر

صفراء وسوداء وشاحبة وحمراء محمومة

جموع روعها الوباء أنت

يا من تحملين البذور المجنحة فى عربتك

إلى مثواها المظلم الشاتي

وارتمى شيللى منهاراً فى أحضان فتاته ماري لا يملك إلا قصائده وثورته على واقعه ، وإيمانه العميق بأنه يستطيع أن يغير هذه الأشياء ويفجر الثورة فى الجمود والأفكار البالية التي مازالت تقتات رماد اللغة وتفاهة الحياة .

وفى ليلة عاصفة جلس فوق سطح المركب فى إحدى رحلاته وشرد بذهنه وغاب هناك فى أحلام نائية ، ووجوه تناديه والبحر ثائر أمامه وأنامله ترتعش فوق صفحة بيضاء ينقش قصيدة اسمها : «انتصار الحب» ..

وفجأة علت الأمواج وارتفعت وجرفته فى أحضانها ودفعته الريح إلى الأعماق وغرق بين الريح التى ظل يغني لها وبين البحر الذي بثه عذاباته وشكواه وطرح عليه سخطه وغضبه وحزنه ، يقول شيللى عن لحظة الإبداع الشعرى :

الشعر سجل لأسعد اللحظات وأفضلها

والشعراء هم مشرعوا العالم غير المعترف بهم

ويظل شيللى نجماً مضيئاً فى سماء الأدب الرومانسي الإنجيلزي ، وأحد الرواد الذين تعلمنا منهم كيف يرتعش القلب فى لحظات الحب وكيف يثور الفرد فى مواجهة الظلم والقهر .



لامـارتيـن
(١٧٩٠ - ١٨٦٩م)

شاعر الرقـة والأحاسيس الشفـافة ونبضات الروح الخـافقة بأنين الحب والهـوى . شاعر رسم على كف القدر عيون حبيبته ووهب ذاته للريح والدمع والذكريات الحالمة .

ولذلك يعتـبر ديوانه الرائع «التأمـلات الشعرية» الـذي نشر عام ١٨٢٠ من أهم القـصائد التي عبـرت عن تلك الخصـائص المفرطة فى الوله والعـذاب والحنين إلى حبـيبـة القلب التي ذابت مع الريح وشمس النهار الغارب ..

إنها تجـربة حب حقـيقـية عاشـها شاعـر الرقة والحنين مع امـرأة افترسـها المرض ونهش قلبـها وتوفـيت بعد سنوات وخـلفت الشاعـر الحزيـن تضربه أمـواج الحزن وتلـهو به عـواصف الحيـاة وحيداً.. يتيمًا يزرف الدموع والحسرات .

وهذه المأساة هى التى جعلت من أشـعاره لمسات حنونة ، تؤثر فى قلوب الناس وتثير الـشفقة والتعاطف ..

ولعل الظروف السياسيـة التى كانت تمر بها فرنسا ، حيث الحروب والشـهداء والقتلى والحزن الذي تسلل إلى كل البيوت قد هيـأ نفوس القراء إلى هذه القصائد الحزينة . فقـد عانت فرنسا من حروب نابليون التي أحالت العالم إلى كتلة من الدمار والحرائق .

غرق لامارتين فى عذابات الوحدة ..

وتلاشت أمانيه .. وتحطمت أحلامه .. وتمزقت خيوط الضوء التى تجسد له وجه الحبيبة ..

وكان يذهـب كل يوم إلى البـحيرة التى اعتـاد أن يلتقى على ضفافـها مع حبيبـته ، ويجلس فى صمت تنساب من عينيه الدموع ويتأمل العالم من خلف غمامة من الولـع والفجيعة .

ويمضى أخر النهار منكسراً يجلس فى غرفته منعزلاً عن كل ما فى الحياة .

ويقول لامرتين :

– أنا أول من أنزل الشعر من جبل البرناس ليعزف على أوتار قلوب البشرية ..

ويقصد بذلك تحليله لتأثير قصائده على مشاعر الناس وإدمانهم الغريب لهذه القصائد الحزينة واشتهرت هذه القصائد ، وهى :

البحيرة ، الوادى الصغير ، هذا المساء ، الوحدة ، ذكرى دعاء ، الشاعر المحتضر .

ومن أجمل قصائده الحزينة يقول :

إن القيثار يبعث أجمل انغامه

حين ينكسر

وإن المصباح يرسل أبهى أضوائه

حين يخمد

وإن البجعة ترفع طرفها إلى السماء

حين تسلم الروح

والإنسان وحده يرفع البصر

إلى الوراء

ليعد أيامه ويبكيها

عشق لامرتين الطبيعة وتأثر بألوانها وسكنت فى داخله نسائم حانية وأعاصير ضارية وأمواج ساكنة وهادرة .

ولعل صور الطبيعة فى حالاتها قد طبع روحه وأحزانها بالكآبة والأسى العميق .

ومن أهم خصائص تجربة الحب فى حياته أنها مثالية وشفافة وإن كان يشوبها بعض التشاؤم والضجر . إلا أنه شاعر الرقة والحنين والبراءة أيضًا

وقد تكشفت له هذه التجربة عن معنى الموت وصراع الأقدار ورحلة العدم والفناء والبحث عن مصير الإنسان .

وبعد رحيل حبيبته يقول عن ذلك :

أيها الأزل أيها العدم

أيها الماضي

يا هوة سحيقة ظلماء

ماذا تصنعين بالليالي

التى فى جوفك تبتلعين

انطقي أأنت رادة إلينا

لحظات النشوة العظمى

التي كانت لنا

وسلبتها ؟

ويظل لامرتين شارداً فى الطبيعة بعد رحيل حبيبته متأملاً ما حوله فى ذهول لا يكاد أن يصدق ما حدث ويقول :

تحطمت كأس عمري وهي مترعة

وتصرمت حياتى زفرات فى كل نفس

وعىّ بإمساكها ما أرسلت من عبرات وحسرات

وقرع الموت بجناحه الناقوس

الباكي على مؤذنًا بساعتي

الأخيرة

فليت شعري ..

أأنوح . أم أغني ؟

ويخاطب البحيرة حين يأتى إليها بعد عام من رحيل الحبيبة ، ولا يدري كيف يواجه مصيره وهو يعاني الحرمان والوحدة ، يقول :

انظرى أيتها البحيرة

هاهو ذا العام قد كاد

يشارف تمامه

وأنا وحدي بجانب أمواجك

الحبيبة

أرتقب عبثًا عودة حبيبتي إليَّ

جالسًا فوق الصخرة التي

كنت ترينها جالسة عليها

لقد عرف لامرتين نساء كثيرات فى حياته فقد أحب لوس ابنة أحد جيران أسرته وهى فتاة جميلة حادة الخيال والذكاء وأمضى لامرتين معها أيامًا جميلة يتجولان فى الحقول والريف الفرنسى ويعزف لها أجمل قصائد الحب بين سكون الطبيعة وأنغام القلب ويقول :

إن قلبي فى رخاء

ونفسي فى سكون

وإن ضوضاء العالم لتفنى

قبل أن تصل إلىّ

كالنغم البعيد يخفت على طول المدى

ثم لا يقع منه فى الآذان

إلا صدى

وعشق لامرتين امرأة أخرى ابنة أحد صيادي الأسماك فى مدينة نابولي وكانت تعمل فى مصانع لفائف التبغ وتأثر بها إلى الحد الذى كتب رواية باسمها وقصائد كثيرة .

ولكن المرأة التى عشقها إلى حد الجنون هى جوليا التي ماتت وكان يلتقي معها على ضفاف البحيرة كل مساء وقد ألهمته أروع قصائد الحب ..

وقد فقد توازنه النفسي بعد رحيلها وأصابه الذهول وأخذ يركض فى الغابات متأوهًا يصرخ قائلاً :

أنت يا من ظهرت لي في صحراء

هذه الدنيا

يا ساكنة السماء

وعابرة هذه الأرض

يا من أضأت لي بشعاع من الحب

هذا الليل القاسي

اظهري بشخصك لعيني المشدوهة

وقولي لي ما اسمك

وما وطنك وما حظك

أأنتِ من سلالة أرضية

أم أنتِ نفحة قدسية .

وقد تولى لامرتين مراكز دبلوماسية في نابولي وفلورنسا وقام برحلات إلى المشرق ، زار اليونان وفلسطين ولبنان وانتخب عضواً في المجلس النيابي ، ونظراً إليه الشعب على أنه الأمل الجديد في الإصلاح والقضاء على السياسة العقيمة وقام بجولات سياسية ضد الحكومة داعيًا إلى الحرية والإصلاح حتى عُيِّن وزيراً للخارجية وذاع اسمه في أنحاء فرنسا .

وفي انتخابات رئاسة الجمهورية رشح نفسه أمام لويس نابليون الذي فاز عليه فاتجه لامارتين إلى الأعمال التجارية وخسر معظم ثروته .

ولكن وقف نابليون بجواره وخصص له راتبًا سنويًا

وأهم أعماله الشعرية :

التأملات الشعرية ١٨٢٠، التأملات الجديدة ١٨٢٣ ، موت سقراط ١٨٢٤ ، الإيقاعات الشعرية ١٨٣٠ ، جوسلان ١٨٣٦ ، سقوط ملاك ١٨٣٨ ، ورافاييل ١٨٤٩ ، مسارات ١٨٥٠ ، دروس في الأدب ١٨٥٦



توماس كارليل

(١٧٩٥ - ١٨٨١م)

أديب فلسفة القوة والبطولة الذي يردد دائمًا : إن روح البطولة هى رائدة التاريخ وباعثة المدنية والحضارة والثائرة على جمود الحياة .

قرأ فى الفكر الألماني وتأثر بكتابات الفيلسوف هيجل عن البطولة بأن وراء كل أمة أو شعب فكرة عملاقة تدفع الشعوب إلي التقدم فى جميع شئون الحياة والمعرفة من فلسفة دين وفنون وأخلاق وإبداع . وتلك هى روح البطولة التي تسكن فى ضمير الإنسان وتثير فى داخله الرغبة في التفوق والطموح إلى الإنجازات العظيمة .

ولذلك أصدر كارليل كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» وطور من فكرة هيجل ، وأكد أن الأنبياء والملوك والزعماء والكهان الذين شقوا طريقًا من النور فى قلب الظلمات هم أبطال العصر وروّاد المعرفة وملائكة الفضيلة ،وهم الذين يصوغون وجدان الأمة ويبعثونها من الرقاد الطويل ويحققون المعالي والقيم الكبرى .

واستطاع كارليل أن يرسم صورة للبطولة قريبة من ذهن الناس ومنتزعة من البيئة والتاريخ فاختلفت فكرته عن هيجل الذي صورها مجردة وفوق احتمال البشر .

أما كارليل فإنه بحث فى التاريخ والتراث وتحدث عن الفلاسفة والأنبياء والمبدعين وأصحاب الرسالات وأكد أن هؤلاء هم الأبطال الحقيقيون الذين يصارعون الفساد ويحاربون الظلام وينشرون النور ويدعون إلى الحب ويعبدون الخالق ويقدسون الجمال ويغمرون العالم بما يفيض فى قلبهم وأرواحهم من رهافة الحس وعذوبة الإحساس وأيضًا الرفض لليأس والدعوة إلى التغيير والبناء على مبادئ الحق والخير والسلام والجمال .

وفى كتابه «تاريخ الثورة الفرنسية» غضب كارليل على مبادئها وأساليبها ، واعتبرها «وحشية جموع نهش فى لحمها الجوع وفرق قلبها الحقد والحرمان» وأنكر بطولة هذه الثورة وسخر من

شعبها الذي اندفع وراء شهواته فى فوضى عارمة خالية من الروح الدينية والقيم الروحية .

وأصدر كارليل كتابًا آخر عن الزعيم الإنجليزى كرومويل الذى اتخذ لنفسه لقب «حامى إنجلترا» وفشل فى تحويل الدولة العسكرية إلى مدنية وقد قاد الجيش البريطاني وحرض على إعدام الملك عام ١٦٤٩ وواجه الثورة الإيرلندية بذبح حامية دبلن التي تتألف من ٢٨٠٠ رجل.

ولا ندري كيف أصدر كارليل كتابًا عن هذا الزعيم واعتبره رمزًا للبطولة ؟ ولكن كارليل تغيرت أفكاره بعد الثورة الإيرلندية ودعا إلى البحث عن روح البطولة مرة أخرى بعيدًا عن سياسة القمع والإرهاب .

ولتوماس كارليل مجموعة مؤلفات أخرى هى : "فلسفة الملابس" ، و«الأبطال» وعبر فى هذه الكتب عن غضبه الشديد لما يسود عصره من نزعات شريرة وتمجيد للعنف والثروة والجنس والمال وعبادة الشهوات وإهمال الجانب الروحي والإنساني فى الفرد ، يقول :

- أنتم ترقدون تحت ستار من الرفاهية الخادعة التي تخفي فقرًا فى الروح .

وقد ولد توماس كارليل فى إحدى قرى أسكتلندا فى رعاية أب يميل إلى التعسف والقسوة والتزمت الديني ، وقرر الأب لتوماس أن يدرس فى جامعة أدنبره ليصبح قسًا ولكن توماس لم يكن راضيًا عن ذلك ودرس اللغة الألمانية واتجه إلى الترجمة واتخذ من الأديب الألمانى «جوته» رائدًا للمثل والمبادئ الأخلاقية والقيم الأدبية . ويظل توماس كارليل نموذجًا للأديب والمؤرخ الذي طبع أثره على عصره وواكب الحركات السياسية البارزة ، ودعا إلى إصلاح الإنسان من الداخل والاهتمام بكيانه الروحي وطموحاته إلى المستقبل إلى أن يصبح أحد أبطال العصر.



جون كيتس

(١٧٩٥ - ١٨٢١م)

شاعـر الأعماق الساكنة والتـأمل فى الطبيعـة البريئة وانسيـاب غدرانها .. ورقرقـة أنهارها .. وتدفق بحيراتها.. وشموخ أشجارها .. والسنابل الناعسة فى وديانها .

جون كـيتس يتعذب على أوتار الحنين .. منجـرف إلى الماضي العريق وروعتـه وصـور البطولة في التاريخ .. وإنجازات العظماء وصوت التمرد القادم من الأعماق السحيقة .

هذا عاشق لا يحيا فى عصره وإنما منساق إلى تهويمات الذهن .. وشرود العقل .. وعناق تلك الأرض فى أثوابهـا الخضراء وأعـشابهـا الذهبيـة وعصـافيـرها المغردة . والنجم المتـلألئ هناك فى الآفاق يحلم أن يلمسه ويبثه حنينه والكائنات الأليفة يتمنى أن يظل يراقبها كل يوم .

جون كيتس يثـري وجداننا بالانفصال عن واقعنا والتـوحد مع البطولة والعظمة فى الماضي ثم الارتداد إلى الواقع للامتزاج بالطبيعة فى بساطتها وعطائها الكثيف .

ولذلك كان يخاف مـن إنجازات العلم والاكتشافـات الحديثة التى تلتهم الجـمال وتخطو على أنغام الورود السابحة على البحيرات الساكنة .. أو تطفئ ضياءات النجم المتلألئ ولذلك يقول له:

أيها النجم المتلألئ ..

ليتني كنت ثابتًا مثلك

لا لأكون معلقًا فى الليل عاليًا

وحيدًا فى مجدي

أرقب بجنون سرمدية مفتوحة

كناسك الطبيعة الساهر الصبور

المياه الجارية وهى تمضي فى عملها

وانساب كيتس فى بحر الأساطير باحثًا عـن لذة الجمال .. متذوقًا أحاسيس الحب .. هائمًا فى

الخيال ... مسافراً إلى الماضي البعيد يبعث من خلاله عطر الأصالة ورائحة شيء ما اندثر وخلف بقاياه فى قاع التاريخ .

وإذا كان كيتس قد اشتاق لروعة وبطولة الماضي فإنه استشعر الخوف من الزمن المعاصر وفكر كثيراً فى الموت والرحيل إذا اقتربا منه وشعر بالاضطراب النفسي وخشى أن يموت قبل أن يعبر عن أحاسيس الآخرين ويكشف لهم قدسية الماضي وأسرار الطبيعة ، يقول :

حينما يستولى عليّ الخوف

من أن ينطفئ نور الحياة

قبل أن يسطر قلمي ما يجيش فى صدري

وقبل أن تضم أكوام الكتب المخطوطة

بذور الفكر بعد نضجها

كما تضم الأزهار الغنية الحبوب

ظل التأمل فى الحياة الأبدية وما بعد الموت سمات فى قصائد جون كيتس ، فقد نشأ فقيراً لأب يعمل خادماً فى إسطبل .

وعلمته تجربة المعاناة أن يقاوم مأساته حتى درس الطب ، وإن كان يعاني دائماً من المرض الذى هدد حياته فقد دفعه هذا إلى الإقبال على الحياة والإعجاب بصور الماضي والأفكار الميتافيزيقية حتى أنه كتب قصيدة متأثراً فيها بالفردوس المفقود لجون ملتون .

واتجه فى قصائد أخرى إلى الارتقاء بالذات والتعبير عن أحلام الفروسية ، ورسم صور لامرأة بارعة الحسن يغنى لها أناشيد الغرام ومعزوفات الحب على أوتار لحن هادئ ساكن .

ولذلك ارتبطت المرأة لديه بالسمو الروحي والطهر ، التحليق ويقول :

واظل يقظان أبداً فى قلق حلو

وأنا ساكن .. ساكن

أنصت إلى أنفاسها الرقيقة

وكذلك أود أن أحيا إلى الأبد

أو يغشاني الموت

وفى ليلة كان يتطلع إلى النجم المتلألئ فى السماء اشتد عليه مرض السل .. وانتابته أزمة صحية ظل يشهق عدة مرات وسقط على المقعد مفارقاً الحياة ، وعيناه تتطلعان صوب نجم يتلألأ فى السماء ولكن فى غابة من الأحزان .



الفردي دي فيني

(١٧٩٧ - ١٨٦٣م)

الفرد دي فيني شاعر القلب الجريح الضارب فى أشواك البراري باحثًا عن وردة الياسمين .. شردت روحه عشقًا فى رحاب امرأة اسمها «إيفا» وتجسدت الحياة أمامه فى صور مضيئة من قسمات وملامح هذه المرأة التي سكنت وجدانه .

فى قصائد هذا الشاعر الفرنسي نغمات حالمة مستوحاة من الطبيعة والظلال الجميلة والسماء الزرقاء وشدو الأطيار ، وبذلك ينتمي إلى المدرسة الرومانسية التي تعزف على حزن الذات وتنهل من جمال الطبيعة ما يلهب مشاعرها ووجدانها .

ويقول الشاعر لحبيبته ايفا

انظرى للحقول والغابات	حرة طليقة كهذا البحر
حول تلك الجزائر المعتمات	ولتكن فى يديكِ طاقة زهر
تجدين الطبيعة الآن منكِ	فى انتظار رهيبة الإصغاء
والثرى مرسلاً على قدميك	من تعاشيبه سحاب الماء

وتتجلى فى الصورة الشعرية ظواهر فنية لدى الشاعر هي اتجاهه إلى تمجيد إحساسه بالألم واتخاذ هذا العذاب ولذة الألم نوعًا من البطولة والتفرد والتميز .

ومن جهة أخرى تنتاب الشاعر حالات من التمزق الوجداني العنيف الذى يجعله يؤمن بأن الحب هو جنة الإنسان فوق الأرض ونبع هذا الحب امرأة تضفي غمامات من الحنان وترقرق قسوة الحياة ، ويتحول الوقت إلى موسيقى تهدهد الأعصاب ولذلك يدعو الحبيبة إلى الرحيل فوق هذه المدن والانطلاق فى الفضاءات الشاسعة والأزمنة التى بلا حدود ويقول :

فاهجرى المدن وارحلى لا يسمك ... ذل عيش فيهن غير طليق

ارحلى الآن لا ينل قدميك ... دنس من غبار هذا الطريق

ويتجه الشاعر إلى مملكة الشفافية حيث تتصوف روحه ويجد هناك علاقة بين وجه الحبيبة البريء والتطلع إلى التطهر والاستشفاف فيقول لها :

أو تكن روحك السجينة عافت ... ذلك الخبز فى الحياة طلابا

هو زاد الأسير فى القيد باتت ... نفسه من موارد الحتف قابا

الشاعر ألفريد دي فيني يكمن إبداعه الحقيقى فى كونه قلبًا جريحًا وروحًا شاردة ونفسًا ظامئة إلى نور السماوات العالية .

يعزف بألم على نغمات الحزن والعشق والجراح ويشعر بأنه فارس جديد وبطل معاصر وأحد نبلاء طعنة الموت الحادة .

وتزدحم الرموز فى قصائده وقد يشوبها بعض الغموض ، إلا أنه شاعر ساحر وموجع ومؤلم ومحزن وقادر على أن يوقظ فى أعماقنا قوافل الدمع والغربة والرحيل .

ولابد من الإشارة إلى أن هذه النصوص الشعرية قد ترجمها الشاعر على محمود طه فى كتابه «أرواح شاردة» .



بـوشـــكين

(١٧٩٩ - ١٨٣٧م)

ألكسندر سرجيفتش بوشكين روح روسيا وتراثها العريق، وصوت الحرية الصاعد من أغوار التاريخ يغني للحب والحياة .

كانت بداية عصره انفتاحًا خصبًا على الآداب العالمية وبحثًا فى التراث القومي الروسي . وبظهور بوشكين يؤرخ النقاد لانتهاء عصر آخر من الجمود والتخلف والركاكة والصنعة فى الأدب .

إن دوره فى النهضة الأدبية يشابه دور البارودى وأحمد شوقى ورفاعة الطهطاوى لأنه عبر عن صياغة جديدة للأدب الملتزم بأحلام الإنسان المقهور ومقاومة العنف والتسلط وقوى الطغيان .

عندما شعر القيصر بخطورة كتاباته قرر نفيه إلى الجنوب فى القوقاز والقرم ... وهى البيئة التي تتنفس آثار الحضارة الإسلامية فتأثر بها وكتب قصائد منها : الأسير القوقازى ، ونافورة سراى .

تعلم اللغة العربية وما تزال بعض كتاباته بالعربية فى أحد متاحف لينينجراد . وتألقت فى ثقافته مزيجًا من الثقافات الأوروبية والشرقية فقد قرأ منذ طفولته المبكرة فى الآداب المختلفة خلال دراسته فى مدارس الليسيه حيث كتب الشعر وساهم فى المجلات الأدبية والتقى بكبار شعراء روسيا .

وفى منفاه قرأ لبيرون وشيلي وشكسبير ودانتي وسرفانتس ، واهتم بالتاريخ والحضارات ونشأتها حتى أصبح قادراً على وصف طبائع الشعوب الأخرى وأحلامهم ومشاعرهم الذاتية فى العصور المختلفة فكتب أعمالاً روائية ومسرحية وشعرية منها : "الفارس الطماع" عن ألمانيا .. "الوليمة" عن أسكتلندا .. "انجيلو" عن إيطاليا .. "الضيف الحجرى" عن أسبانيا .. و"كليوباترا" عن مصر... و"موزاري وساليرى" عن النمسا .

استوعب هذه الثقافات ومزجها بروح روسيا القومية فإذا هي إبداعات تتعاطف مع الشعوب المناضلة وتوجه الإدانة إلى الخونة الماكرين وتبشر بعصر اليقظة والبعث الروحي فى الأدب والتراث القديم .

اكتسب بوشكين قدرة رائعة على النفاذ داخل الشخوص وصراعها بين الوهم والحلم والتوقف عند المشاعر الدرامية الموحية بالأجواء النفسية التى تضطرب فيها شتى العواطف من حنين وغربة وعشق وظهر ذلك فى أعماله : دوبروفسكي ، ملكة البستونى ، ابنة الكابتن ، بوريس جودونوف ، أوجين أنجين وهى رواية شعرية يقال أنها من أروع مؤلفاته وفيها تصوير لشخصية أوجين وهو شاب تشرب الثقافة الفرنسية ، يشعر بالضجر والقنوط فى الحياة ويذهب إلى الريف ويتقاتل مع صديق له من أجل فتاة ويتركها ليعود مرة أخرى ليعرف أنها تزوجت ولا يمكنها أن تبادله الحب لأنها لا تحب أن تخون زوجها ، والجميل فى هذه الرواية تقديسه لعواطف الشخوص والأفكار النبيلة والقيم العليا وإدانته للطبقات التى تدعي العلم والمعرفة وتعيش فى سلوك يناقض أفكارها .

قال الناقد بيلينسكى عن بوشكين :

إن بوشكين هو أول شاعر فنان فى روسيا .. هو سر الشعر الروسي على الإطلاق . وتحت تمثال فى موسكو للشاعر بوشكين كُتبت هذه العبارات من قصيدة له اسمها «الطلسم» يقول فيها:

هناك حيث البحر .. يغسل دائمًا الصخور الجرداء ..

هناك حيث القمر .. يسطع دائمًا فى كبد السماء ..

هناك حيث ابن القوقاز ..

يقضى الأيام مع غادته الهيفاء ..

هناك قدمت لى الساحرة

خلاقًا فيه طلسم .. قالت مداعبة :

احتفظ بطلسمي .. فيه قوة خفية

إنى أعطيك إياه من أجل الحب فقط ..

إنه لن ينفعك فى أويقات الأخطار والأحزان

إنه لن ينقذ رأسك فى فترات العواصف والأعاصير

إنه لن يمنحك ثروة الشرق

ولن ينقلك من بلاد الغربة الحزينة إلى أصدقائك ووطنك فى الشمال

ولكن إذا ما العيون الخبيثة سلبت منك لبك

وإذا ما الأفواه فى ظلام الليل .. همت بتقبيلك

وإذا ما الخيانات الجديدة أدمت منك قلبك

عندها عليك بطلسمي .. فهو ينفعك ويحفظك ..

ومن الغريب أن تنتهى حياة هذا الشاعر الكبير بمأساة ، فقد دبر القيصر مؤامرة ضد بوشكين مع أحد الضباط الفرنسيين فى القصر حيث أوهمه بأن الضابط يغازل زوجته .. فتقدم الضابط الفرنسي جورج دانتس لمبارزة بوشكين انتهت بسقوط بوشكين غريقًا فى دمائه إثر طعنة حادة فى قلبه .



بلــزاك

(١٧٩٩ - ١٨٥٠م)

الأديب العـالمى بلزاك درس الحقـوق وقرأ فى الأدب وكـتب أول مسـرحيـة هي «كرومـويل» وحاول أن يسـاهم فى إنشاء دار نشـر ومشاريع اقـتصادية ولكنـه خسر أمـوالاً كثيـرة ، وعاد إلى الأدب ليـبدع أجـمل الروايات الاجـتمـاعيـة فأصـدر أول رواية هى «ثوار الملك» وآخـر أعمـاله مجـموعة روايات أطلق عليـها «المهزلة الإنسـانية» . عاش حـياة الفقر والتـشرد والضيـاع وشاهد الأحيـاء والبيئـات التى تعاني من الفقـر والجوع والمرض واخـتلط أيضًا بالطبقـات الأرستقـراطية واكتـشف تفاهة أفكارها ورذائلهـا وخطاياها ، وعرف نسـاء كثـيرات وعشـقهن جمـيعًـا وصرن مصدر الهاماً له .

ولكن خانته زوجته هانسكا المرأة التى تزوجها وعلى أثر ذلك سقط صريعًا بالذبحة الصدرية . ولم تزرف عليه دمعة امرأة واحدة .

الأديب الفرنسى بلزاك رائـد الفن الروائي والمبدع الكبيـر الذى أصبحت له مـدرسة فى الأدب مضى على هداها أدباء ونجوم فى الأدب مازلوا يكتبون ويبدعون حتى الآن .

ولعل نجيب محفوظ أحد هؤلاء الأدباء الكبار الذين ينتمون إلى مدرسة بلزاك .

فى قمـة شهرة بلزاك ، والصـحافة تتابع أعـماله ووكالات الأنبـاء تنشر معـه تحقيقـات والنقاد يكتبون عن أدبه ، والجمهور المثقف يسعى إلى مجلسه يردد الأديب قائلاً :

"أريد أن أكون دائمًا مشهورًا وأريد كذلك أن أكون معشوقًا" .

وإذا كانت الشهرة هى بعض طمـوحاته فان هذا لا يشكل عقبة فى حـياة الأديب أما أن يصبح معشوقًا فهذا ما لم يفهمه البعض عن بلزاك .

ويقول فى ذلك :

– علاقـاتي النسائيـة دائمًا نقيـة وبريئة . وقد عـرفت في حيـاتي نساء جمـيلات رائعـات كن إلهامي ودافعي إلى الكتابة .

وحين يبادره أحد النقاد بهذا السؤال :

– ولكنك يا سيد بلزاك متزوج من مدام هانسكا وهي زوجة مخلصة تحبك وأنت تحبها .

ويبتسم السيد بلزاك ويقول :

– هناك فرق كـبيـر بين الزوجة والمرأة الملهمـة .. وأعتـقد أن الأولى هي الواقع والمجتـمع والتقـاليد ، والثانية هي الرمز والحلم والخيال والإبداع المتجدد والاحتراق من أجل إضاءة هذا العالم .

إن سر عشق بلزاك للنسـاء يكمن في طفولته الشقية المعـذبة فلم يكن هناك توافق بين أمه وأبيه فـقد كـانت تصغـره باثنين وثلاثين عـامًا . مما أدى إلى نـفور الأم من الأب واضطراب أعـصابهـا وغضبها وشجـارها الدائم . كذلك أبوه لم يكن يبـالي بالأسرة أو يهتم بشيء ويغـيب عن البيت أيامًا كثيرة ولا يفكر في زوجه أو ابنه ولم يجد بلزاك في هذه الأسـرة منابع الحنان والحب فأصابه الشرود والعزلة والصمت وأحلام اليقظة . ولعل هذا ما دفع بلزاك يومًا أن يصرخ في وجه أمه :

– أنت تكرهينني يا أمي وربما قبل مولدي .

وتنظر إليه أمه في غضب ولا تبالي بكلامـه . ويمضي بلزاك هائمًا على وجهه يبحث عن قطرة حنان في هذا الليل الكئيب .

ولهذا اتجه إلى النساء وأحب في المرأة دفقات الحنان والتعاطف . وأول امرأة أحبها هي السيدة دو بيرني وكانت تـكبره باثنين وعشرين عامًـا وذهب إليها ليخـبرها بعزمه على الانتـحار ولكنها احتوته بين ذراعيها وقالت له :

– أنت أديب عبقري وهذه العبقرية سوف تكتب لك الخلود والشهرة .

وعدل عن فكرة الانتحار .

ويقول بلزاك :

– إن المرأة ذات الأربعين تعطيك كل شيء أما ذات العشرين فلا تعطيك شيئًا على الإطلاق .

ولا عجب أن معظم بطلات قصص بلزاك نسـاء فوق الثلاثين والأربعين ، وهذا ما خلق حوله معجبات كثيرات وعاشقات .

ومن القصص التي تروى عن حياة بلزاك السرية أنه كان يتلقى رسائل من النساء بلغت حوالي عشـرين ألف رسالة أثناء حيـاته . وفي كل رسالة حرقة قلـب .. وارتجافة روح وارتعاشـة خصلة

شعر .. ورقة نسائم عطر فواح .

وقد أحبت السيدة دلفين دي جيرار دان بلزاك وأرسلت إليه أجمل كلمات الحب والغرام ، وحين تزوج قالت له :

انكسر القلب .. وهرب عصفور الحدائق وضاع فى دخان الحرائق .

وغضبت مدام دلفين وقررت أن تؤلف كتابًا يضم قصتها مع الأديب بلزاك ورسائلها ورسائله. وذات يوم فوجئ بلزاك بكتاب اسمه «عصا السيد بلزاك» من تأليف مدام دلفين .

وغضب بلزاك هو الآخر على هذا الكتاب وأعلن أنه لا يمت له بصلة وكل ما جاء فيه نوع من الخيال والافتراء .

ولكن الناقد الشهير سانت بيف قال عن هذا الكتاب :

- إن بلزاك عرف عدداً كبيراً من النساء ولو اتجهت كل إمرأة إلى تأليف كتاب عنه لامتلأت فرنسا بأديبات وكاتبات يفوقن عدد الرجال .

وفى الحقيقة لم تكن علاقة بلزاك بالنساء قائمة على رغبات أو نزوات هوائية ، وإنما استطاع أن يستشف من حياتهن أروع القصص الإنسانية ، فالمرأة لديه نص يحاول قراءته وبحراً عميق يسبح وراء أسراره .

وبهذه الطريقة كتب قصصًا حققت نجاحًا كبيراً وأرست مفهوم الواقعية الذى يعتبر أحد رواده، ومن هذه القصص التى جاءته فى إحدى الرسائل وتحولت إلى قصة فنية هى قصة «العانس» فقد استوحاها من خطاب فتاتين غير متزوجتين .

وقد اعتادت كل امرأة أو فتاة أن تبوح بعالمها الباطني إليه فى رسائلها ، وتعبر عن خلجات نفسها فى صراحة وجرأة ودون خوف من شيء .

ومن خلال هذا البوح الحميم بدأ ينسج خيوط القصص النسائية ويضيف إليها بعض الملامح الفنية وفى النهاية تصبح القصة متكاملة العناصر متناسقة وقادرة على إيقاظ حواس المتلقى والتأثير فيه .

وفى أحد الأيام بعد أن صدرت قصته «الأب جوريو» تلقى رسالة من إحدى النساء تقول له :

عزيزى السيد بلزاك ...

بعدما قرأت قصة «الأب جوريو» أصبحت على استعداد تام لتغيير لون شعرى من اللون الأسود إلى الأشقر . فما رأيك ؟

وابتسم السيد بلزاك لتلك الفكرة وتذكر أنه قال هذه العبارة فى القصة ؟

– إن أقل ملاطفة غير مقصودة كفيلة أن تجعل أى شقراء فى متناول أى رجل .

وفى رسالة من امرأة أخرى تؤكد له أنه لابد قد خُدع وتعذب من النساء الشقروات ، ويبتسم السيد بلزاك لتلك الفكرة وتذكر أنه قال هذه العبارة فى القصة !

ويبتسم السيد بلزاك . ويبدأ فى قراءة رسالة أخرى للبحث عن قصة جديدة .

ويقص بلزاك عن عشيقاته ويقول :

– أول امرأة أحببتها هى : دوبيرني ابنة أحد عازفي القيثارة لدى الملكة ماري أنطوانيت .. أحببت فيها رقتها وحبها للموسيقى والشعر والغناء رغم أنها تكبرني باثنين وعشرين عامًا .. وقد أنقذتني من الانتحار فى يوم ما . وأعتقد أنها تركت آثارًا راسخة فى أعماقي وأدبي وحين ماتت عام ١٨٣٦ حزنت على رحيلها ولولاها ما حققت نجاحًا فى عالم الأدب .

– وفي ليلة شاهدت زلما توريخان صديقة أختي ، وأحببت هذه المرأة لما تتميز به من سحر وجمال وتمرد على الواقع ، ولا شك أن ملامحها يمكن العثور عليها فى كثير من قصصي ورواياتي. هكذا يحاول بلزاك أن يكشف الستار عن النساء اللاتي عشقهن وخلّفن أثرًا فى كتاباته وأعماله الإبداعية الكثيرة وفى لحظات تألقه وشهرته الكبيرة عشق الدوقة دار بانتسي وأسهم معها فى كتابة مذكراتها الشخصية ، عن حياتها ورحلتها إلى المدن والبلاد والشخصيات التى عاشت فى حياتها . وعندما كان بلزاك يرتاد المجالس الأدبية وصالونات الأدب والثقافة والفن التشكيلى حيث صالون الأميرة باجراسيون وصالون الكونتسه ميرلين وصالون البارون جيرار وكاميه .

فى هذه المجالس والصالونات الأدبية عشق السيدة أو لمب يليسيه ، وعاش معها أيامًا جميلة وكتب أجمل رواياته وأروعها فى تلك الفترة .

ثم عشق امرأة أخرى هى المركيزة دوكاسترى وسافر معها إلى جنيف ثم أحب الكونتسه إيفلين هانسكا وغيرهن من العشيقات ، فما دلالة ذلك ؟

إن بلزاك يؤمن بأن العبقرى أو المبدع يحتاج دائمًا إلى إلهام ودفء عاطفي فياض يمنحه القدرة على الانسجام مع الواقع واكتشاف خباياه والتعبير عن وجدانه وقضاياه ، والمرأة لدى بلزاك

هى الجزيرة الخضراء التى يرتاح عليها من عناء الحياة وشقائها .

وهكذا أبدع .

وهكذا عاش بلزاك مع عشيقاته .

من إمرأة إلى أخرى .

ومن حب إلى حب

ومن قصة إلى رواية .

حتى إذا قلبت صفحات كتب بلزاك شعرت أنها من أنفاس هذه النساء ومن دمائهن واحتراقهن فى العشق .

ولكن رغم ذلك رحل بطريقة مأساوية فقد تزوج من امرأة بولندية أرستقراطية هى السيدة هانسكا التى كانت تكتب إليه وتراسله معجبة بأدبه وفنه ، وحين تزوجها بلزاك اكتشف أنها إمرأة تافهة لعوب لا تقيم اعتباراً للأخلاق أو الفضيلة ، فقد كانت تخدعه مع عاشقها .

ولم يمض على زواجه أكثر من شهر واحد حتى اكتشف الحقيقة .

لقد عاد يومًا إلى بيته ليجد زوجته هانسكا فى غرفة النوم مع أحد عشاقها فلم يستطع الكلام .

وتجمدت الحياة فى عروقه ، وتحجرت الحروف على شفتيه ، وحملقت عيناه فى بشاعة الخيانة . وسقط على الأرض بلا حراك ، وأصيب بالذبحة الصدرية ولم يقو على الكلام .

حتى كانت ليلة من ليالى الربيع وكان فى زيارته الأديب الكبير فكيتور هوجو فاضت روحه وهو يبتسم فى أسى للحياة والورد المطل عليه من النافذة ، والشمس التى انكسرت أضواءها على فراشه ورحل بلزاك الذى شاهد الحياة مجرد ملهاة إنسانية حاول أن يدعو فيها إلى الخير والحب ورفض الحروب والفساد والمظاهر الكاذبة والأحقاد والتفاهات والرذائل وأمراض المجتمع المعاصر. واقترب من وجدان الشعب هؤلاء الفقراء المكافحين بشرف ونزاهة .

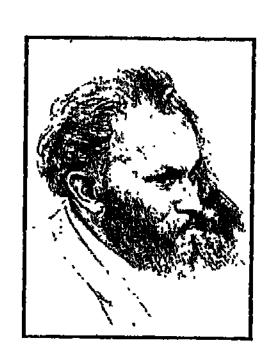
ورحل بلزاك .

ولم تودعه امرأة واحدة .

ولم تحضر جنازته امرأة واحدة

ولم تبكيه بعد رحيله امرأة واحدة ، رغم ما كان يتمتع به من شهرة فى الحب والأدب والنساء..!!

ومن مؤلفات بلزاك : كروموبل ١٨١٥ ، الروايات السوداء ١٨١٩ ، ثوار الملك ١٨٢٠ المرأة الثلاثينية ، طبيب الأرياف ، أوجينى غراندة ١٨٣٣ ، الأب جوريو ١٨٣٤ ، البحث عن المطلقة ١٨٣٤ ، زنبقة الوادى، الأوهام الضائعة ١٨٣٧ الأقارب الفقراء ١٨٤٦ ، المهزلة الإنسانية ١٨٤٨ .



إدوارد مانيه

(١٨٠١ - ١٨٨٣م)

هذا الفنان الذى مازالت لوحاته المعلقة على كل جدار وفى كل متحف فى العالم تشهد بنبوغه وعبقـريته . نعيش تجربة هذا الفنان ونحلق مـعه بين الألم والشجن والتعـاطف والأحزان . فالآلام العظيمة تخلق فنًا عظيمًا خالدًا .

من هو هذا الفنان الرقـيق الذى شغلتـه الحياة العـادية وتعمق فى أحـوال الناس وفى أفكارهم ومـشاعـرهم وراح يصور ذلك فـى لوحاته التي تعكـس الحيـاة ، الحيـاة بكل مـا فيـها من شـجن وسـعادة؟ . من هو هذا الفنان الذي تحـدى كل الصـعاب التي اعـترضت طريق فنه وإبداعـه فقـد وقف الأكاديميون في وجه (مانيه) موقف القديم والـتقليدي فى مواجهة الجديد والمحدث ، ورغم ذلك كانت بداية المعركـة الحقيقة التي خاضـها الفنان بروح جسورة تعشق الحيـاة والناس والهموم اليومية.

ينتمي (إدوارد مانيه) لعائلة فـرنسية تميزت بالثقافة فقد كان والده (أوجـست مانيه) موظفًا فى وزارة العدل وأمه تنحدر من أب كان يشغل منصبًا دبلوماسيًا وله شـهرته الكبيرة .

كان والده يحلم أن يرى ابنه رجل قانون مثله ولكن (مـانيه) عشق الفن ورفض دراسة القانون والتحق بالكليـة البحرية كي يرضي والده ولـذلك لم يوفق فى هذه الكلية فاتجـه إلى الرسم ، وقد اقتنع والده بمدى رغبته الشديدة فى أن يصبح رسامًا فاتجه مانيه إلى أحد مراسم كبار الفنانين وهو (توماس كوتور) وظل يعمل مساعدًا له لمدة طويلة .

مضى الفنان (مـانيه) فى طريق الفن يدرس لوحات كبـار الرسامين فى كل مكان وفى كل بلد وزار كبار المتاحف التي تضم أجمل القطع الفنية مثل متحف (اللوفر) فى فرنسا ، وبدأ فى تشكيل بعض لوحاته الأولى وقـدمها لـتعرض فى المعـارض التى تقام للفنانين ، وقـد كان هناك فى ذلك الوقت صالون فني يرى لوحات الفنانين ويبدي رأيه فى ذلك ، وقـد اعترض كبار الفنانين فى هذا

الصالون الفني على فن مـانيه بأنه متمرد قـد خرج على الأصول والقواعد الفـنية المتوارثه ووقف أمامه هؤلاء يصفون لوحاته بأنها لا تنتمي إلى الفن إطلاقًا .

وظل الفنان (مانيـه) شغوفًا بهـموم الإنسان مغـرمًا بالحياة الطبـيعية دون زيف أو افـتعال ، بل كانت التلقائية هى السمة لكل أعماله حيث عايش التجربة الفنية بذات مفتوحة على العالم وروح تهوى الجمال وحرائق الألوان فجاءت لوحاته تتـميز بالبساطة فأنت تشاهد بعض الزهور أو إمرأة تشرب أو طائرًا يحلق فوق الأشجار.. تستمد من الطبيعة كيانها ، وظلت لوحاته تثير الرفض حتى حصل على جائزة عام ١٨٨١ فقامت ثورة احتجاج ضده من هؤلاء رواد الصالون الفني .

لم يتأثر الفنان (مانيه) بكل ذلك وشعر أن لوحاته الجديدة تقاوم الأشكال التقليدية القديمة وقد وقف معه صديقه المفكر الشهير (إميل زولا) حـتى استطاع فن (مانيه) التأثيرى أن يؤسس مدرسة فى الفن التشكيلي هى المدرسة الانطباعية .

وأصبح مـانيه رائد المدرسـة الانطباعـية ، تلك الحركـة التى انتشـرت فى أواخر القـرن التاسع عـشر، لكل الفنون ولكنـها ظهـرت أولاً فى التصـوير ثم الأدب ثم الموسـيقى والغـرض من هذه المدرسة التى ظهـرت أول ما ظهـرت في فرنسا أن تشـور ضد نواميس المذهـب الـطبيعى من ناحـية والرمزي من ناحية أخرى .

وتعتمد الانطباعية على التقاط ما هو متغير وسريع الزوال ، ويكاد لا يلمس من تأثيرات العالم الخارجى على مشـاعر النفس وحساسيتهـا والتأويل الفلسفى لذلك . إن الانطباعيـة محاولة لمحو التفرقة بين الذات والموضوع ، فكل ما يهتم به هذا المذهـب هو التعـبير عن مدركات الحس مستقلة عن ملكة الذاكرة وملكة التفكير عند الإنسان من صور العالم الخارجي .

وقـدم مانيـه أول مـعـرض انطباعى عـام ١٨٧٤ ، ثم توالت المعـارض إلى الحـد الذى أدهش الفنانين فصـدر أمر من الحكومة الفرنـسية بفتح مـتحف اللوفر ليضم أعمال مانيه وتحتل مكانها المناسب مع العباقرة والفنانين .

ومن أهم لوحات مانيه : «حفلة موسيقية فى حدائق توبليريه» و«نزهة عن العيش» و«أوليمبيا» و«الراقصات الأسبانيات» و«مصارع الثيران» و«مناظر بحرية» .

لقد أحدث مانيه ثورة في رسوماته من حيث استخدامه للألوان والرمز الذي تثيره فى الذات ، والاتجاه إلى صور الحياة اليومية وتحويلها إلى خيوط لونية من عذابات الإنسان ومعاناته.

إنه بحق فنان اقترب من هموم الإنسان . فقد تحولت المشاهدات العادية فى الحياة إلى لوحات جميلة رائعة .

ولفن مانيه تأثير كبير على بعض زملائه الفنانين المعاصرين له ومن جاء من بعده . وقد كتب عنه صديقه إميل زولا بعض الدراسات النقدية يحلل رسوماته ويبشر بتلك الموهبة والعبقرية الفذة.

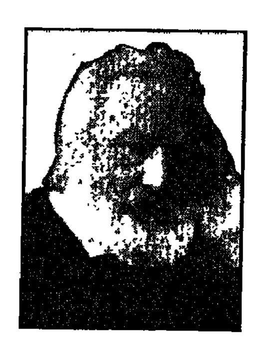
ومن كلماته عنه : "إن مانيه قد أصبح له مكان داخل متحف اللوفر ، فإذا كنتم تسخرون منه فسوف يأتي أبناؤنا ويلتفون حوله بزهو وإعجاب كبير" وقد قال ذلك إميل زولا حين كان الصالون الفني يرفض أعمال مانيه وصرخات الاحتجاج تعلو ضد رسوماته .

وقد تأثر مانيه بالفن الياباني فهناك لوحة له تظهر فيها سيدة تتباهى بالروح اليابانية . وقد تأثر أيضًا بالفنان (جويا) و«فيلا سكيز» وبعض رواد الفن العالميين . وإلى جانب الرسم كان يعشق الموسيقى والشعر والأدب ومن أصدقائه كان بودلير وملارميه وإميل زولا وغيرهم

ومن الفنانين الذين تأثروا بأعمال مانيه نجد الفنان العالمي فان جوخ يعترف بأنه استمد بعض أفكار لوحاته من تصوير مانيه لزهرة (الفاوانيا) وهى الزهرة التى تختال فى الهواء الطلق . وكذلك يقول الفنان جوجان بأنه عند رسم لوحاته عن (عاريات تاهيتى) قد تأثر بلوحة مانيه «أوليمبيا» .

ويرى النقاد أن أعمال بيكاسو أيضًا تحمل بعض تأثيرات مانيه .

ورحل مانيه عام ١٨٨٣ بعد أن حول عصره وزمنه إلى مرحلة أخرى من الفن الانطباعي وأسس مدرسة مازالت تدين له بالريادة فى هذا المجال .



فيكتور هوجو

(١٨٠٢ - ١٨٨٥ م)

شاعر رقيق أبداع صوراً رنانة فى القلب .. وأصواتًا يتجسد على أوتارها نغمة الحب والحياة وأصداء الألم، هوجو شاعر تتعذب معه .. وتدمع عيناك حين تشعر بوحدة البؤساء .. وتمزق التعساء .. وانكسار النفس تحت وطأة الحرمان والحنين والغربة .

واشتهر هوجو برواية «البؤساء» التى انحاز فيها إلى الفقراء والمعدمين وتعاطف مع حياتهم الكئيبة ودافع عن الظلم والاضطهاد الواقع عليهم دون ذنب اقترفوه، وعبر أيضًا عن نضاله من أجل حرية الوطن والإنسان. قرأ كثيراً فى طفولته وعشق الشعر وتألقت موهبته التي راعاها بالطلاع والبحث ومتابعة الآداب العالمية والشرقية.

ومما ساهم فى تكوينه النفسي والأخلاقي دراسته فى إحدى مدارس الرهبان، حيث تلقى تعاليم دينية فجرت فى أحاسيسه القيم الروحية والتأثر بالآخرين والإشفاق على المحرومين والضائعين ، وظل يحلم بعالم يخلو من البؤس والمرض والفقر .

واقترب هوجو من أبناء الأرض ولمس واقعهم المرير ونضالهم مع الفقر وضد العبودية ومواجهة طبقة النبلاء الأثرياء . وأدرك هوجو أن هناك خللاً فى هذه الأنظمة السياسية والاجتماعية .

وفى إحدى قصائده يصف الصياد الفقير قائلاً :

الليل مرخى السدول

والكوخ ظاهر الإملاق

ولكنه محكم الإغلاق

كان المسكن يغشاه الظلام

ولكن تحس شيئًا فيه يضيء

خلال هذه العتمة

على حائط علق الصياد شباكه

وفي أحد الأركان بالداخل

تلمح بعض الأواني الحقيرة

على صندوق من الخبز اليابس

أما روايته «البؤساء» فهي من أروع الآداب الكلاسيكية حيث يعبر عن المظلومين والمنسحقين تحت ذل وقهر الأنظمة والمستعبدين الخاضعين للأثرياء والطبقات الأرستقراطية وتبرز شخصية البطل جان فالجان الذي يدفعه الجوع إلى السرقة ويحاكم ولكنه يهرب من السجن ويشق طريقًا شريفًا مدافعًا عن الفقراء والمساكين .

ويرتبط موقف البطل بنضال الشعب الفرنسي ضد طبقة النبلاء ، ويصبح الصراع مشحونًا بالعواطف الجياشة والأفكار الثورية والأحلام العظيمة .

وقد كتب هوجو مجموعة من الآثار الشعرية والقصصية التي توجته زعيمًا للمدرسة الرومانسية حيث أحاسيس القلق والحزن والتمزق من أجل المعذبين والتشوق الدائم إلى الحلم والخيال والهروب إلى المدن الفاضلة .

وكذلك كان تبرز في أدبه خصائص الرومانسية في الدفاع عن الإنسان المغلوب على أمره الذي يتوق إلى صرخات العدل والحرية .

وكذلك عشق هوجو للطبيعة أحد العناصر التي شكلت رومانسيته العذبة حيث يجد في الطبيعة صدى لدموعه وآلامه يقول :

أيتها الطبيعة المجلوة في

هذا الخلاء الجميل

هل تظلين حين أرقد أنا

وهي تحت صفائح القبر

جامدة أمام موتنا

وموت حبنا

توالين حفلاتك وأعيادك

وتواصلين إنشادك

وبسماتك

ويؤمن هوجو بأن الطبيعة هبه من الله للإنسان ليعرف ذاته وخصائصه الإنسانية وجماليات هذا الكون ، يقول :

لعمرك ما هذه المروج

والعيون والغابات والسموات

والبحيرات والسهول إلا هبة

يعيرنا الله إياها لحظة من الزمن

لتضع فيها قلوبنا وأحلامنا

ثم يستردها .

وسافر هوجو إلى أسبانيا واليونان وبلاد أخرى كثيرة ، وقرأ عن حضارة الشرق وخاصة مصر وتركيا وكتب ديوانه «شرقيات» عن سحر الشرق وسمات العمارة الإسلامية وقصور ألف ليلة وليلة والترف الذى يعيش فيه السلاطين .

وعندما زار أسبانيا أذهلته الحياة هناك وبقايا الآثار الإسلامية فقال :

ليس هناك مدينة

تتنافس بلا جنون

مع غرناطة الجميلة

وتنازعها فى تفاحة الجمال

أو تستطيع أن تبرز سحرها الشرقي

تحت سماء أكثر بهجة من سماء غرناطة

كمـا وصف مصـر والأهرامات ونهر الـنيل والصحراء والآثار الفـرعونيـة ، وأكد تعـاطفه مع شعوب الشرق وكفاحها ضد الاستعمار وحبها للتقاليد واحترامها للمرأة .

ومن أهم أعماله الأدبية :

هرناني ١٨٣٠ ، نوتردام دوباري ١٨٣١ ، أوراق الخـريف ١٨٣١ ، أناشـيـد الغـسق ١٨٣٥ ، الأشعـة والظلال ١٨٤٠ ، العقاب ١٨٥٣ . التـأملات ١٨٥٦ ، أسطورة العصور ١٨٦٢ ، عـمال البحر ١٨٦٣ ، شرقيات ١٨٦٥ .

عشق هوجـو إمرأة اسمهـا : جوليت دوري ، وكتب لهـا مجموعـة كثيرة من الرسـائل قامت بحرقها فى لحظات الغضب والحزن الشديد لفراقه لها .

وعندما علم هوجو بذلك قال لها :

- لقد كـانت جماع قلبى وخلاصـة كل ما كتب بصـدق وأعمق الإحساس ، لقـد كانت تمثل أثرك على أعماق ذاتي والوشم الغائر الذى حفرته حياتك فى مجرى حياتي .

لقد عاش هوجو قصة حب عنيفة استمرت حوالى ربع قرن من الزمان ، يكتب لها ويقول :

- كم أود أن يظل تأثيـر حيـاتك علـى حيـاتي إلـى الأبد دون زوال . وكم أتمنى أن يدوم وأن يكشف عنه ذات يوم عندما لن يتبقى منا كلام إلا حفنة تراب .

- أريد أن تعرف الدنيا أننى أحبـبتك وأحترمتك وقبلت قدميك ، وإن قلبي قـد امتلأ بإعجاب بلغ حد عبادتك .

عشق هوجـو جوليت دوري وأحبـها حبًـا عميـقاً وسجل بعض كلـماته إليهـا فى رواياته مثل البؤساء فى زواج كوزيت وماريوس حيث يقول :

حبيبتى بالأمس بلغ حبنا عمر

مراهق جميل ١٤ عامًا

استقيظت هذه الليلة وأنا أفكر

فى سعادتنا الغامرة التى أثملتنا

طوال السنوات الماضية .

ورغـم أن هوجو قد بلغ السبعين من عمره إلا أنـه عاش تجربة الحب وحاول من خلالها البحث

عن دور المرأة فى الحياة وأثرها فى تطور المشاعر ونماء المعرفة لدى العاشق الكبير .

وكشفت هذه الرسـائل عن براعة هوجو الشاعر والصـور البلاغية والخياليـة الرائعة التي تثري الروح وتسجل أجمل العواطف الجياشة المرتبطة بالمواقف والدلالات الإنسانية .

تلمح فى رسائل هوجو أحـاسيس تتسامى عن الواقع وترقى إلى التصـوف أحيانًا فى أسلوب أدبي رائع أضاف إلى النثر الشاعري قيمة كبيرة .

ومن هذه النماذج الصوفية ما يقوله :

فليربط الله بين سنوات العمر فى رقم

وليقسم هذا الربط شطرين متعادلين

بحيث نستطيع معًا

أن نلفظ آخر أنفاس حياتنا على وجه

الأرض

ونلقى أول نظراتنا على السماء

وكان هوجو يرى فى حبه هذا قوة أخرى تواجه قـوة التلاشى أو الاضمحلال ، فقد خشى من الموت والشيخوخة وانهـيار صحته وضياعه فى دوامة الأحزان ومـعايشة آلام الفقراء . فكان الحب تجربة للبعث والإحياء للروح الظامئة إلى عالم النور والبقاء .

ويكتب إلى حبيبته قائلاً :

كم أنتِ على حق ..

ما من لثغرة أو انقطاع ينبض أن يعوقنا

لتكن أيامنا أعيادًا متصلة

وسعادة متلاحمة قوامها الألفة المعتادة

والمحبة لكلينا .

لنحكم رباط المحبة حتى لا يجد الموت سبيلاً

إلينا

ولتغيب أستار فراغات الحياة المتواصلة

تحت عبارة تواصلنا التي نسعد بنسجها

كلانا

وهذه الرسائل التى كتبها هوجو إلى جولييت دوري ساهمت فى إيجاد وسيلة للتفاهم بين إبداع هوجو كشاعر وأديب ومسئوليته نحو العالم الذى يكتب من أجله .

ونحن نعلم أن أدب هوجو هو الأدب الإنساني الذى ينشد خلاص الإنسان من الفقر والمحن والاستبداد وعذاب الهموم اليومية .

ولا يمكن لهذا الأديب والشاعر الرومانسي الرقيق أن يكتب عن لحظات الحب والأمل والنهار المشرق دون أن يتلمس له طريقًا فى هذا النور المنساب .

فالحب هنا طاقة تغيير وطاقة إبداع وأسطورة خيالية تطوف بالشاعر والأديب هوجو إلى مستويات عليا من الشفافية والجمال .

واقرأ ماذا يقول :

أيا ملاكي العذب الرقيق الحبيب

لقد انتصف الليل فى هذه اللحظة

وأوشك عام ١٨٧٠ علي الرحيل

بينما كانت أول بشائر العام الجديد

تلوح فى الآفاق

وبين هذين العامين أسلم بين

يديك قلبي

قلبي الذى افتداك من لوعات

العام الذى مضى

الحب لدى هوجو امرأة شفافة يرى الحياة من خلالها حياة زاهية بالأماني خالية من الشر . تختال فى أفق ذهبي ورؤى مدهشة .

والقدرة على الاستمرار فى الحب تعني لدى هوجو إيجاد وسيلة للتواصل مع العالم حوله بروح منفتحة وقلب عاشق .. وذهن متقد بالحماسة والأفكار والطموحات .

وإذا استطعت أن تعشق أصبح فى إمكانك أن تحدث التغيير المتوقع وتبدع حالات فكرية تنتمي إلى القيم الإنسانية والدينية .

ويعبر عن حبه ويقول :

إن ما أكنه لك بين جوانحي يا ملاكي

هو ضرب من ضروب العشق الخالد

الذى يستمد طاقته من الحقيقة

وجماله من المثالية

أنت وإلى الأبد سوف تكونين

بمنزلة الروح من روحي

ونفحة الحياة الحلوة الوردي

إنني أغمرك كلك في فيض هذا النور

الذى هو حبي

وكتبت جوليت ما يقرب من عشرين ألف رسالة إلى حبيبها هوجو تبثه مشاعرها الحزينة وإحساسها بالظلم تجاه أسرته التى كانت تواجهها بقسوة وفظاظة .

كانت مأساة جوليت تكمن فى أنها إمرأة منبوذة ومنعزلة فكم ذهبت إلى منزله لتراه وأُغلقت فى وجهها الأبواب وعادت دامعة باكية ، إلى جانب شهرة هوجو الأدبية والتفاف الجماهير حوله والصحافة والإذاعة والنساء المعجبات بأشعاره .

فأين تذهب جوليت فى هذا البحر الكبير الزاخر وتكتب إليه قائلة :

يوم أتيت إليك لم ألمح بصيص نور إلا فى قاعة الطعام ولم تواتنى الشجاعة لأسأل عما إذا كنت موجوداً وانتظرت ساعة كاملة ثم اخترقت الشارع وأرصفة النهر حتى شارع السين حيث انتظرت من جديد وأخيراً بعد أن عجزت عن رؤية ما كنت أتلهف على رؤيته وقد ملأ اليأس العميق كل جوانحى عدت أدراجي بعد منتصف الليل بنصف ساعة

وتكتشف جوليت أن هوجـو كان على علاقة بامـرأة اسمها ليوني بيـار لمدة سبع سنوات حتى ألتقت ذات يوم بهذه المرأة وعرفت منها قصة حبه الطويلة فقررت أن تهجره إلى الأبد ، وكتبت له تقول :

- إن الضربة التى كـان من المفترض أن تقـتلنى قد أمدتنى بقـوى تفوق طاقة البـشر ، ولك أن تفصل ما تشاء دون وجل أو وخز من ضمير ، كما لو كنت أنا قد غيبني القبر منذ أمد طويل .

ورحلت جوليت يائسة حزينة .

وتركت هوجو رغم شهرته الكبيرة إلا أنه عاش مع ذاته منعزلاً يائسًا .

وأحب هوجو أديل فـوشيـه وكتب لها أجـمل رسائل الحب وتضـمن ديوانه «أوراق الخريف» بعضًا من هذه القصائد التى كتبها لها ، يقول :

يا رسائل الشباب والفضيلة والحب

هو ذا أنت فليخفق فؤادي ثانية

مستجيبًا إذ أجثو لأقرأك

ولأستمد عمرك ثانية

فأعود صالحًا وراشدًا

كما كنت مرة

ثم دعيني أذرف الدمع ..

ورحل أمير الحب والرومانسية وصديق الفقراء وترك لنا ثروة من المشاعر والأحاسيس والقيم النبيلة .



سانت بوف

(١٨٠٤ - ١٨٦٩م)

ناقد فرنسي طرح فكرة جديدة تحول النقد الأدبي من مجرد نظريات وتطبيقات إلى نص إبداعي يذهل القارئ ويصدم المبدع بما فيه من روعة تحليل سيكولوجي وعمق ثقافي ودلالات فنية تجسد النص والمبدع فى مشهد ورؤيا تتسرب من عالم الذات الخاص إلى الموضوعي العام .

درس سانت بوف الطب ، ثم بعد فترة تركه واهتم بالأدب والنقد ، ويلاحظ على دراساته النقدية أنها متأثرة بفكرة «التشريح» حيث يقوم بتحليل العمل الأدبي وتجسيد شخصية المبدع من خلال مؤلفاته . وبذلك ظل بوف يبحث فى النصوص الإبداعية وإن كان قد أهمل صلتها بالواقع وارتباطها بالمجتمع فإنه قد وجه عناية دقيقة للمبدع وحياته الخاصة والظروف التى ساهمت فى إثارة كوامن الفكر لديه وكيفية استجابته لتلك الظروف والحالات النفسية والمزاجية التي صاحبت الموقف الإبداعي .

واهتم بوف فى نقده بالفكرة المجردة التى تضيف بعدًا اجتماعيًا ونفسيًا إلى شخصية المبدع وهو يقول :

«فيما يخص النقد الأدبي يبدو لى أنه لا يوجد ما هو أكثر أصالة وخصبًا فى تنوع المعلومات فيه من قراءة حياة عظماء الأدباء إذا أجيد تأليفها والنقد عنها» .

ويشرح سانت بوف دور الناقد فى قوله :

«يتقمص الناقد مؤلفه ويعيش فيه ويضيف إليه أسبابًا ونتائج ليجعله بحيازة أخرى ويتبع الأثر الإبداعي فى نفسه وخلجاته الخفية وعاداته الشائعة مع إيجاد صلة لكل هذا فى الوجود وملامح العصر» .

ويبدو أن سانت بوف كان اهتمامه الخاص بتشكيل حياة الأدباء وأعلام الشعر والفن والرواية والبحث فى محاور حياتهم لاستنباط مبادئ عامة وقضايا مصيرية ، يقول :

«إذا فهمت الشاعـر فى هذه اللحظة التى تضافرت فيهـا عبقريته وثقافـته وكل ظروفه الأخرى فجعلته ينتج كتاب القيم ، وإذا وجدت مـدخلاً لهذه الحلقة الفارغة التى تربط وجوده الثاني المشع المتألق الجليل بوجـوده الأول الغامض المنزوي المتواري الذي قـد يريد الشاعر محـو ذكراه ، آنذاك يمكن أن يقال أنك نفذت فى جوانب شاعرك وأنك عليم به .»

إن النقد لدى بوف يعنى التوغل فـى اللاوعى المبدع ومحاولة استحـضار لحظة التوهج الأولى للإبداع وهو بذلك يعيد كتابة النص الإبداعـى بطريقة أخرى أقرب إلى المبدع ترمي ظلالاً وأنواراً حول العملية الإبداعية وتبرز أمامنا عندئذ القيم والمثل والاتجاهات التى قد بثها المبدع فى كتاباته .

واهتم أيضـًا سانت بوف فى نقـده بالموازنة بين النصـوص الأدبيـة والمقارنة بحـيث تكون هذه النصوص ذات مستويات إبداعية عالية قد أقرها فى نفسه وأيقن بها الناقد وليست مجرد نصوص لا تثير فى أعماقنا المتعة الشعورية .

والنقد لدى بوف إبداع آخـر واحتراق يتـميز بالدقة فى اخـتيار المنهج النقـدي الذى يتلائم مع اتجاهات المبدع وكتاباته وليس هناك انفصـال بين الإبداع والحياة الخاصة للمؤلف إذ لابد أن يكون هناك ارتباط حيوي . ولذلك حين ينظر فى حياة أرنست همنجـواى فلا مفر أن يذكر سيرته الذاتية والحروب التى خاضها وحبه لمصارعة الثيران فى أسبانيا ورحلاته التى قام بها فى أوروبا . فإن هذه التفاصيل قد طبعت أثراً شديداً فى أدب همنجواى .

وقـد طرح سانت بوف نظرية فى الـنقد تفيد بأنه يمكن تـقسـيم الأدب إلى عناصر من خـلال موازنة النصوص الأدبية بالأخرى ، حيث يصبح النقد موضـوعيًا يقدم لنا صوراً صادقة عن عصر الأديب وإبداعه وأثره فى واقعه وحياة الآخرين .

ومن ناحية أخـرى يرى سانت بوف أن رعاية الموهبة قـضية سياسيـة فى المقام الأول فنحن فى عالم الفردية والانسـحاق تحت وطأة الحروب والأزمات النفسيـة ورغم ذلك علينا أن نتجاوز هذه الآلام والمحن ونبحث فى الأجيال عن المواهب الجديدة ونرعاها من خلال مـشروعات ثقافية جادة قادرة على تفجير المشاعر والأفكار والتعبير عن الصمت داخل النفوس .

وقد أصـدر سانت بوف مـؤلفاته فى ١٥ مجلداً أطـلق عليها «أحـاديث الاثنين» وكتـاب آخر حمل الجزء الثانى فى ١٣ مجلداً .

ويعـتبـر من أهم النقـاد الفرنسيين فى عـصره ومـازالت نظرياته النقـدية لهـا أثرها فى الأدب الفرنسي حتى اليوم .



إليزابيث باريت

(١٨٦٠ - ١٨٦١م)

اليـزابيث باريت الشـاعرة الإنجليـزية التى أحـبت الشاعـر روبرت براوننج وعـاشت تكتب له قصائداً من عطر الياسمين ورجفة الظلام وفوح العبير .

قصائدها تكشف عن نفس تسللت وحيدة فى فضاء العزلة تعانق أحلامها الوردية وتختفي فى دمعات أحزانها طاوية جناحًا مكسوراً على قلب جرحه العذاب ومزقته الكآبة والحرمان والقسوة .

فقـد تعرضت الشاعرة إليـزابيث باريت إلى حادث ترك أثراً فى عـمودها الفقرى ثم أصـيبت بمرض رئوي كان يلازمها بين فترة وأخرى ، ومن جهة أخـرى شاهدت شقيقها يغرق ولم تستطع إنقاذه ، فاتجهت إلى العزلة تقرأ فى صمت ، بعيدة عن ضوضاء المدن والعلاقات مع البشر .

وفى الحقيقة فإن قسوة والدها وشراسته ، ورفضه زواجها واستبداده برأيه من أهم العوامل التي حاصرت الشاعرة بالمآسي والأحزان والآلام، ولاسيما بعد وفاة والدتها الرقيقة الحنونة معها دائماً.

فى هذا العـالم الصـامت المظلم تجلس إليـزابث باريت تقـرأ فى حـجـرتها ولا تـسـمع سـوى خشخشة أوراق كتاب أو دقات الساعة على جدار .

ويشق الظلام نور يشع وينشر شروقه في الأرجـاء حين تسلمت أول رسالة من الشاعر روبرت براوننج الذى قال :

- ما أجمل قصائدك أيتها الشاعرة الملاك .

وبدأت إليزابث تكتب لهذا الضوء المتسلل إلى غرفتها الموحشة وتقول للشاعر :

إننى أشكرك من أعماق قلبي .

وأحـبت إليزابث باريـت الشاعـر روبرت براوننج ، وتقـدم للزواج منهـا ولكن والدها رفض واعتبر هذا الشاعر مجنونًا ، فكان لابد للعاشقين من الهروب إلى إيطاليا والزواج هناك .

وخلال تلك الفترة بدأت الشموس تغمر غرفة إليزابيث والعصافير تغرد على نافذتها كل صباح ويعانقها زوجها الشاعر ويخرج معها إلى الغابات الخضراء ويقرأ لها قصائد حبه وتنقش له على ماء البحيرة أعذب الكلمات وتقول له :

كيف أحبك .. إنى لا أدري

دعني أكتشف طرائق جديدة إلى حبك

أحبك أحبك حتى الأعماق

أنت أيها الساكن روحي

سأظل أحبك حتى ما بعد الموت

ويكتب روبرت براوننج أجمل عبارات الحب ويقول :

أحبك أيتها المسافرة فى دمي

الراكضة فوق عشب قلبي ..

أنت يا شجيرتي الخضراء

يا فجري المضيء فى الآفاق

أحبك أنت وحدك ..

أحبك حتى الموت

وما بعد الموت

وتقول إليزابث باريت :

إن روبرت براوننج أنقذنى من كآبة حياتى وإليه يرجع الفضل فى إصدار مجموعاتي الشعرية الكاملة.. هذا الرجل سيشيد لى قصراً من الأحلام فوق الأرض .. حيث استطاع أن يقينى فى عالم النور والحب طوال حياتي .

وقد تميزت قصائد الشاعرة الإنجليزية بحدة الانفعال وتوهج الشعور والنغمات الحية .. والموسيقى الغريبة والكلمات المجنحة المحلقة .

وتقول لشاعرها روبرت براوننج :

أنت لى ضوء عيني

أنت لى نبض قلبي

أنت لى هدب عيني

أنت كل شيء فى حياتي وليس لي سواك



ألفرد تينسون

(١٨٠٩ - ١٨٩٢م)

ألفرد تينسون شاعر الخيال الجامح والمشاعر الصاخبة والأحاسيس الشفافة الرقيقة ، فهو أحيانًا عاصف وفى مرات كثيرة ساكن يتأمل البحر ويحلم بالسفر إلى الأعماق ويمزج ذلك بالأساطير الساحرة والخيال الإبداعي الجميل .

نشأ فى قرية صغيرة اسمها سومربي ، قرأ فى العقيدة الدينية متأثراً بوالده الذي شغل وظيفة قس ، وبدأ فى نشر قصائده التى عبرت عن مرحلة الوعي بالحياة والتأثر بالطبيعة والبحر والشطحات الذهنية إلى الحد الذى كتب ملحمة شعرية من ستة آلاف بيت نظمها فى الثانية عشرة من عمره ثم وضع مسرحية شعرية فى الرابعة عشرة .

ومن قصائده عن البحر يقول فى إحداها :

من لا يتمنى أن يكون

حورية البحر الجميلة

تغني وحدها

تسرح شعرها

تحت ماء البحر

ولها شعر ذهبي مجعد

ومشط من اللؤلؤ

على العرش

وحين يفقد الشاعر تينسون أعز صديق له يغضب على الكون وتثير سخطه الصدمة ويذرف دمعه ويفجر ما فى أعماقه من أحزان ويقول :

أيها البحر اقذف بموجك فوق الصخور .

الباردة القاتمة

أدفع بمائك

ولكم وددت لو استطاع لساني أن يلفظ

ما يثور بنفسى من خواطر

واعتبرت هذه المرثية من أجمل القصائد التى كتبها تينسون وهى ترمز للعدل والخير والسلام والحب والقيم فوق الأرض ، يقول :

اقرعي أيتها الأجراس

للسماء المتوحشة

للغيوم السابحة

للنور الجامد

السنون ما تت فى الليل

اقرعي أيتها الأجراس المتوحشة

ودعيها تموت

واستطاع تينسون أن يجمع فى قصائده بين خيال الرومانسية وانفعالاتها وبين أفكار الكلاسكية ومنطق أسلوبها . ويعتبر أحد رواد حركة الشعر فى العصر الفيكتوري فى إنجلترا بحيث لم ينافسه شاعر سوى براواننج الذى ظهر بعده متأثراً به .

ويقول تنيسون معبراً عن أحزانه :

السنون راحت

دعيها تذهب

تلك عصارة العقل

لأجل أولئك

ذلك السمع

نحن نرى أكثر

وظل تينسون يحلق على أجنحة الريح بكلماته الحزينة كعواء ذئب فى الصحراء يبحث عن ملجأ من الحراب التى تطارده .

وتزوج تينسون فى الواحدة والأربعين من امرأة اسمها إيميلى سلوود بعدما ظل على علاقة حب معها حوالى أربعة عشرة عامًا .. وفى الحقيقة ساهمت هذه المرأة فى مقاومة سحابات الحزن والكآبة التى تجتاح قلب الشاعر وتتملك عليه حياته وانفعالاته الصاخبة وظلت تناقشه فى قضايا شعره وتطوف حوله برقتها وحنانها حتى بعثت فى داخله النزعة الأخلاقية ورقة العاطفة .

ونشر مجموعته الشعرية «إحياء الذكرى» التى أعجبت بها الملكة فكتوريا وحصل على لقب شاعر البلاط الملكي وأصبح تينسون من الشعراء المشهورين ، وتغنت الألسنة بقصائده ، وتراجع بعض النقاد عن هجومهم اللاذع على أشعاره السابقة .

ويحتل تينسون مكانه كبيرة فى مجتمعه حتى منحه رئيس الوزراء لقب «نبيل» وإن كان هذا لم يبدل من نظرته الحزينة وكآبته ولاسيما بعد وفاة زوجته التى أحبها وأهدرت سنوات عمرها تعمل زوجة وصديقة وسكرتيرة شئونه الأدبية .

كان تنسيون يعشق المثاليات والقيم الكبيرة رغم أن العالم لم يعد يكرم هذه المثاليات ، ولكنه استمر يتغنى بالأمجاد ومحاربة تناقضات المجتمع والدعوة إلى صياغة العلاقات الاجتماعية على الصدق والوفاء . ومحاولة مقاومة الكآبة والألم الذى يقتل طموح الإنسان ، وحارب تينسون البرجوازية التي تسلب الشعب حقوقه ورغم ذلك لم يتردد فى تأييد التوسع الاستعماري البريطاني وكتب قصائد يفخر ببريطانيا العظمى وانتصارها فى كل أرض .

ورأى تييسون أن الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي لا يدل ببراعة على الإنسان وانتصاره ، بل ربما تكون هذه الوسائل هزيمة ودمارًا للأفراد فهى تسيطر عليه وتبتلعه ، وحارب تينسون سقوط أفراد المجتمع فى اللذة والمنافع المادية وإهمالهم الجانب العقلي والروحي وعبر عن ذلك فى قصيدته «إحياء الذكرى»

ويرفض تنسيون أن يصبح الفرد مجرد آلة تنتج أو مصدرًا لمنفعة مادية خالصة دون الإحساس بروح الكائن وصلاته مع الطبيعة ومع الخالق .

والحقيقة التى يعبر عنها تينسون كشاعر أن الإنسان مثل شجرة السرو العتيقة قادر على التجدد والتألق والتوحد مع الكائنات فى الطبيعة فى سبيل خلقه وبعث طاقة حب جديدة مشتعلة دافئة .

بالحب قادرة على العطاء دون حدود ويخاطب شجرة السرو فى قصيدته الشهيرة (إحياء الذكرى) ويقول :

فأنت لا تتبدلي فى أى عاصفة

وشموس الصيف الحارة لا تستطيع

أن تغير مالك من تجهم من ألف عام

وها أنذا أحملق فيك أيتها الشجرة

العبوس

وقد سئمت شوقًا لكى أكون فى صلابتك

العنيدة

وأشعر أني أتجرد من دمائي

وأتحد بك وأنمو فى داخلك

كتب الشاعر تينسون تحت تمثاله فى مقاطعة لا نكشير هذه الأبيات المنقوشة على قاعدة التمثال:

أيتها الوردة التى تنبت فى شقوق

الحائط المتصدع

أقتطفك من الشقوق

وأمسك بك فى يدي

أمسك بجذورك أيتها الوردة الصغيرة

ولكن لو باستطاعتي

أن أفهم من عساكِ أن تكوني

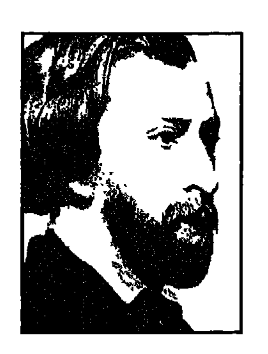
بجذورك وكلك ..

لو باستطاعتي أن أفهمك تمامًا

لعرفت كنه الوجود والإنسان

وهذه الأبيات القصيرة تعبر عن الرغبة فى المعرفة وفض أسرار هذا الكون والتوق إلى التوغل لعالم آخر يفيض بالدلالات الإنسانية .

وهذا كان سر عذاب ألفرد تينسون ؟



الفريد دي موسيه

(١٨١٠ - ١٨٥٧م)

ألفريد دي موسيه شاعر غنائي احتل مساحة عصره واشتهر بقصائده العذبة التى أحبها العشاق وأثرت فى نفوس الرجال إلى الحد الذى كان الرجال يقدمون هذه الأشعار إلى زوجاتهم بدلاً من باقات الزهور .

عاش قصة حب مع الكاتبة جورج صاند وخلال هذه التجربة أبدع روائع الشعر الفرنسي الذى يعبر عن أحاسيس النفس وجيشان الشعور والانفعالات العنيفة والصراعات الحادة والتناقضات فى شخصية الإنسان وأصبحت هذه الأشعار من أجمل قصائد الحب التى عاشت معبرة عن عصرها وعشاقها .

شاعر خجول .. رقيق الحس .. يحترف الصمت أحيانًا .. ويعزف عن التيارات السائدة ويلوذ بالعزلة والوحدة .

كائن تراه أقرب إلى أطياف الربيع .. وشفافية الملائكة .. وأحلام العصافير .. عشق الكاتبة جورج صاند المرأة الجميلة المثقفة والشاعرة والناثرة . أحبها الفريد دي موسيه وهو فى الثالثة والعشرين وهي فى التاسعة والعشرين .

فى تلك الأيام كان يحيا شاردًا فى المقاهى الباريسية يطارد العيون الجميلة ويغفو فوق وسائد الحرير .. ويحلم بعناق امرأة تذهب .. وليلة دافئة فى أيام الصقيع مع امرأة أخرى تجيء.

ويكتب قصائده من نزيف القلب . ولوعة الروح .

أما الكاتبة الجميلة جورج صاند فقد سمعت عنه من الناقد الفرنسى سانت بوف في إحدى الصالونات الأدبية التي يرتادها صفوة المجتمع من المثقفين والأدباء والشعراء .

واحتقرت جورج صاند سيرة هذا الشاعر .

ورفضت أن يُذكر اسمه فى صالونها الأدبى الراقي . وذات ليلة كانت تجلس على إحدى الموائد فى حفل عشاء أقامه بولوز مؤسس مجلة العالمين وسمعت من ينادي :

– ألفريد دي موسيه

فنظرت فإذا به يجلس بجوارها . وحين تحدثت معه بعبارات أقرب إلى الهمسات .. شعرت بالندم .. والألم .. لأنها فى لحظة ما كانت تحتقر ذكر اسمه فى صالونها الأدبي .

بدأ ألفريد دي موسيه يكتب إلى جورج صاند ويبث لها أحاسيسه وآلامه فى عالم يراه أكثر قسوة ، لا يعرف الرحمة أو التعاطف مع القلوب الرقيقة وأحلام البشر .

وتكتب جورج صاند له متأثرة بقصائده وكلماته الحزينة وتكتشف أن هناك طفلاً جميلاً مدهشًا يسكن هذا الشاعر الرائع .

وتشاطره أفكاره ويقاسمها خواطرها وأفكارها . وفى يوم ما يصاب بأزمة قلبية ويسقط مريضًا على الفراش .. وتظل ساهرة بجواره ترعاه ويتألم فى حبها ..

وينتابه الشك تجاهها .. ويشعر أن صاند لها علاقة مع الطبيب الشاب الذى يأتي ليعالجه . وترفض صاند هذا الشك .. وثورة الغضب التى اشتعلت فى قلب ألفريد دي موسيه

ولكن يقرر أن يهجرها .. ويسافر غاضبًا. وهى الأخرى تسافر مستسلمة للأحداث مع الطبيب عشيقها .

وتمر الأيام .. ولا يستطيع أن ينساها .. ويعود من رحلاته منكسراً مهمومًا ..

وتعود صاند هى الأخرى بعد رحلة كآبة وملل ويلقاها بالصدفة ، ويعانقها ويظل يبكي على صدرها ..

ويكتب إليها .. هذه الحبيبة الحزينة الضائعة بعد رحيل عشيقها الطبيب عنها ، ويقول :

شاهدت صديقتى الوحيدة

أعز صديقاتى إلى الأبد

التى غدت هى نفسها قبرًا باهتاً

قبرًا حيًا يشيع فيه غبار

موتنا الحبيب

غبار حبنا المسكين الذى طالما

هدهدناه برفق

على قلوبنا فى الليل البهيم

ولا تدري الحبيبة جورج صاند ماذا تفعل ؟ لقد أحبت الشاعر ألفريد دي موسيه وانجذبت فى رحلة وهم مع الطبيب الذى خدعها . وهاهى ذى تعود إلى حبيبها الأول وتكتب له بدمعها :

إنى استنجد عبثًا بالغضب

إنى أحبك وسأموت من حبي

إذا لم يصنع الله معجزة من أجلي

إنى عاجزة عن فعل شيء ..

يا للعزلة .. يا للعزلة ..

أريد أن أقتل نفسي

آه يا طفلي كم تشعر أمك بالتعاسة

ولم يعد ألفريد دى موسيه يحس طعمًا لهذه الحياة القاسية ، تنتابه الأزمات العصبية الشديدة وتجرفه عاطفته ويشعر أنه مقبل على الموت وعلى حافة الهاوية . ويعود يكتب إلى حبيبته جورج صاند التى غدرت به ثم عادت نادمة ويقول :

لقد فقدت قوتي وحياتي

وأصدقائي ومرحي

فقدت حتى كبريائي

الذي كان يوهم الناس بأني عبقري

وتعود صاند غاضبة حزينة .. تبحث عنه فلا تجده . يلوذ دائمًا بالفرار ويهرب منها . إنه يعشقها ويتمناها ولكن إحساسًا غامضًا بالحزن يداهمه ويصورها أمامه مأساة تحاصره .. وامرأة قد طعنته يومًا وتكتب إليه :

أيها الطائش

إنك تهجرني فى أسعد لحظة

من لحظات حياتي

أليس كثيرًا أن تقمع كبرياء امرأة؟

وأن تلقى بها على قدميك ؟

يا قلقي فى الحياة

يا حبي المشئوم

إنى على استعداد لأن أضحي بكل حياتي

فى سبيل يوم واحد

أحظى فيه بحنانك

ويسافر ألفـريد دي موسيه إلى باريس ويرحل داخل وطـنه ، تسكنه فى الروح .. ويسكنها فى الوجدان والقلب والنفس .

تقف الدنيا أمامه بكل ما فيها من بشاعة وتوحش النظم الرأسمالية والحروب .. وطبقة الأثرياء الذين يحـتكرون كل المتع ولذائذ الأرض دون اعـتـبار للقـيم أو المبـادئ الأخلاقـيـة ، ويشتـرون بأموالهم قلوب البشر ويسيطرون على العالم بالجشع والأطماع والفساد والأنانية .

وأين يذهب الشاعر الرقيق فى هذا العالم ؟

ليس له إلا الهروب إلى الغربة . ليس أمامه سوى الضياع والاحتراق والنزيف .

وتقوم صاند فى لحظة جنون بقص شعرها وتبعث به إلى عشيـقها الغائب المسافر . وتظل باكية منتحبة .

وتذهب إلى بيته تزوره أثناء غيابه وتظل واقفة هناك تتخيل عودته حتى تسقط على الأرض من اعيائها وترقد فى المستشفى . وتلهج باسمه .. وتسبح فى خيالات وأوهام وأطياف ساحرة .

وتتخيل ألفريد دي موسيه يقبلها ويحتويها بين ذراعيه . وتكتب له :

يا حبي الوحيد

يا حياتييا أحشائي يا دمي

اذهب ولكن اقتلني

وانت ترحل

كان ألفريد دى موسيه يقول لها دائماً :

لن أموت قبل أن أكتب كتابًا عني وعنك .

وحقًا أصدر كتاب «الليالى» الذى يحمل نبضات قلب أضناه العذاب ومزقه الحرمان وحطمه الحب وصيره بقايا ، فأصبح كأنه جرح لا يُشفى ودماء نازفة .

واستطاع موسـيه أن يضم فى ديوان «الليالي» أروع القصـائد التى لاقت شهرة كبـيرة حتى إن العشاق كانوا ينسخون هذه القصائد ويقدمونها لبعضهم مع باقات الورد والياسمين .

وتكشف القصـائد عن انفعالات إنسانيـة تعد صورة للروح حين يطهـرها العشق فى نبع الألم ونهر العذاب . يقول لها :

إن قلبى وهو المليء بها

كان يهيم على وجهها ولم يعد يعثر عليها

ومع ذلك فقد كان فى وسعي

حينئذ أن أتجه نحوها

لأطوق بذراعي هذا الوجه الجميل

وكان فى مقدورى أن أصيح :

ماذا فعلتِ يا خائنة ماذا فعلتِ بالماضي ؟

ثم يعود العاشق الكبير يقول لها :

إنني أقسمت أن يكون الحب سر حياتي

وعلة مماتي

لتتجرد أمام الجميع من الكبرياء الذي يفترسك

أيها القلب الذى تملؤه المرارة ..

والذى ظُن أنه مغلق

لتحب كى تعود إلى حيويتك

صر زهرة لتتفتح

بعد أن تألمت ينبغي أن تتألم

من جديد

وبعد أن أحببت يجب أن تحب دون توقف

وتتألم جورج صاند من هذه القصيدة التى يدعو فيها قلبه إلى الحب مرة أخرى وتكتب له باكية:

«أنا سعيدة الآن لأنك لن تذكرني بين أذرعة النساء اللواتي ستتصل بهن . ولكني واثقة من أنك حين تخلو إلى نفسك تصبح فى حاجة إلى البكاء وإلى الصلوات وإلى اعتزال صخب الحياة المادية وستذكر من غير شك امرأة اسمها : جورج صاند .»

ويقول لها فى رسالته الأخيرة :

إن الشيء الوحيد الباقي لي في هذه الحياة

هو أننى أملك البكاء أحيانًا

ومن بعض الملامح للسيرة الذاتية للشاعر الفريد دي موسيه أنه فى السابعة من عمره وجد ترجمة لكتاب «ألف ليلة وليلة» وتأثر بهذا الكتاب وحكاياته عن الأساطير وجنون العشق وظل فى ذاكرته حتى أصدر ديوانه الشعري «الليالي» ليسبح فى هذا المناخ الأسطورى عن العشق والمرأة.

عاش حياته مصابًا بالتردد والاضطراب فقد أشارت عليه أسرته أن يدرس الهندسة ولكنه تراجع وفضل دراسة الحقوق . ولكنه ابتعد عن دراسة الحقوق وراح يتمشى في الحدائق ويكتب الأشعار وقرر أن يلتحق بكلية الطب . وبدأ يدرس الطب غير أنه انتابته حالة من القلق والرفض لهذه الكلية وصور الجثث فى جلسات التشريح فهجر الطب وقرر أن يدرس الموسيقى .

وعندما بدأ فى دراسة الموسيقى التى يراها تتلائم مع مزاجه الفني وعشقه للأدب شعر بالضجر

وترك الموسيقى ولجأ إلى الفنون التشكيلية ليرسم لوحـات يقلد فيها كبار الفنانين ومن الغريب فى هذا الشاعر انحـصار ذاته فى عيون المرأة حيث أصبح مـهيأ للتأثر بالمرأة وعشـقها فى كل لحظة من لحظات حياته وتنتابه حالات من الوجد والاضطراب النفسي حين يغرق فى الحزن أو يصاب بأزمة عاطفية ، فـالعالم أمامه ليس إلا امرأة ، وحديث شجى دافئ مـع امرأة أفضل لديه من أحاديث فى الأدب أو شئون السياسة والموضوعات الأخرى .

وعاش حياته عاشقًا

ورحل أيضًا عاشقًا

حيث تدهورت صحته فى السابعة والأربعين

وبدأ يستشعر رهبة الموت ، يقول :

أحس به فى كل مكان

وأراه فى كل مكان

وكلما أزداد تخبطًا فى البؤس

كلما تيقظت فى نفسي غريزة التعاسة

وما أكاد أهم بالتقدم على الأرض خطوة واحدة

حتى أشعر أن قلبي يتوقف فجأة

إن قوتي فى الصراع تتضاءل

إنني سأظل فى معركة دائمًا حتى الراحة الأخيرة

وعندما داهمه المرض بشدة قال :

أريد أن أنام ..

وأخيرًا سوف أنام ..

وأغمض عينيه إلى الأبد ..

ونام



هاريت بيتشر ستو

(١٨١١ - ١٨٩٦م)

هارييت بيتشر ستو الكاتبة الأمريكية التي ولدت فى مدينة ليتشفيلد واقتربت من حياة العمال والمزارعين وعاصرت الاضطرابات السياسية التي تنادي بالحرية وإلغاء الرق والعبودية .

وذات يوم شاهدت هارييت أحد العبيد الذى حاول الفرار من مزرعة سيده مصلوبًا على أحد الأشجار وظهره عاريًا وسياط الرجل الأبيض تلهب جلده والعجوز العبد يصرخ حتى توقف النفس فى رئتيه ، وفارق الحياة وألقوا بجثته فى ركام النفايات .

وظلت هارييت تبكي بشدة وهى لا تتصور ما يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الحر المتمدن الذي يجتاز البحار والمحيطات لينشر العلم فى المدن والجزر الجديدة .

وبدأت هارييت تفكر بجدية فى قضية الرق والعبودية ، وتسللت إلى مزارع العبيد وجلست معهم تنصت إلى قصص تُدمي القلب وتحرق الوجدان وتجسد بشاعة العالم المتحضر الذي يبدو أمام البشر فى صورة زاهية ويكمن خلفها وحشية عاتية لا تعرف الرحمة أو الإيمان . وقررت أن تكتب شيئًا عن هذه القضية ليعلو صوت هؤلاء التعساء الأرقاء وتكشف الحقيقة أمام ضمير البشرية لعله يستيقظ ويساند العبيد ويحررهم .

وفى تلك اللحظات كان أخوها الكاهن فى الكنيسة يدعو هو الآخر إلى التعاطف مع العبيد وإعطائهم حريتهم واحترام إنسانيتهم . ولذلك عاشت القضية فى ذهن هارييت ولم تفارقها إطلاقًا حتى عندما تزوجت أستاذ الجامعة كالفن ستو ناقشت معه القضية وشجعها على الاستمرار فى النضال ضد همجية الرجل الأبيض وتوحشه .

وفى يوم تسلمت رسالة من أخيها الكاهن يحدثها عن عذاب العبيد وهذا النظام اللا إنساني فبدأت على الفور تفكر فى كتابة رواية تدعو إلى مناهضة الرق فى أمريكا .

وكتبت مجموعة قصص قصيرة عن حياة المزارعين والأرقاء ولكنها تذكرت تلك القصص التى سمعتها فى مزارع القهر وفرقعة السياط والموت وأنات الجراح وراحت تخط فصول روايتها «كوخ العم توم» .

وبدأت هاربيت بيتشر ستو تنشر هذه الرواية حلقات فى إحدى المجلات المناهضة للرق والعنصرية وتابعها الناس فى كل مكان وهاربيت تكتب بحماس وإيمان برسالتها وهي تصف العم توم وأغانيه الحزينة وقصة حياته مع الأنين والدموع حتى تأثر الناس بالرواية ورددوا أغاني العم توم .

وفى أحد الأيام تأخرت هاربيت عن تسليم الحلقة إلى المجلة فصدر العدد خاليًا من الرواية المسلسلة ، وهنا ثار القراء والمشتركون وهبت عاصفة من الاحتجاج تطالب المجلة بالاستمرار فى النشر . وأصبحت هاربيت أسيرة هذه الرواية ولا تدري كيف تضع لها النهاية .

وعندما جاء أحد الناشرين لينشرها فى كتاب توقفت هاربيت عن النشر فى المجلة وصدرت رواية «كوخ العم توم» لتهز الضمير الغافي ، وتوقظ الذهن العالمي من بلادته وترفه ، وتدعوه إلى تغيير مفاهيمه الرجعية والتعسفية .

وعندما نشرت الرواية أقبل عليها القراء ونفذت ستة آلاف نسخة فى أسبوع ثم بدأت المطابع فى إعداد الطبعة الثانية التي بلغ فى عام واحد ما بيع منها ٣٠٥ ألف نسخة .

ثم ترجمت إلى جميع لغات العالم وانتشرت الرواية فى البيئات التي تعاني من ذل العبودية وظلمات اليأس وسيطرة الطغاة .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد تلقت الكاتبة هاربيت رسائل تهديد بالقتل إذا لم تسحب روايتها من المكتبات ، لأن روايتها أثارت القلاقل والتمرد بين العبيد وصرخ العالم ضد الرق والعبودية . ولم تبالي هاربيت بمن يهددها وزارت أوروبا تدعو إلى وقف نزيف الدماء والقهر وتحرير العبيد والغاء العبودية .

وتطور الأمر بعد ذلك إلى ثورة العبيد وقيام الحرب الأهلية التى ألغت نظام العبودية فى أمريكا.

وحين التقى الرئيس الأمريكى إبراهام لنكولن بالكاتبة هاربيت بيتشر ستو ابتسم وهو يقول لها:

أنت وحدك أيتها السيدة الصغيرة التى أثارت هذه المتاعب وفجرت نيران الحرب الأهلية ، من أجل العم توم!!



تشارلز ديكنز

(١٨١٢ - ١٨٧٠م)

تشارلز ديكنز الروائي البريطاني أحد أعلام الأدب الإنساني فى العالم . إذا قرأت روايته «أوليفر تويست» دمعت عيناك واحترق قلبك على هذا الطفل اليتيم الذى لا يجد من يرعاه ، ويقسو عليه الناس والمجتمع ، وإذا قرأت رواية «مستر بيكويك» ظللت تضحك حتى تدمع عيناك أيضًا . إنه عبقري فنان قادر على التحكم فى الأهواء والعواطف الجياشة .

عاش طفولة يتيمة كلها حرمان وألم . اعتصر الجوع معدته وألقت به الظروف فى دروب الوحدة والضياع . ورغم أنه لم يكمل دراسته إلا أنه قرأ بنفسه وشغف بالأدب والشعر ، وقد عاش مع الأطفال الفقراء واليتامى المضطهدين والهاربين من الملاجئ التي يفترض فيها الرعاية والعطف ولكن كانت مثالاً سيئًا للتربية الخاطئة والجشع واستعباد الأطفال ، لذلك عندما كتب «أوليفر تويست» لم يكن يكتب إلا عن حياته التي عاشها وعن الطفولة البائسة . ولعله بذلك أول الأدباء الذين فتحوا هذا المجال وجذب انتباه الناس والمسئولين والمؤسسات التربوية إلى الأطفال الصغار الذين يعملون فى الحرف والمهن الشاقة وضياعهم وسقوطهم فى أيدي المنحرفين والمجرمين والعصابات.

وأهم ما يبهرك فى أعماله تلك الواقعية التسجيلة التي يكتب بها رواياته وقصصه أنه يصف لك شوارع لندن والأماكن والمطاعم والبيوت القديمة ولافتات الشوارع ودور إيواء الأيتام . وإذا ذهبت إلى لندن فوجئت بأن هذه الأماكن كانت تقع حقًا كما وصفها تشارلز ديكنز دون الاستغراق فى الخيال أو افتعال مكان ما .

وقد وظف السخرية فى أعماله بطريقة تثير الضحك والطرافة ، كتب بذلك رواية "مغامرات مستر بيكويك" حيث تهكم فيها على الطبقات البرجوازية التي تستهلك كل شئ ولا تجد هدفًا تحققه فى الحياة . إنها الطبقة المتخمة المتبلدة الإحساس التي تستنزف موارد الوطن دون عطاء .

كتب أيضاً الرواية التاريخية فى «قصة مدينتين» حيث حاول تسجيل أحداث الثورة الفرنسية بين لندن وباريس . والرواية تقدم لك الأحداث والأسباب والظروف دون مبالغة . ومن أهم ظواهر عبقريته الأدبية أن روايته لا تحلل واقع الإنسان بمفرده ، ولكن تفسر المجتمع وما فيه من تناقض وصراع بين طبقة الأغنياء والأثرياء وأنه يتعاطف مع هؤلاء الفقراء ويمقت الأثرياء الذين يستعبدون الغير ويستغلون ظروفهم الصعبة .

ويُعد تشارلز علامة هامة فى الأدب العالمي وأحد رواد الواقعية التسجيلية والنزعة الانسانية وقد أثر على الأدباء العرب إلى حد كبير ، و ليس هناك أديب عربي إلا ولابد أنه حمل شيئاً من هذا الأديب الكبير ومنهم نجيب محفوظ ومحمود تيمور والعقاد والمازني وغيرهم .

وكان تشارلز ديكنز يجد متعة كبرى وهو يعقد ندوات يقص فيها بعضًا من مواقف قصصية أو مشاهد من رواياته . فإذا تطرق إلى الحزن والألم بكى الجمهور أمامه من فرط الألم والتمزق . وإذا وصف مشهدًا ساخرًا كوميديًا ضحك الجمهور بلا توقف ، ويقول ديكنز :

- كنت أجد لذة كبرى وأنا أشاهد المعجبين بأدبي يختنقون أو يصابون بالإغماء إما من فرط القهقهة أو البكاء .

وقد أحب بلده إلى حد أنه يحلم بعالم مختلف للأطفال وبيوت ترعاهم فى حب وحنان وأسرة تتماسك في مواجهة الشدائد ودولة تقوم برعاية الفقراء ووضع التشريعات التي تكفل حمايتهم من الدمار والضياع والفشل وفي أحيان كثيرة يخرج من بيته ويجوب شوارع لندن على أقدامه دون هدف أو قصد غير أنه يتأمل ما يدور فى مدينة لندن من أحداث وما يشاهده من صور الحياة .

وعندما يذهب إلى بيته تتحول هذه الرؤى إلى قصص وشخوص وأفكار إنسانية تنشد حياة الإنسان المعاصر وتبحث عن صدى لآلامه وشفاء لجراحه التي لا تنتهى . ويظل تشارلز ديكنز نبعًا لا ينضب ننهل من تراثه ، ونتعلم كيف يصبح للإنسان قلب فى عالم بلا حس أو شعور أو ضمير.



روبرت براوننج

(١٨١٢ - ١٨٨٩م)

شاعر إنجليزي طوحته المعاناة فى عاصفة الألم وجرفتـه أحاسيس الحب إلى عناق امرأة ظلت عيناها تضيء له الدرب نحو مجد الشعر وعرش الأدب والحياة الرائعة .

عشق الشاعرة إليزابث باريت وتبادل معهـا أجمل رسائل الحب والغرام وتزوجها وأنجب منها ولدًا حمل وداعة أمه ورقتها وفلسفة أبيه وغنائياته .

كان روبرت براوننج يهرب من كآبة الحياة وظروفه الاجتماعية السيئة ليجلس مع إليزابث على ضفة النهر ويقص عليها ملامح طفولته البائسة يقول :

- «ماتت أمـى ولم أبلغ السابعـة من عمـرى وكنت من فرط حـزني ولهفتـي إليها أراها فـى أحلامي تناديني فأصرخ مناديًا عليـها وتصحو زوجة أبي لتوجه اللوم والقـسوة لي ، وأهرب إلى ركن فى الفراش وأختبئ من غضبها .»

ويعود ويقول :

وكنت أقـرأ فى الأدب كثـيرًا وهامت روحـي فى عالم ناء أبحث فـيه عـن لحظة صفـاء وقطرة حنان تنسكب فى صحراء قلبي وعمري .

وعندما قررت أن ألتحق بالجامعة رفضت زوجة أبى وادعت بأن والدي لا يملك ما ينفقه على دراستي بالجامـعة وتملكني اليأس والإحـباط والخوف من المسـتقبل ولكن حـبي للفن والشعـر والأدب دفعنى إلى البحث عن عمل وأن أقاوم .

وظلت الشاعـره إليزابث باربت فى عـزلتها تكتب إلى بـراوننج قائلة : **لقد سـعدت بشـخصك الجميل أيها الطائر المحلق فى روحي وأتمنى أن يأتي الربيع لأراك فإن الشـتاء يجعلني رهينة محبس ولكننا فى الربيع سوف نلتقي .**

ويكتب إليها براوننج يقول :

- **أقبل الربيع الدافئ يا حبيبتى والأطيار فى أعشاشها تعلم هذا وينبغى أن نلتقي حالاً ..**

وظل العاشقـان ينثران كلمات الحب على الأوراق وعندما تقدم براونـنج للزواج منها قال عنه والدها :

إن هذا الرجل مجنون وأحمق كبير ولن تتـزوجي منه إطلاقًا . وتقرر إليزابث باريت أن تهرب إلى إيطاليا مع بروانج ويتزوجها هناك ويعيشـان فى فلورنسا بين أحضان الطبيعة ويكتب براوننج أجمل قصائده ويقول :

والآن يا ديلى أنا وأنت

لنكن قدوة للجميع صدقًا ووفاء

مع العازفين سيان عزفوا مجانًا

أو للجرذ والفئران

إن وعدنا يجب أن نكون أوفياء

إن أخلصنا يجب أن نكون شرفاء

وأنجب العاشـقان طفـلاً عاش فى دوحـة الحب يركض بجوار الغـدير ويلهو مع الفـراشات ، والعاشقـان قد أطلقا القلب يخفق فى عالم الإلهـام والشعر والخيال حتى شـعرت إليزابث باريت بمرض شديد وهتفت فى ذات ليلة قائلة :

- **إنني سأموت يا حبيبى**

وانهالت على زوجها تقبيلاً ثم عادت تهمس له :

- **إن أرواحنا تسبح فى ملكوت الله** . وفاضت أنفـاسها .. وأغلقت عـينيهـا وهى نائمة على صدره .

وبعد رحيلها بأيام ..

أصاب المرض الشاعـر الكبيـر وجلس ابنه بجواره يواسـيه .. وصـوت الأب يتكسر باللـوعة والألم وقال لولده :

- **إني أموت يا ابنى العزيز وسـوف أسافر إلى أمك** . وحاولت إيطاليا أن تحتفظ بجثمـان الشاعر براوننج ولكن إنجلترا رفضت فأقامت له مقبرة رمزية ودفن الشاعر بجوار زوجته الشاعرة إليزابث باريت .



عائلة برونتي

(١٨١٦ - ١٨٥٥م)

فى عصر فكتوريا شهد الأدب تحولاً عن الرومانسية واتجه إلى الواقعية والحقائق العلمية وانتشرت حركة عقلية قوية تهتم بالفلسفة والحكمة وأصبح الفن له رسالة وهدف لرفع مستوى الناس من الرذيلة والجهل والخطايا وأقبل الأدباء على الدراسات النفسية والتعمق فى أحوال الذات وكشف رغباتها وكبح جماحها . فلم يعد هناك فرصة للتعبير عن المشاعر الرقيقة فالجميع يتحفظون فى التعبير عن خوالج الذات وأسرارها . واتسم العصر كذلك بسيطرة النزعة الدينية ، وإذا ظهر ما يخالف ذلك فإنه يعد أعجوبة .

وكانت عائلة برونتى حقًا أعجوبة زمانها فقد تألقت ثلاث أخوات هن : شارلون (١٨١٦ - ١٨٥٥) وإميلى (١٨١٨ - ١٨٤٨) وآن (١٨٢٠ - ١٨٤٩) نشأن فى هذا العصر الذي تدفقت فيه الثروة على البلاد وانغمس البعض فى التفاهات واللذة والمتع الحسية والتزم البعض الآخر بالنزعة التطهيرية «بيو. يتانزم» التي دعت إلى التقشف وكراهية الفنون والعزلة عن تيارات الحياة .

ولذلك عاشت الأخوات الثلاث فى مدرسة داخلية يتألمن مع مشاعرهن الصافية وأحلامهن التي تتكسر على صخور الواقع حيث كانت التقاليد والأنظمة تصادر هذه العواطف ولا تعترف بأن للفتاة إحساسًا رقيقًا وقلبًا قادرًا على الحب والخفقان ، كانت حياة تعسة حُرمن فيها من التعبير عما يجول فى وجدانهن أو قلوبهن الخضراء النقية . فقد اعتبرت الفتاة التي تتحدث عن مشاعر الحب أو الود ساقطة ومبتذلة .

وربما أسهم فى شقائهن حياتهن الكئيبة مع أب تابه نيبر متقف لا يقيم اعتبا[illegible] [illegible] الخلجات العاطفية الفتيات ، فقد كان يحاصرهن ويعزلهن عن المجتمع وفرض عليهن [illegible] والعذاب والصمت فلم يكن لهن من عزاء سوى القراءة والتعمق في الأدب والنارمخ وتك[illegible]

التحليل النفسي . ويزداد الأمر سوءاً عندما يولي الأب اهتمامه الكبير لابنه باتريك ويمعن في تدليله حتى يسقط الشاب في الفحش والفجور ويعاقر الخمر والمخدرات ويعود في الليل هائجًا مختل العقل ، يضرب أخواته البنات ورغم ذلك يسهرن على راحته ويشفقن عليه ويقص عليهن مغامراته مع النساء .

كتبت شارلوت برونتي روايتها الشهيرة «جين آير» من أروع الأعمال الأدبية الواقعية التي ضمنتها سيرتها الذاتية في المدرسة الداخلية وحبها لمعلمها الذي نقشت إليه رسائل بدموعها ، ولكنه كان يلقى بالرسائل في سلال المهملات .

أما إميلي برونتي فقد كتبت أجمل روايات الحب والتضحية والانتقام ، وصراع النفوس ووحدة المشاعر وقهر المجتمع ومواجهة الموت في رائعتها «مرتفعات وذرنيج» عن البطل "هيثكليف" هذا الطفل اللقيط الذي ربته عائلة كاترين ويعيش معهم ويجلس معها تحت الأشجار على ضفاف البحيرة تقرأ له أجمل قصائد الحب وقصص التضحية والغرام العنيف .

وإذا كان هيثكليف ابن الطبيعة الذي نسجته عذابات اليتم وقهر التشرد والمنفى في هذا الكون فقد عشق كاترين المنسوجة من غضب الريح وزمجرة العواصف وثورة البحار . فهي فتاة عنيفة في عواصفها أحبت هيثكليف بكل جوارحها ولكنها انقادت تحت قمع الظروف إلى الزواج من شاب ثري .

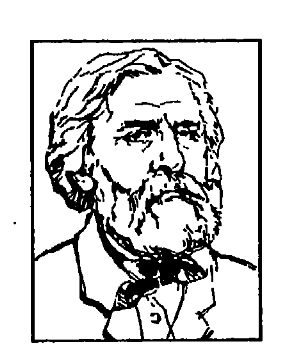
ويصبح هيثكليف محطمًا منهاراً ويختفي فترة ليعود قويًا وثريًا ليقرر الانتقام من الذين دمروا حبه الكبير وفي ليلة تسقط كاترين بين ذراعيه مريضة وتطاردها أشباح الموت ويبكي هيثكليف ويقول لها :

كاترين ، إني أحبك وعدت إليك للانتقام من كل هؤلاء الأوغاد .

وتموت كاترين [illegible] ويحملها هيثكليف ويصرخ في الغابة بين الأشجار والطبيعة الحزينة ويتوسل إلى حبيبته ألا تموت ويقسم أن ينتقم لها ويقول :

— [illegible] روحك تطاردني إلى نهاية حياتي يا [illegible] ولن أعرف الحياة إلا [illegible] لتظل روحك معي إلى مدى الدهر .. إني أحبك .. [illegible]

ويقرر الانتقام غير [illegible] بالأنظمة أو القوانين [illegible] روحه عذابات القهر [illegible] والـ[illegible]



تورجنيف

(١٨١٨ - ١٨٨٣م)

الأديب إيفان سرغيفيتش تورجنيف رغم أنه ولد فى عـائلة إقطاعية ثرية تمارس القسوة والقهر على الفلاحين الفـقراء الذين يعـملون فى الأرض إلا أنه تألم مما يراه ، ووقف ضد نظام العـبودية ودعا إلى تحرير الأقنان ومنحهم حـريتهم الكاملة . ونلمح فى قصصه ورواياته وأعمـاله المسرحية موقفه ضد الطبقة الإقطاعية التي تعد بمثابة عقبة فى طريق التقدم الاشتراكي .

تأثر إيفان بأمه وشخصيـتها الصارمة وسلوكها الحازم القاسي فقد عاشت فـترة من حياتها قبل الزواج مع زوج أمها الذي ذاقت منه الحرمـان والقهر والذل ، ثم آلت إليها ثروة كبيـرة من عمها ، فتـزوجت والد إيفان الذي لم يكن له هم بعد ذلك إلا الإقـبال على الخمـر واللهو فخوراً بشـبابه ووسامتـه ، ولذلك تكونت شخصيـة الأم من الاستبداد والقـهر ، فلم تقبل أن يعارضـها أحد فى البيت أو يرفض لها أمـراً ، وظهرت حدة طبعهـا مع الفلاحين الفقراء الذين يشتـغلون فى أرضها حيث تعاقبهم بالسوط .

هذه الشـخصيـة الرهيبـة تركت آثاراً فى نفس الطفل .. فـاكتـسب القدرة على وصف طبـائع النفوس الطـاغية وتحليل أسبـاب تعـسفهـا وسطوتها ويكتب الطفل فى مـذكراته عن تلك الفـترة قائلاً:

«أمي قاسية وأخشاها أكثر من خشيتي من النار .. فهي تعاقبني كثيراً ولأتفه الأسباب ».

وعندما شاهد أمه تضرب بالسوط أحد العبيد شعر بالغضب والحزن وتمنى فى أعماق ذاته أن يثور هؤلاء العبيد ويهربوا من الأرض ويقول فى مذكراته :

«اجتاحني الغضب والنقمة والسخط وأنا أتطلع إلى ما حولي ولا أقوى على فعل شيء» .

واتجـه الطفل إلى المكتـبة الكبـيـرة بقصـر العائـلة وبحث عن الكتب وغـرق فى كنوز المعرفـة

والعلوم . وجد المكتبة تحتوى على كتب الأدب والمعاجم والموسوعات الضخمة بمختلف لغات العالم ، فبدأ يقرأ ويمضي يومه مع الكتب ، لم يكن يحدد فرعًا من المعرفة وإنما قرأ كل ما شعر بالرغبة فى اكتشافه وتعلمه . ومن هنا اطلع على كتابات الشعراء والأدباء والمفكرين مثل : فولتير وجوته ووالتر سكوت وشيللر وشاتوبريان وجان جاك روسو وبوشكين وليرمانتوف .

ساهمت دراسته فى ثقافته وإدراكه للواقع من حوله وتفتح وعيه الثوري واكتشف المدرسون موهبته المبكرة وفكره الناضج فأخذوا يمدونه بالكتب ويساعدونه فى الدروس ويحثونه على الاطلاع الدائم .

وفى المرحلة الجامعية التحق بكلية الآداب حيث الأفكار الثورية ضد الحكم القيصري وثورة الطلاب والقلاقل السياسية فاستطاع أن يفهم قضايا الوطن ويحدد فكره وانتماءه .

فى بداية حياته الإبداعية كتب تورجنيف الشعر وغلبت عليه الملامح الرومانسية كما جاء فى قصائده : "الزنبقة" و"انطلقت الغيمة" ، وكتب ملحمة باراشا التي تناول فيه حياة الطبقة الإقطاعية وأكد أن ظروف حياة الطبقة الإقطاعية التافهة هي التي تخلق جيلاً ضائعًا من الشباب تموت فى داخله المشاعر الجميلة وقد أثارت هذه الملحمة إعجاب الأدباء والنقاد وأكدوا أن تورجنيف يسير على خطى الشاعرين : بوشكين وليرمانتوف .

وكتب تورجنيف مجموعة قصص هى : حوار ، صورة صياد ، الإقطاعي ، الصور الثلاث ، وفى هذه الأعمال وصف حياة الفلاح الروسي وأخلاقه النبيلة والبؤس الذي يعاني منه مع الإقطاعي ، وإلى جانب ذلك برع فى تصوير الطبيعة والعواطف والأحاسيس الداخلية بطريقة بديعة تجسد المشاهد الواقعية فى الحياة .

وقد استطاع ذلك عندما شاهد فى فرنسا أحداث الثورة والعمال يدافعون عن وطنهم ويسقطون فوق أعمدة المتاريس داخل الأحياء والشوارع فيظل هذا المشهد عالقًا فى ذاكرته حتى ينقله بفنه فى رواية "رودين" البطل الذي يستشهد فوق متاريس باريس دفاعًا عن مبادئه وقضاياه وعندما توفيت والدته القاسية أعتق تورجنيف الأقنان وجميع الفلاحين الراغبين فى الحرية وأهدى لهم قطع أراضي يعملون فيها دون مقابل وفعل ذلك قبل أن يصدر قانون إلغاء العبودية فى روسيا.

قال عنه الأديب دستويفسكى :

"- تورجنيف شاعر عبقري وأرستقراطي وسيم ومبدع لا أعتقد أن الطبيعة قد حرمته من أى شيء فهو فنان شجاع فى أعماقه روح طيبة ."

أما مسرحياته التى كتبها فقد أسست المسرح الاجتماعي الذى سار على خطاه بعده تشيكوف وأول مسرحية له هى : «ستينو» . وهى تحمل تأملات عن معنى الحياة وجدوى الأحلام ومغزاها وغلب عليها الحزن الرومانسي ، ومسرحية "أغواء القديس" و"حديث الطيش والإفلاس" ، و«ينقطع الخيط» ، «والطفيلى» ، «الأعزب» ، «وشهر فى الريف» ، «والقروية» ، «وفطور على مائدة نبيل» وفى هذه المسرحية الأخيرة كشف شخصية الإقطاعي ونفسه البشعة الحاقدة الخالية من الأخلاقيات والمبادئ وعبر عن خلجات النفس البريئة النقية الطاهرة .

وذاق تورجنيف مشاعر الحب واحترق فى لهيب العشق ، فقد صدمته أمه فى شخصية المرأة فابتعد عن النساء وعندما رق قلبه لفتاة فقيرة وأحبها طردتها أمه فى الحال وقد أنجبت هذه الفتاة طفلة أرغمتها الأم على التخلى عنها ثم ماتت الفتاة الفقيرة وصارت الطفلة رمز الحب والألم .

وأحب تورجنيف مغنية أوبرا جاءت مع فرقة إيطالية للعرض فى روسيا وشاهدها فى أوبرا «حلاق إشبيلية» وسافر معها إلى باريس واستدعى ابنته لتعيش مع هذه المغنية التى يحبها وظل حتى آخر أيامه على علاقة بها .

وتعرف تورجنيف على شقيقة الكاتب تولستوى لكنه لم يتزوجها مما أدى إلى النزاع مع صديقه تولستوي كاد ينتهى إلى القتال فقد كان قلبه عالقاً بالمغنية التي سافر معها إلي باريس بعد ذلك .

ومن الروايات التى كتبها تورجنيف رواية «العش الإقطاعى» التى يقرر فيها زوال دولة الإقطاع من العالم فالبطل فى نهاية الرواية يفشل فى إصلاح أحوال الفلاحين ويؤمن بانهيار طبقة الإقطاع لعدم قدرتها على إقامة مجتمع إنساني .

ومن رواياته الرائعة أيضًا : «العشية» ، عن البطل الباحث عن الانتقام من الاحتلال العثمانى الذي اغتصب والدته وقتل أباه واحتل بلاده بلغاريا ويذهب البطل إلى روسيا ويفكر فى العودة للانتقام وتحبه فتاة ساخطة على الواقع الفاسد حولها وتؤمن بنضاله وتسافر معه وفى الطريق يموت البطل ولكنها تواصل طريق النضال وحدها .

ومن أهم رواياته أيضًا «الآباء والبنون» حيث الصراع بين القديم والجديد والأفكار التحررية والتقليدية وينتهي هذا الصراع بموت بطل الرواية من أجل الفلاحين وفى رواية "الدخان" عن البطل الذى سكنت قلبه مشاعر اليأس لأنه لا يحقق شيئًا فى الحياة ويظل متجمدًا يحيا على وتيرة واحدة.



جورج إليوت

(١٨١٩ - ١٨٨٠م)

جورج اليوت الروائية الشهيرة فى الأدب الإنجليزى التي تعلمنا منها عندما تسمو النفس حين تنصهر فى تجربة الألم وخطايا الأفراد يمكنها أن تدمر أممًا وتحاصر شعوبًا بالذنب والمعصية .

اسمها الحقيقي ماري آن تميزت بثقافة خصبة عميقة قائمة على النظريات الفلسفية والعلمية وقد تأثرت بالفلاسفة : كانت وهربرت سبنسر وهيجل وقرأت بشغف فى التصوف والأديان ولذلك ترجمت كتاب «حياة المسيح» ١٨٤٦ للفيلسوف ستراوس وكذلك كتاب «الأخلاق» لسبينوزا ١٨٥٤ .

عاشت طفولتها فى قريتها الإنجليزية كوفنتري واقتربت من حياة الريف والطبيعة الخلابة والنفوس التي تعاني الأزمات النفسية والصراع الوجداني فى تجارب الحب واللذة والألم واستمدت من هذه التجارب أفكاراً لقصصها القصيرة وكتبت كتاب «مشاهد من حياة الإكليروس» وصفت فيه حياة الريف ومواجهة الموت والفراق وخيانة الأصدقاء .

ارتبطت ماري آن بوالدها بعد وفاة أمها وعندما أظهرت نبوغًا فى اللغات الألمانية واليونانية واللاتينية اتجهت إلى الترجمة ولكن بعد وفاة والدها شعرت بالضياع والتمزق وغلب عليها الحزن والعزلة والانطواء وظلت فى وحدتها تقرأ وتترجم الكتب الدينية والفلسفية .

سافرت إلى لندن للعمل فى مجلة وستمنسر وهناك تعرفت على مجموعة كبيرة من الأدباء والشعراء وبدأت تنتشر مقالاتها المترجمة وأبحاثها فى الأدب وعندما أحبت الصحافي جورج هنرى لويس بدأ يشجعها على الإبداع ويزرع فى قلبها الأمل ويتجاوز بها حالات اليأس والقنوط والتمزق الذي تعيش فيه ولذلك أحبته ، غير أنها رفضت الارتباط معه برباط ديني أو شرعي . وبدأت تنشر قصصها تحت اسم مستعار هو «جورج إليوت» وتحولت من الترجمة إلى الإبداع .

نشرت جورج اليوت عـدة روايات طويلة منها «أدم بيد» عن إغواء شاب لفتاة جـميلة وتسافر الفتاة وراء حبيبها وتقتل ابنها ثم يحكم عليها بالإعدام . أما رواية «سيلاس مرنر» الذى يتهم ظلما بسرقة اقترفـها صديقه فيهجر العـالم ويسكن قرية بعيدة فى قلب الغابة ويتعرف على فـتاة صغيرة ترد له ثقته بالحياة وتحنو عليه وتحبه وترفض الرجوع إلى والدها وتظل بجوار سيلاس مرنر ويشعر البطل أن الحياة تتألق فى العطاء والحب الكبير .

وقد تصادف أن قرأ تشارلز ديكنز هذه الروايات فكتب إلى المؤلفة وقال لها :

- إن هذه الروايات والقصص تحتوى على لمسات أنثـوية وأحاسيس مـرهفة ورقة وشاعـرية ، ولهذا لابد أن يكون الكاتب امرأة ، أما جورج إليوت فهذا اسم مستعمار ، أليس كذلك يا سيدتى ؟

وعندما توفى زوجهـا عادت مرة أخرى إلى أحزانها وعـزلتها تهيم فى غابات الطبـيعة وتكتب شعراً حزينًا ونثرًا عن الحياة والموت والفراق وانخطاف الروح وما بعد الموت .

وظلت هكذا حتى تـزوجت رجلاً آخراسمـه كروس لم يكن يولى اهتـمامًا بالأدب والفلسـفة فشعرت بالوحدة وأنها ضائعة فى العراء وانفصلت عنه وعاشت على ذكرى أبيها وزوجها جورج الذى أحبته حتى فارقت الحياة وتركت ورائها مـجموعة من الروايات تشمل لوحات إنسانية رائعة عن حيرة البشر وتعاستهم ومحاولتهم الفرار من عالم المادة والألم .



جون رسكن

(١٨١٩ - ١٩٠٠م)

جـون رسكن عاشق الجـمـال الذى دعـا إلى حيـاة جـديدة قائمـة على الحب والفن والتـذوق الجمالي فى الأدب والموسيقى والفنون بأنواعها واتجاهاتها .

عندما كان طالبًا فى جامعة أكسفورد قرر أن يصبح وزيرًا وبعد أن نشر أول كتاب له عن أعلام الفن التشكـيلى تراجع عن فكرته وتعمق فى دراسـة الفنون الجميلة وتـربية الوجدان والإحـساس وتنمية الفكر بالاطلاع والمعرفة ، يقول :

"- أريد لك أن تنتقى من الكتب ما تقول عنه : ما أغرب الذى اقرأ . أنى لم أفكر هذه الفكرة من قبل. فما أعجب ذلك !!"

واهتم رسكن بدراسة الفن القوطي الخاص بالعصور الوسطى ، وضمنه نظريات جديدة وآراءًا فى القيـم الفنية وصدرت فى كـتابه "أعـمدة الهندسـة المعمارية السـبعـة" ثم كتاب آخـر بعنوان : "حجارة مدينة البندقية" وهذه الكتب من أهم مؤلفاته فى الفن التشكيلى والهندسة المعمارية .

وأكد رسكن أن القيم الفنية هى المرآة الـتى تتلألأ على صفحاتها أخلاق المجتـمع ومدى تقدمه وإسهـامه فى الحضارة المعـاصرة . وإن وطنًا لا يعرف شعـبه كيف يتذوق الجـمال ويزرع وردة فى الغيم ويتأثر لمغيب الشمس وشروقها لا يمكن أن يحقق تقدمًا فى المجالات الإنسانية .

وقد مزج رسكن نظريته فى الفن مع دعوته إلى الإصـلاح الاجتماعي ، ولذلك هاجم المجتمع الصناعي الذي يسعى إلى تخزين الأموال فى أيد فئة قليلة واستعباد الطبقات العاملة يقول :

إذا كان للرجل الحكيم شيء من الخير والشرف فقد صادف هذا في كتابه أو فى لوحاته الفنية .

ويقـال أن رسكن قد أضـاع ثروته فى سبـيل أمجـاده الفكرية وظل يلقي المحـاضرات وينشـر المقالات والكتب داعـيًا إلى حياة جديـدة خالية من الفسـاد والسقوط وقائمة علـى الحب والجمال

والخير .

واستطاع أن يحرض الناس على التمرد على واقعهم المأزوم ويبشرهم بفن راق حتى أثار آراء المجتمع الإنجليزي والتف حوله الأدباء والفلاسفة والجماهير ، يتطلعون إلى هذا الأديب الفنان عاشق الحب والجمال .

وقد أحبته الأديبة «جورج إليوت» وقالت عنه :

رسكن أحد كبار المعلمين فى عصره . إنه الرسول الذى يبشر بضرورة الجمال وأهمية الفن والأخلاق والمشاعر الرفيعة . إنه يود أن يحول إنجلترا إلى قطعة فنية مدهشة ومبهرة .

وظل رسكن يحيا متألماً لما يراه فى الحياة من زيف وخداع وخيانات ومشاعر ممزقة وقلوب محطمة وعشاق ضائعين بلا مبدأ أو هدف . واشتد انفعاله وغضبه وكثف محاضراته ومقالاته داعيًا إلى نقاء الروح والثقافة وتجاوز واقع النقاهات والسفاسف .

عدت كتابات رسكن فى الفن أملاً جديداً وانفتاحًا على فكر واعٍ عميق يفلسف النظريات ويمتد إلى التراث يبعثه مرة أخرى على أساس من العقيدة والصدق والحب والبراءة .

وتميز رسكن بأسلوب شاعري مؤثر فياض بالعاطفة والفكر الجاد والبساطة فقد كان هدفه تغيير مفاهيم الشعب العادي وقد نجح إلى حد ما فى عصره ، غير أنه فى نهاية حياته انتابه إحساس باليأس وأصيب بمس من الجنون ولكن قبل أن يستسلم للمرض تبرع بكل ثروته إلى الجمعيات الخيرية ورحل ومازال يحلم بحياة قائمة على الجمال والحب والخير والفنون .



وولت ويتمان

(١٨١٩ - ١٨٩٢م)

شاعر أمريكي عشق الطبيعة الساحرة التي تفتحت عليها عيناه في قريته الصغيرة وأحس كيف تترك الفراشات أثرًا في وجدانه والأعشاب الخضراء [illegible] في مزارع قلبه ويمضي شاردًا باحثًا عن تلك الألحان التي ترددها الكائنات في الطبيعة لينثرها في قصائده .

أول ديوان شعري أصدره اسمه «أوراق العشب» ينتمي إلى تلك المشاعر والأحاسيس التي تملكته وسيطرت على وجدانه وأفكاره مع الطبيعة . ويرى الشاعر ويتمن أن هناك معنى أخلاقيًا وجماليًا نتعلمه من تلك الروابي والسهول والأنهار [illegible] . فالطبيعة لم تخلق عبثًا وإنما لتلهم الفنان والشاعر ويستطيع أن يحاكيها في [illegible] يحاول اللجوء إلى الظواهر الوجدانية وارتباطها بحقائق العلم والتجربة الحياتية الواقعية

جاء ديوان «أوراق العشب» تجربة [illegible] تعبر عن طموحات جيل نحو العلم والفن والمثل العليا . وعبر الشاعر أيضًا عن انكسارات النفس للطبيعة وصراعها مع الواقع الغارق في المعاناة والحروب وسيطرة زعماء الثروات والسلاح والقوة الغاشمة .

واعتبره بعض النقاد : وثيقة إنسانية تدين سق[illegible] [illegible]سان وتنتصر للطبيعة وأيضًا تمجد النضال والكفاح لحياة شريفة كريمة . وقال الفيلسوف إمرسون عن هذا الديوان : إنه مادة زاخرة بالحكمة وانطلاقة الروح ، لم أ[illegible] مثلها في الأدب الأمريكي [illegible] .

أما القراء [illegible] يكترثوا للديوان «أوراق العشب» فلم يلق رواجًا في بداية الأمر غير أنه بعد [illegible] بين [illegible] وفي [illegible] والن[illegible] الثقافية والأمسيات الشعرية وترك أثرًا في نفوس القراء والمهتمين بالحركة الشعرية

وذاع اسم الشاعر في الصحف [illegible] والمجلات وفتحت له المنابر الإعلامية أبوابها ليكتب المقالات

وينشر القصائد ويساهم فى صياغة الوجدان الشعبي وإبراز القيم والمفاهيم الجمالية والوطنية .

وعندما قامت الحرب الأهلية اشترك ويتمن بالعمل فى إحدى المستشفيات بالإضافة إلى استمراره فى كتابة المقالات الوطنية والقصائد الإبداعية ودعوته إلى السلام والديمقراطية وتنظيم العمل الثوري والحياة السياسية . وقد أصدر كتاب «نافذة الديمقراطية» وضم فيه هذه المقالات .

عاش ويتمن فى أيامه الأخيرة لحظات مؤلمة حيث انتابه المرض وأصيب بالشلل وتراكمت عليه الديون وحاصره الفقر إلى حد أنه فى يوم ما اضطر إلى بيع كتبه وعندما لم يجد من يشتريها خرج بنفسه وجلس على أحد الأرصفة فى الشارع يبيع هذه الكتب .

ويعبر عن محنته قائلاً فى قصائده :

فى الدروب المقفرة

فى الكثبان على حافة البرك

هارب أنا من الحياة التى ظهرت حتى الأبد

من المسرات والأرباح ومجاراة الآخرين

هارب أنا من كل شيء حولي ..

ورغم نضاله ودعوته إلى الحرية والسلام والقيم الوطنية إلا أنه ظل وحيداً فى عزلته لا يزوره سوى عدد قليل من الأصدقاء الشعراء يرثون حاله ويقول :

هنا وحدى بعيداً عن ضوضاء العالم

لم أعد أشعر بالحياة

لأنني فى هذا المكان المنعزل

أستطيع أن أرتاح لنفسي

وأخلد للسلام

وينظر بسخرية إلى العالم حوله ويندد بالطغاة والمنافقين والخونة والنساء البائسات ويرثي الزنوج والفقراء والعمال المقهورين ويقول :

أجلس وأتطلع على أحزان العالم

على الظلم كله والعار

أسمع نحيب شبان متألمين

ناقمين على هذى الحياة

وأرى كيف يسيء الأبناء إلى الأمهات

وهن على فراش الموت

مهملات بائسات ..

ورحل وولت ويتمن مطعـونًا فى قلبه من الجحود والنكران والتـجاهل ، ولكنه ترك مجـموعة شعرية أخرى اسمها : «قرع الطبول» تحمل قيمه وأحاسيسه وحبه للعالم .



بودلير

(١٨٢١ - ١٨٦٧م)

غضب شارل بودلير حين نشر ديوانه «أزهار الشر» وآثار الكتاب فضيحة كبرى لما احتواه من صور المرأة فى حالات الفسق والمجون .

ولكن الذى أثار غضب بودلير أنه لم يكن يقصد أن يضع المرأة فى هذه الصور المخزية ، وإنما تلك حالات وجدانية وخيالات عاشها ، أو واقع مأزوم كان يحاول الخلاص منه . ولذلك قال :

وانه ليُحزنني وأنا أطهر من الورقة وأزهد من الماء وأنقى من الفتاة فى عقدها الأول وأقل أذى من الأضحية أن أحسب ماجنًا سكيرًا زنديقًا قاتلاً !!

وثارت الدنيا على بودلير واتهمه النائب العام بأن ديوانه قد اعتدى على الأخلاق العامة ولم يحترم القيم الدينية .

وحكمت محكمة «ليل» التأديبية بإبادة ديوان «أزهار الشر» وديوان «حطام» الذى نشر فى بروكسل ويحمل ست قصائد من أزهار الشر .

وكانت هناك أصوات تنادى بترشيح بودلير لعضوية الأكاديمية الفرنسية وعندما شاع خبر محاكمته وديوانه رفضت الأكاديمية ترشيحه وغضب بودلير وكتب لهم يقول :

"- إنى أمقت كل الرعاع المعاصرين من أعضاء الأكاديمية إلى الأحرار ، إلى الفضيلة ، إلى الرذيلة ، إلى الانشاء السيال ، إلى التقدم أنهم رواد التفاهات ."

وعندما بلغ بودلير السادسة والأربعين غزا الشيب رأسه وأصابه الشلل وكان يتعاطى المخدر ليسكن آلامه . وعبر عن تلك اللحظات التى ينتظر فيها الموت ، يقول :

أوشكت أن أموت

فى نفسى العاشقة كان أمل ممزوج

يا لهول مرض خاص

قلق وأمل حاد

ولا ميل للتعصب

انفصل قلبي عن العالم الأليف

كنت كالولد النهم إلى المعرفة

يكره الستار ويخشى ما وراءه

وانكشفت أخيراً

الحقيقة الباردة

وإذا بحثنا فى حياة بودلير الخاصة اكتشفنا معاناته الحقيقية مع المرأة وهى أمه التى تزوجت رجلاً آخر بعد وفاة زوجها والد بودلير وقد واجه بودلير صراعًا نفسيًا عصبيًا مع زوج الأم إلى حد أنه الذى شاهد لوحات أبيه تلقى فى سلال النفايات . وعاش بودلير فى مدرسة داخلية ولكنه لم يسلم من قسوة زوج أمه ، وعبر عن محنته تلك فقال :

بوركت يا ربي

يا من تعطي الألم

علاجًا الهيًا

أعرف أنك تحفظ للشاعر

مكانًا فى صفوف الطاهرين

فى الأجواق المقدسة

وتدعوه إلى العيد الأبدي

للعروس والفضائل والسيطرة

أعرف أن الألم هو السنبل الأوحد الذى لن تطاله أرض ولا جحيم

ويصف معاناته وطفولته المضطهدة ويقول :

- هذا الطفل يبكى إذ يرى عصفوراً فى الحقول ، كل الذين يريد أن يحبهم يراقبونه بخوف أو يستمدون جسارة من وداعته ، يسعون إلى من يعرف كيف يثير أنينه ويجرون عليه تجربة الضراوة .

وعاش بودلير حياته فى باريس بين فتيات الهوى والمكتبات العامة وعندما توفى زوج أمه طالب بحقه فى الميراث فلم يأخذ شيئًا ، وغرق فى الديون والنساء .

عشق بودلير امرأة اسمها جان دوفال كانت كاذبة فاسقة سكيرة جاهلة حمقاء ، خلقت لتعيش فى عالم الظلام ، وقد أحبها بودلير رغم ذلك ويقول عنها :

إن الغباوة هى غالبًا زينة الجمال وهى التى تضفي على العيون ذلك الصفاء الكئيب الذي يظهر على صفحة المستنقعات السود .

ويعبر عن ذلك فى قصائده ويقول :

ملعون إلى الأبد

ذلك الحالم العقيم

الذى يشاء قبل سواه وقد

أعماه الحق

وأغوته معضلة شائكة

لا تحل

أن يخلط قضايا الحب بالعفة

إن من أراد أن يجمع فى وفاق صوفي

الظل إلى الحرارة

الليل إلى النهار

لن يدفئ قط جسمه المشلول

بوهج الشمس الحمراء

الذى يسمى الحب .



جوستاف فلوبير

(١٨٢١ - ١٨٨٠م)

لا شك أن أهم رواية كتبها الأديب الفرنسى جوستاف فلوبير هي «مدام بوفاري» وهي مأساة إمرأة متزوجة لم تشعر بالسعادة فى حياتها فآثرت أن تمضى في طريق الخطيئة واستطاع فلوبير أن يجعل منها رمزًا لسقوط الطبقة الثرية التافهة التى تنعم بحياتها دون اعتبار للقيم الأخلاقية . وكتب فلوبير قصصًا أخرى تأثر فيها بأعلام الأدب ومنهم جي دي موباسان وإميل زولا وهوجو وبلزاك وأندريه جيد وغيرهم .

جوستاف فلوبير رائد المدرسة الطبيعية التى ترى أن الطبيعة هي المبدأ الأول وأنها لم تكن بحاجة إلى سبب بل هي التى أوجدت نفسها .

وترى أيضًا هذه المدرسة أن غاية العقل وحكمته أن يمضي المرء خلف غرائزه لأنها قد خلقت معه وأوجدتها الطبيعة بداخله .

وبذلك فإن أنصار الطبيعية يناقضون الأديان التى تكبح جماح الغرائز الإنسانية ومع ذلك فإنهم لا يصلون بنزعتهم تلك إلى الإلحاد التام .

وقد اتجه الأدباء الذين يؤمنون بهذا المذهب إلى اعتماد الوثائق والأدلة والملاحظة العلمية والاهتمام بسلوك المرء فى الحياة وتحليل الأفكار الناتجة عن أحداث مألوفة .

ومن هؤلاء الأدباء أكد إميل زولا (١٨٤٠ - ١٩٠٢) فى روايته «تيريز راكان» أحد الأصول الفنية لهذه النزعة الطبيعية ويبرر صحته فى كتاب «الرواية التجريبية» عام ١٨٨٠ م حيث أوضح كيف يمكن للملاحظة الدقيقة للواقع أن تكون فياضة بحرارة الحياة وعلى الأديب أن ينأى عن القضايا الأخلاقية والمجاملات الفردية ، ويقترح إميل زولا على الروائى أن يبدأ روايته من حدث اجتماعي معين وابتكار ظروف تتعلق به وإثراء هذا الموقف إلى النهاية المنطقية .

والنزعة الطبيعيـة تقدم صورة للمادية الجبرية المتشائمة التى تفـرض على الإنسان سيطرة رهيبة تجعله لعبة فى يد الأقدار وتعرقل مسيرة حياته .

وفى لحظات المحن والعبودية للمواقف الضاغطة تبرز القوى الدفينة فى أعماق الإنسان ليحدد قدرته على اتباع أهواء الذات ومسؤليته الأخلاقية.

ولذلك فالإنسان فى هذا المذهب عليه أن يواكب الحياة سواء كانت ساقطة أم عالية .. قبيحة أم جميلة .. شريرة أم فاضلة .

إن التأقلـم مع البيئـة هو أهم هذه السمـات لكل من يعتنق مـذهب الطبيـعة وعليـه أن يستـمر ويتألف ويواكب ما يحدث رغم المحن والصعوبات والقدر الذي ينقض على الإنسان . ولذلك لم يكن غـريبًا على البطلة «مـدام بوفاري» فى رواية جـوستـاف فلوبير أن تطلق العـنان للمغـامرات العاطفية إلى حد الخيانة ، ثم في النهاية الانتحار .

وكأنها فى ذلك عشـبة من أعشاب الطبيعة فـاحت بعطرها ..وعلت باخضرارها وتمازجت مع الأطياف العـابرة حتى حققت حلم التـواصل والعناق ثم ارتدت إلى ذاتها مرة أخرى لتـبحث عن لون آخر وشكل آخر في حياة أخرى ، فكان الموت هو النهاية الحتمية درس .

الأديب جوسـتاف فلوبير الحقـوق وقرأ في الأدب والشعـر والديانات وكتب ما وراء الطبيـعة ونشأة الكون والمذاهب المادية .

كان والـده طبيـبًا اعـتاد دائمـًا أن يعالج الفـقراء وينقـذ المرضى من الأمراض الأليـمة ويـقول جوستاف عن والده :

- كان أبي ينقذ الحمقى ليقترفوا في المستقبل حماقات و جرائم جديدة .

وقد حاول والده أن يقنعـه بممارسة المحاماة بعد تـخرجه من الحقوق ولكن جوسـتاف فلوبير قرر أن يدرس الأدب ويتخذه حرفة .

وقد بدا جوستاف فى مقتبل حياته حـاد الطباع غريب الأطوار ، مشاغبًا وسليط اللسان وناقمًا وغاضبًا وساخطًا على كل شيء .. من الصعب رضاؤه .. وصعب أيضًا أن يعبر لك عن امتنانه أو يصور مشاعره بدقة في لحظة غضبه ونفوره .

وتميز فى فترة مبكرة من حياته بالملاحظة الدقيقـة لشئون الحياة من حوله وكان يتجه إلى تدوين وتوثيق الأحداث فى دفـتره الخاص ثم يعود مـرة أخرى إلى هذه الأحداث التي دونهـا ينسج منها قصة ما .

قام برحلات عديدة إلى بلاد العالم والبلاد العربية ، وأحب امرأة اسمها «لويز» وقد أثرت على حياته بدرجة شديدة ودفعته إلى التعبير عن أفكاره بصدق وجرأة ويبدو أن هذه المرأة قد خانته حقًا فالهمته رواية«مدام بوفاري» .

بعد صدور رواية «مدام بوفاري» ألقت الحكومة الفرنسية القبض عليه بتهمة الإساءة إلى الأخلاق والآداب العامة ووقف الأديب الفنان ليعلن فى كل جرأة وثبات موقفه قائلاً :

إنها قصة اخترعًا كاملاًولم أضع فيها من عواطفي أو من حياتي شيئًا .. هذا أحد مبادئي .. ألا أكتب عن نفسي إذ يجب أن يرتفع الفن فوق العواطف والشكوك والعصبية الذاتية ، ثم عاد يقول للمحكمة .

إن دعاة الحب الحقيقي غشاشون غشاشون يا سيدي القاضي ومهرجون .

ويقول لهم جوستاف فلوبير :

إذا أردنا أن ننشأ مجتمعًا صحيًا سليمًا يجب علينا أن نتحلى بالنزاهة المطلقة ونصور الإنسان بما فيه من صفات عامة أو خاصة ، رفيعة أو حقيرة .. عالية أو منحطة .

ثم عاد يقول فى حدة وغضب :

إن مدام بوفاري امرأة نورماندية تحلم بهذيان العشق وتبيح جسدها لكل من رغب وقد تبرمت وسئمت بهذا الزوج المزارع الساذج وانساقت إلى الفسق والفجور وأخيرًا الانتحار .

وحين يقاطعه القاضي قائلاً :

هل لك أن تفسر إلى أي شيء ترمز هذه المرأة ؟

يعود جوستاف فى غضب يقول :

إنها يا سيدي القاضي صورة عفنة للبرجوازية الصغيرة فى الريف ، وهذه الرواية احتجاج صارخ على ما تزخر به هذه البرجوازية من تفاهة وإسفاف وحقارة وسخف . إنهم مجرد قشور على أكتاف السادة النبلاء والشرفاء ولابد من طردهم بعيداً وكشفهم ..

ثم يقول فى وجه الحاضرين :

إن همجية الإنسان التي لا تتبدل تملأ نفسي بحزن أسود .. إن الاشمئزاز الهائل الذي أشعر به نحو عصري يدفع بي إلى الهروب إلى الماضي السحيق .

وحين يعرض القاضي عظمة رواية البؤساء لهوجو بما فيها من نبل التضحيات والحب العميق ، يقول جوستاف فلوبير :

لا أجد فى هذا الكتاب حقيقة ولا عظمة ويلوح لي أن أسلوبه غير سليم ومنحط عمداً وما هو إلا وسيلة لتملق عامة الشعب .. فلا أحد يعجب برواية هوجو ، أين تجد هؤلاء الأبطال مثل فانتين وأرباب السجون مثل جان فالجان ؟!

ثم يصرخ فى المحكمة :

وأين القس الذي يطلب تبريك الساسة من أنصار عهد النفاق ؟ إن هذه الرواية كتبت لحشرات الكاثوليكية الاشتراكية .

ويعلن القاضي براءة الأديب جوستاف فلوبير بعد أن اقتنع بمذهب الفن للفن .

وهذا المذهب يحدد أن الغاية من الفن التعبير عن الجمال دون أدنى اعتبار للمبدأ الأخلاقي .

وقد أكد بعض النقاد أن الفن مستقل عن الأخلاق ولذلك لا يتحتم على الفنان التقيد بالمبادئ الخلقية ، وحتم آخرون على الفن الخضوع للأخلاقيات واتخاذها غاية مثلى .



دوستويفسكي

(١٨٢١ - ١٨٨١م)

الأديب الروسى فيدور دوستويفسكي لازالت هناك متعة ما تتسرب إلى الذهن ونحن نقرأ أعماله ، فقد اقترب من الإنسان العادي .. دخل فى خبايا أعماقه وعبر عن النوازع والخلجات التي لا نستطيع أن نفصح عنها بحرية ومع هذا الإنسان فى أحلامه وطرائق استبطان هذا الحلم تعرفنا على عصر كامل بكل اتجاهاته السياسية والاجتماعية .

ولأن التاريخ - تاريخ الشعوب - حلقات تدور وتتكرر فنحن نلمس فى أدب هذا العملاق بعضًا من سمات عصرنا وقضايانا التي نعاني منها لأنه قدم لنا الإنسان بتفرده دون ارتباطه بأرض روسية أو أوربية ، الإنسان بصورة شاملة وصراعه الدائم من أجل حياته .

ولد دوستويفسكى فى موسكو وهو الولد الثانى لأسرة من سبعة أولاد ... والده طبيب فى مستشفى المشردين . مُنح لقب النبالة وحصل على قطعة أرض زراعية ولكنه اتسم فى سلوكه بالقسوة والعنف مع الناس مما أدى إلى قيامهم ضده وقتله عام ١٨٣٩ .

أما الأم فهى تنتمي إلى أسرة ثرية تعمل فى التجارة وتوفيت عام ١٨٣٧ وبعد وفاتها ذهب دوستويفسكي مع أخيه إلى سانت بطرسبرج وهناك التحق بكلية الهندسة العسكرية ، وأنهى دراسته ليعمل فى قسم التصاميم الهندسية وبعد عام واحد اضطر إلى الاستقالة والتفرغ للأدب .

قرأ دوستويفسكي فى طفولته الكتاب المقدس ومؤلفات الشعراء والأدباء والنقاد الكبار وبدأ يكتب ، وتعتبر رواية «الفقراء» هي التي قدمت دوستويفسكي إلى المجتمع الأدبي والثقافي ، ثم بدأت شهرته تتألق مع ظهور أعماله الأخرى والتف حوله الأصدقاء فى دهشة يناقشون رواية «الفقراء» ، وقال أحدهم للناقد بيلنسكى إن هذا المؤلف هو جوجول الجديد وذلك لأن رواية الفقراء كانت تعميقًا للاتجاه الإنساني الذى أبدع فيه الأديب جوجول فى روايته «المعطف» .

ولا شك أن حياة دوستويفسكي في مدينة بطرسبرج قد قادته إلى معايشة الواقع المؤلم الذي يعاني منه الفقراء والتناقضات الطبقية الحادة في المجتمع والبطل الضائع دون رحمة ، المنهار بلا أمل في تغيير هذه الظروف القاسية المؤلمة ، فكانت رواية «الفقراء» هي مشاهد بائسة من هذا الواقع عن موظف الحكومة المعدم الذي يتعاطف مع أحد المنبوذين من المجتمع .

تعرف دوستويفسكي على الروائي «تورجنيف» الذي شجعه في البداية ثم اختلفا في بعض الآراء . فابتعد دوستويفسكي عنه وكتب روايات أخرى هي : قصة في تسع رسائل ، المثل ، صاحبة المنزل . وقد هاجم الناقد بيلينسكي هذه الأعمال هجومًا يخلو من الصدق ، مما جعل دوستويفسكي يتخلى عن صداقته وتعرف على صحافي يحمل أفكاراً ثورية اسمه : بيتراشيفسكي وانضم إلى إحدى حلقاته السرية ، ولكن النظام في روسيا لم يكن راضياً عن ذلك فقد خشى القيصر من الثورات فأمر باعتقال من يحضرون هذا الاجتماع . وفي سنة ١٨٤٩ دخل ضباط القيصر غرفة دوستويفسكي وأيقظوه والأصفاد في يديه إلى السجن .

ومن الغريب أن التهمة التي وجهت إلى دوستويفسكي أنه قرأ رسالة بيلينسكي التي خاطب فيها جوجول وهاجم الدولة والكنيسة ، ولم يكتشف المحققون انتماء دوستويفسكي إلى حلقات بيتراشيفسكي وجماعته السرية وحكم عليه بالإعدام ثم خفف في اللحظات الأخيرة إلى حكم بالأشغال الشاقة ثم النفي إلى مستعمرة في سيبريا لمدة أربع سنوات ثم انتدب للخدمة في صفوف الجيش حيث ابتعد عن العاصمة وحياة الأدب والفكر لمدة عشر سنوات .

إن المعاناة التي عايشها دوستويفسكي في السجن والمنفى أثرت علي حياته الفكرية تأثيراً خطيراً فأصبح يفكر في مصير البشر وأقدارهم والعدالة الاجتماعية والحب والقيم وموقف الفرد من الموت والنظم و العقائد الدينية ،وعاد بعد المنفى بإرادة الانسان القوي المغامر الذي يتحدى أقداره ومصيره ، لذلك ثار على الرومانسية التي ظهرت في رواياته الأولى .

ومن أولى الروايات التي كتبها بعد عودته من المنفى هي : (ذكريات من بيت الموتى) وهي مشحونة بالمواجهة والتحدي والإرادة التي لا تقهرها الصعاب ، وهذه الرواية تجربته التي قضاها في المنفى ، حيث يظهر الرجل الصلب القوي في عالم الجرائم والمجرمين . وكتب قصصًا أخرى ساخرة هي (قرية سيتبا وسكانها)وكتب قصة : (المذلون المهانون)وأيضا قصة أليمة (في سرادبي) وقد سخرت هذه الأعمال من المثالية التي توهجت في رواياته السابقة التي كتبها قبل المنفى .

في رواية «فى سردابي» البطل القوي الذي يعيش في سرداب بعيداً عن عالم مخدوع خائن ثم يهاجم الرومانسية وكل ما هو جميل وراق .

ويقول البطل :

– لقد فقدنا جميعا عادة الحياة. . كلنا يمشى مكباعلى وجهه متعثراً قليلاً أو كثيراً.. لقد شبنا دون أن نتعود على الحياة بحيث إننا نشعر تجاه الحياة الحقيقة بالاشمئزاز ، ولا نحب أن يذكرنا بها أحد .. ولقد وصلنا إلى درجة نعتبر فيها الحياة الواقعية محنة شاقة .

وكتب أيضا أروع رواياته : الجريمة والعقاب ، والأخوة كارامازوف ،والشياطين ، والأبله .. وغيرها .

في الجريمة والعقاب البطل راسكولينكوف ، لايشعر بالانتماء إلى هذا الواقع الفاسد ، فهاجم نابليون الذي نشر الرعب وقتل الأبرياء وحول العالم إلى كتلة من الدمار والأنقاض ورغم ذلك يفتحون له الأبواب ويدخل التاريخ بأنه الفاتح العظيم .

وأختار البطل هنا إماأن يصبح نابليون أو شخصًا عاديًا حقيراً بلا قيمة واستند في ذلك إلى قوة فى العقل وحكمة في الأمور فهو مثالي يرتد عن المثالية والحلم ويحاول إزالة العوائق التي تقف في طريق الإرادة الفردية حتى وإن كانت هذه العوائق كائنا بشريًا هي المرابية العجوز .

ويرى البطل أنه من الضروري أن تذهب نسبة مئوية محددة كل عام في سبيل ضمان راحة الأخريات وطهرهن والبطل شخصية ممزقة بين التمرد والخنوع ، بين القوة والضعف ، القسوة والرحمة ، العقل والقلب .

وفي طريقة للبحث عن هوية وخلاص يقتنع تماما بقتل المرابية العجوز فهي تمثل له ذرة مادية يجب أن تُمحى من فوق الأرض ليحيا الأبطال ولكنه عندما يقتل المرابية يرتكب الجريمة المزدوجة حيث يقتل معها أختها ، وفي الحقيقة ما قتل غير ذاته وكيانه وعاش يتعذب مع ضميره ويذهب نادمًا يعترف بجريمته ويشتهي العقاب .



هنريك إبسن

(١٨٢٨ - ١٩٠٦م)

هنريك أبسن الأديب والكاتب المسرحي الذي ساهم في نهضة المسرح النرويجي بإثارة القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهدف إلى خلق مثاليات وقيم عالية تطهر البشر من آثامها وتمهد لحياة جميلة شفافة تحلق فيها طيور الحرية وحمائم السلام والجمال .

تألم أبسن لهذا النفاق والزيف والسقوط الذي يحاصر المجتمع الأوربي فقرر أن يحمل رسالة التنوير وتأسيس اتجاهات الفكرالعميق في القضايا اليومية ومواجهة سلبيات المجتمع بالسخرية الحادة ورفض الموروثات القديمة البالية وتأكيد مواقف الفكر تجاه الضعفاء والفقراء في الأرض الذين يترنحون تحت قوى التعسف والاضطهاد والدمار .

ولذلك دعاإلى حق الرجل الإنسان في النهضة والتقدم والحياة الكريمة ولا يسقط تحت أقدام وعنف الطبقات الرأسمالية .وظل أبسن يطلق صرخاته حتى يهب الناس من غفوتهم وينظرون نحو شمس نهار جديد .

وكتب أبسن مسرحية « بير جنت » للشباب ، ووصف عيوبه وتقاعسه عن دوره النضالي ، وللإسهام في النهضة الفكرية وإثراء كيانه الروحي بالقراءة والعلم والثقافة الجادة .

ويعتبر هنريك أبسن أحد رواد المدرسة الرمزية في الأدب العالمي فقد كشف عن الحالة السيئة التي تعاني منها المرأة الأوربية من ضحالة الثقافة وفقدان الشخصية الإنسانية والتعليم والتربية الراقية التي تهذب النفس وتثري الوعي وتشكل المرأة لتصبح مخلوقًا له رأيه ومبادئه وطموحاته في المجتمع ، وليس مجرد كيان أنثوي غير قادر على المشاركة في البناء والتقدم .

وكذلك قدم صورة لهذه المرأة في مسرحيته : « بيت الدمية » ، وعبر عن فلسفته الخاصة بأن المرأة يجب أن تنهض وتستقل بشخصيتها وأفكارها وتحصيلها العلمي والثقافي ، وتقف بجوار الرجل لصنع حياة كريمة .

وقد ساهمت الظروف التي نشأ فيها هنريك أبسن في اتجاهاته الفكرية فقد شهد عصره استقلال العقل البشري وطرح التقاليد والموروثات القديمة وانفصال الدين عن الدولة .

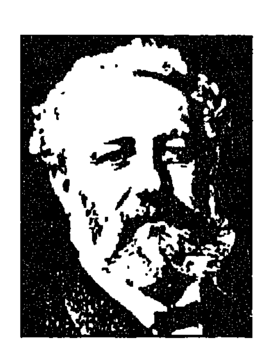
كذلك قيام الثورة الصناعية في أوروبا ورحيل الملايين من العمال إلى المدينة حيث مناخ الحرية والحركة والانفتاح على العالم الجديد .

وكذلك في تلك الفترة ظهرت روايات « مدام بوفاري » لجوستاف فلوبير وكتابات سيتوارت عن حرية المرأة . وجاءت الأعمال المسرحية للأديب أبسن لتواكب هذه الانطلاقات الجديدة نحو الحرية والحياة .

وقد عاش هنريك أبسن حياة حافلة بالمرارة والشقاء ، إذ ترك المدرسة في الخامسة عشرة وعمل في إحدى الصيدليات وبدأ يتابع دروسه معتمداً على نفسه وثقافته الخاصة .

قرأ في الآداب العالمية وعمل في الصحافة وعين مديرا للمسرح النرويجي ، وكانت مسرحياته في البداية رومانسية غير أنه اتجه للجانب الرمزي لمعالجة القضايا الاجتماعية .

وقد تعلمنا من أدب أبسن أن الانسان يستطيع أن يشارك في صنع حياة نقية شريفة معتمداً على أفكاره ومثالياته السامية .



جول فيرن

(١٨٢٨ - ١٩٠٥م)

كان جول فيرن يقف ساعات طويلة من نافـذة بيته يراقب الزوارق والسفن والمراكب الشراعية وهي تبحـر من الميناء ويتمنى أن يسافر مـعها ليكتـشف عالم ما وراء البحـار وحكايات عن الجزر الساحرة والممالك القديمة والأساطير الغريبة .

وذات مـرة تسلل- وهو مازال في العـاشرة من عـمـره - إلى إحدى هذه السـفن المبحـرة إلى جزيرة « ماتحت الريح» وأثار هذا الاسم خياله فاعتقد أنه سوف يعثر على أسرار خطيرة وكائنات عجيبة ولكن والده علم بسر هذه الرحلة ومنعه من السفر .

وقال جول فيرن لوالده في حسرة :

ـــ **كنت أتمنى أن أشترى عقدا من المرجان لفتاتي التي أحبها .**

وفي الحقيقة تميز جول فيرن بخـيال ثرى يفوق المألوف ويمزج بين الخرافات والأساطير ويبحث عن الأسـرار الغريبـة في العالم ، ولذلـك اتجه إلى قـراءة كتب الرحـلات والعلم والاكتـشافـات العلميـة . وذهـب إلى باريس ودرس الحقوق وصـادق الأديب ألكسندر دوماس واشترك مـعه في تأليف مسرحية حققت نجاحًا ساحقًا .

كتب جـول فيرن أول رواية عـلمية له عن رحلة بالمنـطاد في إفريقيـا ، ولكن لم يتحـمس لها الناشرون . ثم بدأ في روايات أخرى حتى كتب رواية اسمـها « من الأرض إلى القمر » وقام أحد الناشرين بطبـاعتها ونجحت وجـعلت اسم فيرن على كل لسان . و أثارت الرواية إعـجاب القراء بحيث اعترف العلـماء والرحالة بأن السبب في طموحهم إلى غزو الـفضاء يرجع إلى رواية جول «من الأرض إلى القمر ».

ومن هؤلاء الرحالة : الأمير بيرد الذي حلق فـوق القطب الشمالي ، وسايمون لايك رائد بناء

الغواصات في أمريكا ، وكذلك المستكشف الجوي أوغست بيكار دماركوني مكتشف الراديو .

واستطاع جول فيرن أن ينهي أكثر من خمسة وسبعين كتابًا في الخيال العلمي ترجمت إلى مختلف لغات العالم . وفي هذه الروايات مغامرات تحت البحار وأصوات انفجار للقنابل الذرية وانطلاق الصواريخ واصطدام الطائرات ، ومعارك فوق ناطحات السحاب . وابتعد فيرن في أسلوبه عن الفنتازيا ووصف المخترعات العلمية وذكر الحسابات والأرقام والتفاصيل الدقيقة .

وبذلك أصبح جول فيرن رائد أدب الخيال العلمي عضنمضقف بلمضزفنزهذا النوع من الأدب الذي يعالج عن طريق الخيال رغبة الإنسان في التقدم بالعلم والتكنولوجيا .

ويتميز هذا الأدب بالمغامرات والتشويق والإثارة ، إلا أن أحداثه تدور عادة في المستقبل البعيد أو على كوكب الأرض ، لكنه يحمل تأملات الإنسان وحلمه في احتمال وجود حياة أخرى في الجرام السماوية ،كما يصور ما يمكن أن يتوقع من أساليب حياة على وجه كوكبنا هذا بعد تقدم بالغ في مستوى العلوم والتكنولوجيا .

ويقول فيرن :

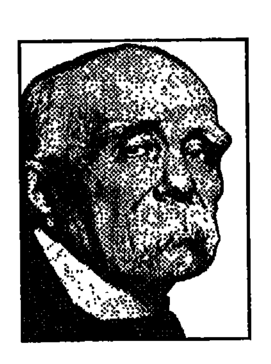
لقد بنيت رواياتي على مايسمي اختراعات على أساس من الحقائق ، واستخدمت في صناعتها طرقًا ومواد ليست فوق مستوى المعلومات المعاصرة والهندسة الماهرة .

ومن الطرائف الغريبة أن الفتاة التي كان يحبها جول فيرن في شبابه وقبل شهرته حملت رسائله وذهبت إلى أحد الاختصاصيين في تفسير الخطوط وقال لها :

ـ إن صاحب هذه الرسائل محدود الفكر .. عقيم الخيال سقيم الوجدان ، حياته تبدأ من فشل وتنتهي بفشل ، لن يستطيع أن يحقق ذاته أو يكون له قيمة في الحياة ، وسوف تعيشين في شقاء مع هذا الأبله إذا تزوجتيه .

وفي نهاية حياته شاهد جول فيرن العالم يتحدث عنه والسينما تحول قصصه إلى أفلام تحقق الملايين .

وأصيب بداء السكري وضعف سمعه وبصره وتوفى عن قمة شهرته ،وسار في جنازته ملوك ورؤساء وسفراء وشعراء ومنهم الإمبراطور الألماني غليوم الثاني وأعضاء الأكاديمية الفرنسية .



قسطنطين ميلادينوف

(١٨٣٠ - ١٨٦٢ م)

شاعر مقدوني من جمهورية مقدونيا في يوغوسلافيا ، يعتبر أحد رواد الشعر الحديث الذى بدأ يتسلل في سكون الأعشاب النابتة على الضفاف ويغني للأرض .. والفلاح والعامل .. والإنسان المقدوني الذي أسرته الحروب وألقت به في ظلمات الغدر والخيانة .

تميز الشاعر المقدوني ميلادينوف بتجسيد النزعات الذاتية بحيث يرى الوجود من خلف غلاف شفاف لذاته ، وقد أشار أرسطو إلى هذا النهج في الشعر بأن ذات الشيء هى موضوع الفلسفة الأساسية .

وهنا تسبح التجربة الذاتية في نهر الرقة والحنين إلى الوطن . . . وتتجلى قدرة الشاعر في مزج أحزانه الفردية بالاتجاه العام الموضوعي . إنه يتعمق في كيانه يبحث عن نبض الإنسان المتطلع إلى آفاق جديدة ويقول :

كيف أضع جناحي نسر

لكي أصل إلى بلادي

لكي أري مكاننا العريق

لكي أذهب إلى كوكوشا وإستانبول الشهيرة

لكي أرى هل هناك أيضا

يغمر الظلام الشمس عند بزوغ الفجر

واستطاع الشاعر المقدوني ميلادينوف أن يحول حركة الشعر في يوغوسلافيا من مجرد قصص وسير شعبية يرويها العامة عن الأساطير والخرافات إلى قصيدة فياضة بالمشاعر ، تعبر عن موقف ،

وترصد وجدان الشعب تجاه الوجود والأحداث والظروف الصعبة .

وإذا كان المنفى قد يأتي أحيانًا ، اختياري فإن الشاعر ميلادينوف يرفض أن يجلس في الظل يغني للأرض العارية الغريبة والأغصان المتجمدة ويظل متحديًا بحار الهلاك ليشاهد بقعة من أرض بلاده ، يقول :

لا .. لا أستطيع أن أبقى هنا

ولاأستطيع أن أشاهد الأغصان المتجمدة

أعطني جناحين لكي أضعهما لنفسي

لكي أصل إلى بلادي

لكي أذهب إلى بلدتي في دولة أخرى

لكي أرى « أوهريد » لكي أرى « ستروجا »

ويظل ميلادينوف ممزقًا على كف الريح تطوحه عواصف الغربة والحلم أن يهتدي إلى ميناء وطنه ويحط بجناحي نسر على شجر بلاده .



مارك توين

(١٨٣٥ - ١٩١٠م)

عبقري أدب الفكاهة والمغامرات الطفوليـة البريئة الذي اصدر روائعه وهى : رواية توم سوير ، وهكلبري فن ، وخط الاستواء .

في هذه الروايات عبر توين عن عبقريته الفذة التي عشقت الطبيعة والتسامح ودعت إلى الحب والخير والصدق والجمال . وصور مغامرات البحار حول نهر المسيسبي .

وفي الحقيقة ولد مارك توين في قرية صغيرة بولاية ميسوري وعاش فترة من حياته يشاهد نهر المسيسبي والسفن تبحر على صفحتـه الهادئة والنوارس البيضاء تحلق فوق صفحة النهر وتمنى منذ طفولته أن يبحر يوماعلى ظهرإحدى السفن ويصبح ربانًا أو قبطانًا في يوم ما .

مزج توين دعـابته وروحه المرحـة في أدبه بالسخريـة اللاذعة والنقد الحـاد لتناقضات المجـتمع الأوربي واضطراب الأنظمة وخلل العلاقات الاجتماعـية وتعسف القوانين وسقوط القيم والمبادئ وإهمال النشء وعدم رعايتهم للثقافة والأخلاق الكريمة .

واضطر توين أن يعمل في عدة مهن بعد وفاة والده حتى يوفر لأمه حياة هادئة خالية من المعاناة . لذلك عمل نقاشًا وبائعًا للصحف وعاملا في متجر وبحاراً على ظهر إحدى السفن .

خلال تلك الفترة عشق السفر والمغـامرات وكشف تاريخ البلاد وقرأ في الآداب العالمية واهتم بالتراث وكتب الرحلات والرحالة والكشوف الجغرافية .

وفي إحدى رحلاته على ظهـر سفينة كان يسمع البحـارة يصيحون ئيضرف نخمظ ليعلنوا عن عمق المياه في المضايق الصـعبة . وعندما بدأ يكتب للصحافة اختار هـذا الأسم ليتذكر رحلاته في البحـار ، وأصدر كتـابًا صور فيه هذه الـرحلات بعنوان « الحياة فـي المسيسبي » واسـمه الحقـيقي صمويل لانجهورن كليمنز .

سافر مارك توين مع أخيه إلى نيفادا وأمضى فترة هناك بين الغابات يمارس الصيد ويطارد الحيوانات ويسجل مغامرات أخرى جديدة ، بدأ يكتب عنها إلى إحدى الصحف في فرجينياسيتي.

أثارت مقالات توين اهتمام الناس وبدأ اسمه يضيء في سماء الأدب ، وعمل مراسلاً للصحف الأمريكية ، ونشر مجموعة من القصص القصيرة والروايات والمقالات السياسية التي تتناول الحياة والأحداث الجارية والمغامرات .

وعندما نشرت له إحدى المجلات قصتة القصيرة عن « الضفدع » بدأ الناس يشعرون بلذة غريبة ويشعرون بسعادة وهم يطالعون أدبه ، ثم أصدر عدة كتب أخرى هي : « الأبرياء في الخارج» تضمنت مشاهد عن رحلاته إلى أمريكا الجنوبية وفلسطين وإبحاره في نهر المسيسبي .

أما رواية « توم سوير » فهي التي كتبها في قمة شهرته ومجده حيث تجاوزت الحدود وأصبح اسم مارك توين يتردد ليس على ألسنة الكبار بل الأطفال أيضا . وعندما تحولت الرواية إلى فيلم سينمائي لم يعد أحد من الناس يذكر من أعمال مارك توين سوى رواية توم سوير التي تصور مغامرات طفل على نهر المسيسبي يركض في الغابات ويقوم بالمغامرات البريئة ويثير الفكاهة من خلال سذاجته وتلقائيته وعشقه للصدق والخير .

وخلال رحلاته في المدائن والموانئ المختلفة أحب امرأة وتزوجها ونشر مجموعة أخرى من الروايات هي : عصر الذهب ، توم الحطاب ، الأمير الفقير ، وتوقف عن الكتابة في الصحف وإلقاء المحاضرات وعاش لأدبه وفنه الجميل .

وفي نهاية حياته غرق في الديون بعد أن فقد ماله في إحدى دور النشر وظل يعمل ليلاً ونهاراً وأصدر كتاب « خط الاستواء » الذي أنقذه من الإفلاس والضياع .

ورحلت عنه زوجته وعاش مع ابنته ترعاه وتقف بجواره في أزمته القلبية إلا أن رحيل ابنته في حادث مأساوي ترك أثرًا على صحته وحياته .

فظل راقداً في الفراش يكتب وحيداً في بيته ، يلتف حوله الأدباء والمفكرون والناس الذين أحبوه .ونصحه الأطباء أن يتوقف عن الكتابة والتدخين إلا أنه ظل يدخن السيجار والابتسامة لا تفارق شفتيه ويتحدث بسخرية عن المصيروالقدر والموت والحياة والضياع .

وقبل أن يموت منحته جامعة "يال" في أمريكا درجة الدكتوراه الفخرية وكذلك جامعة أكسفورد في إنجلترا .



تشايكوفيسكي

(١٨٤٠ - ١٨٩٣ م)

تشايكوفيسكي هذا الموسيقار الروسي البارع الذي أيقظ الخيال وأطلق عصافير الحلم وحرر مشاعر الحب والانسجام في باليه « بحيرة البجع ».

هاهي ذى ملكة البجع « أوديت » تتحول إلى غادة عذراء جميلة يُذهل سحرها الأمير الذي خرج للصيد . ويحبها ويدرك أنها سجينة تأثير الساحر الشرير الذي حكم عليها أن تظل بجعة نهارا وامرأة ليلا ، ولا يبطل هذا السحر إلا إذا عشقها رجل صادق مخلص .

فلا يجد الأمير مفرا إلا أن يهرب مع حبيبته ويقفزا معا في بحيرة البجع ، وهنا ينتهي السحر وتعود العذراء إلى طبيعتها امرأة جميلة ويموت الساحر بعد أن يفشل في التأثير على الأمير ليزوجه ابنته .

و"بحيرة البجع" من فنون الباليه الذي أبدع فيه تشايكوفيسكي وكذلك "الجمال النائم" و"كسارة البندق" . ويعتبر تشايكوفيسكي أحد عباقرة الفن الموسيقي مع بيتهوفن وموتسارت وباخ وفاجنر . وقد بدأ يتعلم العزف منذ طفولته ودرس القانون وعمل في وزارة العدل وظل يواصل دراسته في الموسيقى والعزف . وبعد أن درس نظريات التأليف الموسيقي وبدأ يرتجل بعض الألحان قدم استقالته من عمله بوزارة العدل واحترف الموسيقى ، فقام بتلحين نشيد السعادة للشاعر الألماني شيلر وبدأ في تأليف السمفونيات والأوبرا والمعزوفات والأغنيات القصيرة .

تميزت موسيقاه بالرقة والروح الرومانسية التي تثير كوامن النفس وشجون القلب وترحل بالروح في عالم من الشفافية ونغمة الأسى . وقد شعر الموسيقار في البداية باليأس والتشاؤم والحزن لأن أعماله لم يكن لها صدى في القلوب رغم انتقاله إلى العواصم الأوربية ورحيله الدائم عن موسكو . ثم فشل زواجه الأول الذي أدى به إلى العزلة والإصابة بالمرض فذهب إلى سويسرا للعلاج .

بدأ يعود إلى موسيقاه مرة أخرى حتى جاءته رسالة من امرأة ثرية تعشق الموسيقى ، أحبته وقررت أن تمنحه ما يريد من المال ليعود إلى التأليف . وكانت هذه المرأة الثرية المجهولة هى رفيقة روحه ، وإلهامه الذي يفتح له ينابيع السحر والفن والجمال . فكتب كثيراً من المؤلفات الموسيقية وهو يحلم أن يشاهد هذه المرأة التي نفضت عنه الأحزان وأشرقت عليه بشمس دافئة في ليل بارد.

وفي عام ١٨٧٥ بدأت أعماله تجتاح أوربا والعالم ، وتألق اسمه واشتهر في كل مكان وانهالت عليه الدعوات لزيارة البلاد الأوربية والشرقية ، فأقام الحفلات والعروض واستمر في إبداع موسيقاه. وتحس في هذه الموسيقى بعضًا من أحزانه ولهفته إلى التطلع للمرأة التي ساندته ووقفت بجواره دون أن يراها حتى انقطعت رسائلها عنه ، فغرق في الحزن وأودع في الموسيقى شجون أحزانه وإحساسه بالانهيار والفقدان .

وظلت موضوعات الحب هى الأثيرة لديه ويتجلى ذلك واضحًا في "بحيرة البجع" والقصيد السيمفوني "روميو وجوليت" و"الجمال النائم" حيث تصحو الأميرة من النوم بعد مائة عام على قبلة حبيبها أمير الأحلام . وتدور قصة «الجمال النائم» حينما كان الملك والملكة في حفل كبير من أجل طفلتهما « أوروا » وجاءت الجنيات يرقصن ويتمايلن في خفة حول مهد الطفلة الجميلة ويقدمن الهدايا السحرية لهذه الأميرة الصغيرة حتى جاءت فجأة الساحرة الشريرة تعترض على عدم دعوتها إلى الحفل فتحكم على الأميرة أن تظل نائمة لمائة عام ثم تصحو الأميرة على قبلة فارس الحب و الأحلام .

وقد تأثر الموسيقار تشايكوفسكي بالموسيقى الفرنسية والألمانية والإنجليزية ، وحاول أن يبدع الجديد ويبتكر روحًا خالدة في الحس الموسيقي بعيدة عن التقليد أو التأثر الواضح . وقد نجح في خلق موسيقاه الفريدة التي تأسر جوانب الروح ، وتحس فيها معاني الحب والخير والإشراق .



الفونس دوديه

(١٨٤٠ - ١٨٩٧م)

الفونس دوديه أديب فرنسي تميز بدقة تصويره للواقع وخفقات النفس تجاه ما يصادفها من محن ومآسي .. وكيف تصحو هذه النفس لتواجه اليأس والسقوط بصلابة وتحد .

ومن مجموعاته القصصية : الشيء الصغير .. تارتارين دوتاراسكون .. رسائل طاحونتي .. حكايات يوم الاثنين وغيرها من القصص الإبداعية التي يهتز فيها الضمير ويثور العقل ضد الشر والفساد .

وفي إحدى قصصه القصيرة وهي «الدرس الأخير» تتردد في أعماق البطل انفعالات ثائرة وتمرد عنيف وصحوة من عالم السبات . ويشعر البطل أن هناك موقفًا لابد أن يدافع عنه ويعلن فكره ضد كل ما يغتال أغاريد الصباح وبراءة الطفولة . ونلاحظ كيف تتجلى في كيان البطل تلك الصلابة والإرادة التي تواجه الصعاب وتؤكد حضوره الإيجابي ، بعدما كان مجرد قشة في مهب الريح أو فكر بلا انتماء وهذا ما حدث في قصة «الدرس الأخير»

في القصة يرقب التلاميذ الصغار أستاذهم الذي حضر مبكرًا إلى المدرسة وقد ارتدى بذلته الأنيقة السوداء ورباط العنق وحمل في يده حقيبة سفر . بدا على الأستاذ المفتون بحب وطنه فرنسا إمارات الأسى والحزن العميق ، فقد سقطت فرنسا تحت الاحتلال الألماني ، والجنود قادمون الآن على الطريق لاحتلال القرية التي يعيش فيها ويقوم بالتدريس للأطفال في المدرسة . وما عليه الآن إلا أن يرحل من القرية لأن المدرسة سوف تغلق ، ويسيطر الألمان على كل شيء ويصادرون فرحة الأطفال وأيضًا الحرية واللغة الفرنسية التي يتحدثون بها .

كل هذه الأفكار تدور في ذهن المدرس والدموع تترقرق في عينيه وهو يقف أمام الأطفال داخل الفصل ماذا يقول لهم كيف يعبر لهم عن هذه المحنة ؟ والأطفال الأبرياء لا يعرفون شيئًا فدخل المدرس إلى الفصل وكتب على السبورة هذه العبارة : الدرس الأخير .. ثم نظر إلى

الصغار وقال والدموع تنحدر من عينيه :

لستم المذنبين فيما يحدث حولنا .. أنا المذنب الحقيقي .. أنا الذي تسامحت فى بعض الأمور.. وتهاونت فى موقفي كثيرًا .. أنا المسئول عن الوقت الذي أضعتموه بلا جدوى أو فائدة .

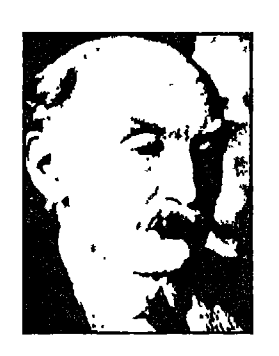
ونظر الأستاذ إلى أحد التلاميذ وأستطرد قائلاً : **لست أنت المذنب يا بنى .. كل منا يخفي فى نفسه أشياء يؤنب عليها .. من الغد سوف تكون الدراسة بلغة الأعداء .. وهذا هو الدرس الأخير باللغة الفرنسية .. لغة فرنسا وطننا الغالي .. إنه الدرس الأخير .**

ويسود صمت رهيب على الفصل وعيون التلاميذ تبرق بحدة لا تدري أي معنى خلف هذا الحزن ، ويفكر أحد التلاميذ وهو يسمع هديل الحمام فوق أبراج القرية هل سيكون هديل الحمام فى الغد أيضًا بلغة الأعداء ..

ويتوقف الأستاذ ليجفف دموعه ، ثم يعود بحزن ليقول :

أصدقائى الصغار .. أبنائى .. أنا المذنب الوحيد .. أنا المسئول عن سقوط فرنسا .. أنا .. أنا..أنا ..
ولم يستطع الكلام فقد خنقته العبرات .. ومن بعيد كان صوت أحذية الجنود تقترب من القرية وبعض الصراخ .. ويعود الأستاذ ليكتب على السبورة : تحيا فرنسا .. ثم خرج من غرفة الدرس ، والتلاميذ الصغار يتطلعون والدموع تترقرق في عيونهم ، والصمت يشملهم ولا يصدر في الفضاء سوى صوت أحذية الجنود الألمان وهم يقتحمون القرية .

ولا شك أن هذه القصة القصيرة لها رموز وطنية يستشفها القارئ من خلف المعاني والصور عن القيم التربوية الوطنية التي يجب أن نزرعها في أذهان التلاميذ لتعمق قضايا الانتماء والارتباط الوجداني والحياتي بالأرض والوطن ، وأن الإنسان لابد أن يعيش لقضية وطنه وهذا يبدأ من السنوات الأولى مع الطفل فقد اعترف المدرس أنه قد أضاع كثيرًا من الوقت في اللاجدوى ، وأنه المسئول عن سقوط فرنسا ، وتلك هي مسئوليته . وإذا شعرت أنك مسئول حقًا عن كل ما يحدث فى بلادك من خلل أو فوضى أو هزيمة فقد ارتفع لديك مستوى الانتماء إلى أقصى وأعظم مستوى ، فلا قيمة للإنسان إلا بحياة يعطي فيها للآخرين ويساهم معهم في البناء والدفاع وزرع وردة في صحراء الوجود تصبح حدائقًا وظلاً للحائرين والمرهقين .



توماس هاردي

(١٨٤٠ - ١٩٢٨م)

تومس هاردي ولد في منطقة دورست شاير جنوبي غرب إنجلترا وأطلق عليها في قصصه اسم ويسكس . وعاش في حقولها الخضراء هاربا إلى ظلال الشجر الوارف .. ورفة الغدير وتحليق الطيور والفراشات وتغاريد العصافير وغناء الجداول والأنهار .

عشق هاردي الطبيعة وذاب بأحزانه مع الريح والعواصف وغزارة الأمطار .. وكثافة السحب.. وصوت الرعود والبروق وتمزقت ذاته شفقة على كائنات الحياة التي لا حول لها ولا قوة في مواجهة قوي الطبيعة وجسارتها .

واعتقد أن هناك أقدارًا دامية تضرب الكائنات وتمزقها وتتلاعب بالأرواح وتسخر من الطموحات وتهزأ من الآمال والحب والمشاعر الرقيقة .

ولعله شعر بالتشاؤم رغم القيم الجمالية في الطبيعة ، وأيقن أن هذا الوجود مأساة تحطم البشر في صراعهم المرير بين الرغبات الغريزية والحياة والموت والفراق واللقاء .

إن هناك ظلمًا يعصف بالنفوس وخناجر ترشق في الروح وآهات تتحشرج .. أنات تعلو في الليل بين سموم الغيرة والأحقاد والشهوات المفزعة والرغبات العمياء القاتلة .

وإذا قرأت روايته « تسي سليلة دربرفيل » تأزمت روحك وانكسر قلبك مع البطلة ضحية العادات والقوانين الحازمة والزائفة ، وتعاني المرأة دون رحمة أو تسامح وتسقط محطمة تحت وابل من الكوارث فلا تجد مفرا سوى اقتراف جريمة قتل وتشنق في النهاية .

وغضب الناس على هاردي لهذه الصورة الآثمة للمرأة «تسي» فقد وجه إدانته إلى مجتمع المادة والمد الاستعماري والمبادئ القائمة على الاستغلال والدمار والعنف والاستعباد .

ودرس هاردي الهندسة المعمارية وعشق الكنائس القديمة وإلتحم بالتراث الفني ، وقد وظف

هذا الحب في كتابة رواياته بطريقة هندسية حيث يضيف الجزيئات والتفاصيل إلى بعضها في تريث وتنسيق وتحليل نفسي مقنع حتى عرفنا أن أبطاله شخصيات نابضة بالحياة قادرة على الإيحاء بذاتها وأحلامها ومأساتها وأيضا معبرة عن انهزامهاوانكسارها أمام قوى الطبيعة والقوانين الاجتماعية والسياسية الظالمة .

اتجه إلى الشعر وتوقف عن الرواية ونشر ستة مجلدات تضم شعراً غنائيًا عام ١٩٣١ وترك في الأدب الإنجليزي مجموعة روايات منها : علاج ميئوس سنة ١٨٧١ ، عودة المواطن ١٨٧٨ ، رجال الغابة سنة ١٨٩١ ، جود الغامض سنة ١٨٩٢ ، وقصصًا أخري هي : تحت الشجرة الخضراء ، عمدة كاستربردج ، يهوذا المغمور ، بعيدًا عن الجمهور ، اثنان فوق البرج ، عينان خضراوان وغيرها .

وأصبحت هذه الأفكار هي السائدة في أدب توماس هاردي ، ولذلك ثار ضد العصر الفكتوري بما يرمز إليه من جمود في الفكر والصنعة في الأدب والاهتمام بالشكل والزخرفة اللغوية .

ويقول هاردي :

لا فائدة من الحياة مادامت تمنحنا الآلام دومًا ، وما الإنسان إلا عابر طريق مظلم وبيده مصباح لكن النور خافت وضئيل والظلمات حالكة وكثيفة .

وحين تقرأ روايات هاردي تلمح رموز هذا التشاؤم في الأشخاص الحفاة وتعاسة الأبطال وعذاب الشهوات والظمأ إلى المال والنفوذ والسيطرة ورغم تعاطف هاردي مع كائنات الحياة إلا أنه سخر من مواقفهاوأيقن بأن الحب ليس إلا لعبة خاسرة بين الرجل والمرأة .

وقد شعر الناس بالكآبة لهذا الأدب التشاؤمي الذي يحطم النفس ويدمر انطلاقة الروح ويثير الشجن والأحزان في القلوب . ولكن هاردي يقول لهم :

أنا لست متشائمًا وإنما أصور الحياة على حقيقتها .

وفي أدبه تلمس ملامح من عصره حيث إنجلترا سيدة البحار وانتصارها في حروب القرم ، الرخاء الاقتصادي ودعوات الإصلاح وانغماس الناس في البحث عن المال وإهمال الشعور والفكر والمواقف الإنسانية .



إميل زولا

(١٨٤٠- ١٩٠٢م)

إميل زولا رائد المدرسة الطبيعية في الأدب حيث دعا إلى تصوير شخصيات الرواية بصدق بعيدًا عن قوانين الأخلاق والشرائع دون زخرفة أو رموز وإنما تجسيد بشاعة البطل بفطرته وغريزته وإقباله على المتع وسقوطه ضحيه آثامه وشروره .

ويحاول زولا أن يقترب من النفس البشرية في بؤسها وانهزامها وضياعها وشرودها فوق الأرض واستغراقها في الرذيلة والنفاق والرياء وتحللها من كل فضيلة أو ميزة أخلاقية . ويرى زولا أن مواجهة حقيقة النفس البشرية لا يكون واضحًا ومنكشفًا دون مواربة إلا في لحظات التدهور الأخلاقي والتمزق الوجداني والتردي في هاوية الفساد ، وتلك محاولة لعلاج الإنسان والتعرف على أمراضه النفسية والذهنية وارتباطها بالبيئة والأرض والتاريخ .

وتأثر زولا إلى حد كبير في منهجه هذا بالمنهج العلمي الذي اتبعه كلود برنار (١٨١٣- ١٨٧٨م) العالم الفرنسي المتخصص في علم الأحياء ، وأصبح كتاب برنار « مقدمة في الطب التجريبي » هو الأساس الذي استمد منه زولا مبادئ المذهب الطبيعي في الأدب .

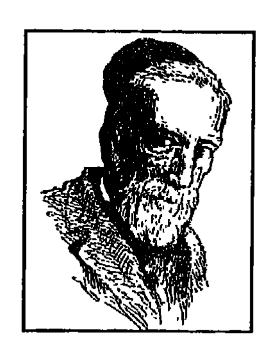
واقترح زولا بأن الكاتب الروائي الطبيعي عليه أن يظهر التجارب الحقيقية للإنسان في المجتمع دون زيف أو تجميل ، وأن يتبع التحليل النفسي لأن الإنسان هنا جزء من الطبيعة يتأثر بعوامل الوراثة والبيئة .

ويقول زولا موضحًا مفهومه الطبيعي للأدب : إننا علماء أصحاب عقول تستخف بكل شيء وتسخر من الخوارق ، وتتبع القواعد العلمية لكشف الحقيقة الكاملة ونُعنى في تصوير الانسان بعاداته وملامحه وسماته النفسية والشكلية الخفية والظاهرة وتفسير بيئته ومولده ونشأته ومماته حتى نصل إلى إضاءة هذا الكائن ورؤيته والتعرف على الظروف الاجتماعية التي تسحقه وتدمره والأقدار التي فرضت عليه حالات خاصة عجز عن مواجهتها .

ولذلك نلاحظ في روايات زولا أنه يستعين بالتجارب والأبحاث الفسيولوجية ويذهب لمشاهدة الأماكن والأشخاص ويتعرف على اللغة وإيحاءاتها ، ويتلمس الآمال والمخاوف والطموحات والعقائد ليجعل من أبطاله صوراً صادقة منحوتة من الطبيعة ، ويمكنها أن تقف أمام هذه الظروف والقوانين الجبرية والدخول في معترك الحياة وإلقاء الضوء على الأفاقين والمغامرين والقوادين والسكارى واللصوص والأوغاد وسفلة الطبقات البرجوازية .

أصدر زولا مجموعة من روايات عن الإنسان العادي ابن الأرض الفقير المنهزم الباحث عن صدى لغرائزه وأنانيته الفردية ومن هذه الأعمال : رجون ماكار ١٨٧١ ، المدمنون ١٨٧٥ ، نانا ١٨٧٨ ، جرمينال ١٨٨٥ ، الأرض ١٨٨٧ ، الدكتور باسكال ١٨٩٣ ، الإنجيل الجديد .

وقد ولد إميل زولا في باريس ومات والده وهو مازال طفلا فواجه الفقر والذل والبؤس حتى اضطرت أمه أن تعمل خادمة في أحد البيوت لتنفق عليه وسعى إلى العمل في إحدى دور النشر ، وبدأ ينشر أقاصيص ومقطوعات شعرية في الصحف والمجلات . وأحب فتاة اسمها ألكسندرين وعاشا معا فترة من الزمن لم يرزق منها أطفالا ولكنه ظل واهبا عمره وحياته لأدبه ، وكان يحب أن يجلس في غرفته والنوافذ مغلقة والستائر مسدلة ولذلك حين تسرب الغاز في بيته لم يشعر به أحد ، ومات مختنقا في شقته .



اناتول فرانس

(١٨٤٤ - ١٩٢٤م)

نشأ أناتول فرانس في أسرة فقيرة وفتح عينيه على مكتبة والده الذي يعمل تاجرًا للكتب وأتاح له أن يقرأ روايات كثيرة وقصص تاريخية .

وفكر أناتول فرانس بعد أن حصل على البكالوريا أن يعمل في تجارة الكتب مثل أبيه ولكنه فشل في ذلك ، وأهتم بفحص المخطوطات غير المطبوعة والمنشورات القيمة ومراجع النصوص الأدبية وانضم إلى مكتبة مجلس الشيوخ ، وأصدر في تلك الفترة مجموعة قصصية ، وكتاب « القصائد الذهبية » .

تعرف على صالون الأدبية مدام كيافية وأحبها حبًا عميقًا حتى تصدعت حياته الزوجية وقرر الانفصال عن بيته وزوجته وكتب إلى مدام كيافيه يقول لها :

يا ثروتي يا كل شيء أحبك

أحبك للغاية

أنا سعيد في حزني وآلامي

وأبارك عذاباتي وأحزاني

فهي آتية من منبع فرحي نفسه

كل ما يصدر عنك يكون مباركًا

وأصدر أناتول فرانس رواية (تاييس) من وحي إلهام مدام كيافيه ، ورغم أن الرواية أثارت أهل الدين عليه إلا أنه دخل المعارك السياسية بروح جسورة وكتب عن أعضاء مجلس الشيوخ أنهم بلا مواهب ولا ثقافة واضطر أن يقدم استقالته في النهاية .

وذهب ليعيش مع مدام كيافيه حيث خصصت له مكتبًا ومكانًا في بيتها ، ولكنه لم يشعر بالارتياح رغم أنه أصدر عدة أعمال روائية ونشر مقالات تهاجم عيوب المجتمع والنظام البرلماني وحكم الملوك والأباطرة .

ومن أشهر أعماله في تلك الفترة « الزنبقة الحمراء » التي لاقت نجاحًا كبيرًا ، وأصبح أناتول فرانس من رواد تلك المرحلة الأدبية يعيش في بيت كبير مع خادمه وكل يوم يذهب إلى بيت مدام كيافيه ولا يعود إلا آخر النهار ويقول عن الحياة :

ـ إن نظرتنا إلى الحياة هي مجرد نتيجة كابوس جاثم على صدورنا ينبع من تلك المواقف القاسية والمحن التي ترهق أرواحنا ، والطبيعة لا شك تستهزيء بجهلنا وسذاجتنا .

وانخرط أناتول فرانس في قضية إصلاح البلاد وبدأ يدعو إلى الاشتراكية ويلقي خطبا في الأمسيات العمالية والجامعات الشعبية ورابطة حقوق الإنسان وينادي بالعدالة ويهاجم الحروب .

وأصدر كتابه عن المجاهدة « جان دارك » وانتقده كثير من النقاد بأنه رسم صورة لهذه القديسة تتصف بالتهور والاندفاع .

وفي كتابه « جزيرة البطريق » عبر عن رسالة نقد عنيفة وجه فيها الانتقادات للتقاليد التاريخية ورجال الدولة وقال بأنهم يتسلقون السلطة من أجل الامتيازات المتعلقة بوظائفهم .

وتنبأ أناتول فرانس بأن هناك حربًا شاملة سوف تغرق العالم في بحر من الدماء ، ويلجأ إلى مدام كيافيه يكتب لها :-

سوف أحبك مثلما كنتِ

وسوف أجيبك إنني لكِ

نعم إنني لكِ

إذا لم يبق في قلبي إلا خرائب

فإنها أيضا لكِ

بجميع ظلالها وخريفها

لم يبق لدي ما أعطيكِ

إلا يأسي فتقبليه

ويهرب أناتول فرانس من الصراعات السياسية ومعاركه مع الأنظمة ويختبيء في بيت مدام كيافيه ويقول لها :

أراكِ باستمرار

رأسكِ على كتفي

وجفونك مسبلة

وعلى شفتيك تلك البسمة

العميقة رائعة الجمال

التي تسبق نسيان العالم

وتضمه إليها مدام كيافيه وتهمس له :

أنا لا أعيش إلا من أجلك وأعذبك

إنني أحبك . . أحبك من أجل نفسي

أغفر لي . . أتوسل إليك

وأتمنى أن يكون لي عمر آخر لأمنحه لك

ولكن القليل الباقي هو لك

وقام بجولة أخيرة بعد أن تجاوز الستين من عمره إلى الأرجنتين يلقي المحاضرات ويكتب القصائد إلى مدام كيافيه .

وحين ماتت مدام كيافية استسلم للحزن واليأس وأعلن :

لقد فقدت سبب بقائي ووجودي

إن غيابها هلاك

افتقادي لها هو الموت

وأصدر عدة كتب هي : الآلهة العطشى ، و ثورة الملائكة ، واحتفل بعيد ميلاده الثمانين وبدأت صحته تنهار وفي ليلة تمتم بكلمات غير مفهومة وأرخى أهداب عينيه واستسلم لصوت في داخله يقول :

إنها المؤلمة حياة البشر ولاتوجد هدنة لآلامنا .



نيتشه

(١٨٤٤ - ١٩٠٠م)

فيلسوف وشاعر عاش يؤسس مجدًا لأفكاره ويحلم بإنسان آخر يستطيع أن يحقق للمعذبين والبؤساء أحلامهم في حياة جميلة . كان يبحث في حقيقة الوجود والتناقضات الغريبة بين الحياة والفن ويقول :

- مازلت أشعر بالفزع المقدس وأنا الآن أمام هذا الصراع العجيب !!

وتأتي فلسفته لتقرر بأن هناك انسانًا أكثر رقيًا وأسمى من الفرد العادي ، يعلو فوق الصفات السائدة للبشر . . إنه « السوبر مان » الذي تكمن في داخله إرادة القوة ، ومن هنا لا بد للإنسان أن يحاول أن يصل إلى إرادة القوة حتى تتيح له السيطرة علي الحياة ويستمتع بلذة البطولة والأعمال الخارقة .

إن تمجيد الانسان لتميزه وقدراته الخاصة ، ومقاومته ونضاله ضد الأنظمة التي تعرض العنف والقهر أحدث أثرًا في حياة الأمم والشعوب ، حتى بدأت الأنظمة الاستعمارية تدرس فلسفة نيتشه وتخاف إرادة الانسان وبطولاته .

وقد صاغ نيتشه هذه الأفكار في كتابه « هكذا تكلم زرادشت » حيث يهبط زرادشت إلى الأرض بعد أن ظل منعزلاً أكثر من عشر سنوات في جبال الألب ، ويحاول أن يمنح الحكمة والموعظة لهؤلاء الذين انصرفوا إلى تفاهات الحياة ، ودعا إلى غلبة العلم على الجهل والحماقة واليأس ، وأن في داخل الكائن البشري طاقات هائلة يمكنه من خلالها أن يصل إلى أعلى مستوى من الإرادة و مواجهة الصعاب .

ويقول :

- استحلفكم أن تكونوا أمناء للأرض وتقدسوا الأرض حتى يتاح لها أن تنجب يوما ما السوبر مان.

وكانت تجتاح نيتشه أزمات نفسية وعقلية وظل حوالي إحدى عشرة سنة فاقداً قواه العقلية ولذلك تعددت مواقفه الفكرية ، وكثرت تناقضات كثيرة حول فلسفته .

وفي قصيدة « المجد و الأبدية » يقول :

يادرع الضرورة

يا كوكب الوجود الأعلى

يا من لا تدركه رغبة

ولا تلطخه لا ..

يا نعم الوجود الأبدية

أنا نعمك إلى الأبد

لأني أحبك أيتها الأبدية

وعاش في نهاية عمره يعاني الوحدة والسأم والشرود والهذيان ويقول :

من يدفئني

من الذي لا يزال يحبني

أعطوني يدين دافئتين

اعطوني فحم القلب

ممدد مرتعش

تنغصني آهات نيران حمى مجهولة

وأرتعد من سهام الصقيع الحادة

مطارد أمامك ياأيتها الفكرة

وفي أحد الليالي الممطرة انتابته حمى شديدة ولم يستطع الكلام . . واستسلم فيلسوف القوة والإرادة لفجعة الموت الأخيرة .

وقبل أن يموت كتب إلى أخته قائلا :

- عديني عنـدما أموت ، لن يقف حـول نعشي سـوى أصدقائي ولن يكون حـولي أحد من الغـوغاء المتسائلين ، واعملي على ألا يلقي قسيس على قبـري أكاذيب وأنا عاجز عن حماية نفسي ، وودعيني إلى قبري وأنا شريف .

وعندما مـات لم ترثه جريدة ولم تذكره جـامعة ، ولكن بـعد سنوات طويلة بعثت ذكـراه مرة أخرى وأثارت ضجة حول الإنسان السوبر مان .

ومن أهـم مؤلفاته : المسـافر وظله ، العجز ، المعرفة ، الفـرحة ، هكذا تكلم زرادشت ، ما وراء الخير والشر ، عشق المعبودات ، منابع التراجيديا وغيرها .



مدام كيافييه

(١٨٤٧ - ١٩٠٧ م)

مدام كيافييه أديبة وصاحبة صالون أدبي ضم العديد من الأسماء الشهيرة في الأدب الفرنسي ومن أهمهم : أناتول فرانس الذي ارتبطت معه بعلاقة حب عميقة .

اسمها الحقيقي ليونتين ليبمان ، ذات أصل نمساوي فقد تزوج أبوها أوغست ليبمان امرأة تنحدر من أسرة ثرية واستقروا في باريس في مطلع القرن التاسع عشر .

تعلمت ليونتين ليبمان في وسط ثري أنيق الألمانية والإيطالية ودرست الآداب والفنون الجميلة والفلسقة و زارت أهم مدن أوربا .

في عام ١٨٦٧ تزوجت من البير أرمان دي كيافييه ، ولم تدم الحياة بينهما كثيراً فقد كان مقامراً عربيداً ، لا يحترم زوجته ولا يقيم اعتبارا للقيم الأخلاقية . وعاشت معه مدام كيافييه تعيسة وتحملت من أجل طفلها ، ولكنها لم تستطع أن تقاوم هذا الصخب والحياة الماجنة لزوجها فقررت الانفصال عنه .

اهتمت مدام كيافييه بالآداب والفنون الرفيعة وترددت على الصالونات الأدبية المنتشرة في فرنسا خلال تلك الفترة ، وقد أعجبت بصالون مدام أوبيرنون وبدأت تفكر في إعداد مشروع لتأسيس صالون أدبي يهدف إلى مناقشة الفكر السائد في الحياة الأدبية وطرح افكاراً جديدة حول الآداب و الفنون .

واستطاعت أن تحقق مشروعها الكبير بإعداد الصالون الأدبي الذى قصد عدة أهداف منها:

ـ إيقاظ الحركة الفكرية و استثمارها في معارك فنية وأدبية ونقدية يشارك فيها الأدباء الكبار والجمهور المتذوق للفن والأدب .

اقترب من صالونها كبار الشعراء والأدباء الفرنسيين ، وكانت مدام كيافييه من خلال روحها المنطلقة وثقافتها الواسعة وحبها العميق لروح المناقشة ولمساتها الحنونة لآلام الشعراء أن أصبحت شخصيتها الإنسانية مصدراً لإلهام وإبداع اعمال أدبية كثيرة .

ويذكـر أن الشاعـر أناتول فرانس الذي كـان يتردد على صـالونها الأدبي قـد كتب كـثيـراً من أعماله من خلال إلهام مدام كيافييه .

شاهدت مـدام كيـافييـه الشاعر اناتول فـرانس في صالونهـا الأدبي وأُعجبت في بادئ الأمر بخجله الشديد ورقته المتناهية وقصائده التي تعبر عن وحدة الإنسان في عالم قاسٍ .

وكانت مـدام كيافيـيه رغـم صالونها الأدبي الكـبير تحس بالتعـاسة فهى مازالت وحـيدة بين الجدران والكتب والمقاعد الصماء ، الغربة تنهش روحهـا فتهرع إلى قصائد الشاعر أناتول فرانس لتبحث عن ذاتها الممزقة داخل هذه الصورة الشعرية حيث يقول :

إنني أتألم من خلالك
وأحبك لأنك بؤسي وكبريائي
فرحي وألمي
روعة الأشياء وقسوتها
لأنك الرغبة و الفكر
لأنك جعلتني شبيهًا لك
إنني أعرف وأرى وأحس
وأريد وأتألم

وحين التقت بالشاعر اناتول فرانس عبرت له عن إعجابهـا بهذه القصائد الأخيرة التي يكتبها ، فإذا به يهمس لها قـائلا : (كتبتها لك) . ولم تتمـالك مدام كيافييه مـشاعرها وارتمت تبكي على صدره وتهمس له : (يا عمرى . .) .

وظلت مدام كيافييه تعشق الشاعر اناتول و يحدثها عن أحلامه و معاناته وطموحاته وكيف أن حياته ممزقة مع زوجتـه التي لا تحبه وتفاخر دائما بأسرتها الثرية وتثـير المشاحنات معه ولا تؤمن به كأديب وشاعر له دور كبير في الحياة .

وشعـرت مدام كيافية معـه بلذة روحية في عـشق هذا الشاعر المضطرب الإحـساس المرتعش المشاعر عميق الفكر والتأمل ، وأيقنت أنها وجدت الرجل الذي تحبه ، فكتبت له تقول :

أنا لا أعيش إلا من أجلك
إنني أحبك بضرواة أحبك من أجل نفسي
اغفر لي . . أتوسل إليك
وأتمنى أن يكون لي عمر آخر
لامنحه لك

وكتب أناتول فرانس روايتـه « تاييس » من تأثير مدام كيـافييه ، وهي أسطورة مزجـها فرانس برؤيته الـفنية الخاصـة عن المرأة التي ترمز إلى الخطيـئة ومـوقفهـا من الفنان الذي عشـقهـا بطهر وإخلاص .

وعاشت مـدام كيـافيـيه قـصة حب عنيـفة ووهبت روحـها وحـياتها للـشاعر أناتـول فرانس وناقشت رواياته وقـصائده في صالـونها الأدبي ودفعـته لتحـقيق أحلامـه والدفاع عن قيم الحـياة ومهاجمة النظم الفاسدة في الدولة والبرلمان .

وتكتب مدام كيافييه إلى اناتول فرانس :

لو كنا نستطيع الهروب نحن الاثنين

والاختفاء بعيدًا عن هذا العالم . .

ولكن نحن ضائعان والمجتمع سجن كبير

وتظل لنا الملذات الخاطفة

والمختلسة التي يعرفها السجناء

وتحيا مدام كيافييه مع شاعرها العاشق ، وتنساب كتاباته في الصحف والمسرحيات تمثل وتنشر والقصائد تتألق في سماء الشهرة ولكنه يواجه هجومًا من أهل الدين و يتهمونه في عقيدته وديانته ولا سيما بعد نشر روايته (تاييس) ولكن مدام كيافييه تقول له :

ـــ أنت ارتقيت بي وسموت بذوقي في النقـاء وألهمتني كل شيء ومنحتني كل شيء . . أنت موهبـة فريدة وانفعـالات حادة جديرة بالحب أنت قـمة في البراعـة . . أنت أجمل قصـيدة حب لأجلي كُتبت . . أنت ومـضات النور في عيني سكبت أنت أحلى معـاني في دربي رسمت . أنت أروع سيـمفـونية في قلبـي عزفت أنت الهـوى . . أنت المنى والعين من فرط حنانك دمـعت . . أموت فيك حبيبي وروحي في روحك سكنت . .

وبعد أن رحلت مدام كيافييه عن الحياة تشربت روح أناتول فرانس بالحزن وكتب قائلا :

لقد فقدت سبب وجودي

وإمكانية الحياة

إنها الحياة ومازالت في داخلي

ولن تموت إلا بموتي



خريستوف بوتيف

(١٨٤٨ - ١٨٧٦م)

خريستوف بوتيف شاعر بلغاري مناضل ، علا صوته الثائر في سماء وطنه يحث شعبه على النضال والتحرر من الحكم العثماني فجرت قصائده لهيب الحماسة الوطنية والثورة والتضحية من أجل بلغاريا وحريتها .

وأجمل ما في حياة هذا الشاعر أنه كان يحارب بالكلمة و القصيدة وامتزجت في شخصيته دماء البطولة بالإبداع الشعري فقد وقف يهاجم الاحتلال العثماني ويحاول إيقاظ غفوة شعبه والخائفين الرجعيين المنتفعين بالاحتلال ونفوذه ، وألقى الخطب الثائرة والقصائد التي تعبر عن نضال بلغاريا واستشهاد أبنائها ومواقف رجالها في وجه العبودية والطغيان يقول في إحدى قصائده :

لاتذرفي الدموع يا أم ولا تحزني

أجل إن ابنك ثائر ثائر متمرد

لقد تركتك يائسة حزينة على ابنك البكر

لا تبكي يا أم والعني جور المغتصب

الذي طردنا نحن الشبان

حيث نهيم لا دفء ولامأوى

محرومين من الحب محرومين من كل شيء

وهذه القصائد تتميز بالتعاطف الوجداني بين الشاعر في صورة المناضل البطل وأمه التي تخاف عليه وتبكي من أجله ، ولكنه يمضي في طريقه شاهراً سلاحه في وجوه الخونة والظالمين . وقد قام الشاعر بالمشاركة الفعالة مع الشباب البلغاري في حمل السلاح ومهاجمة الجنود العثمانين

ومحاولة طردهم من بلغاريا وتـدرب على استعمال الأسلحة والقنابل ، وحول صـفحات جريدته «الكلمة » إلى بركان هادر يجرف أعداء الحق والحرية والسلام يقول :

آه ياأمي الباسلة

وداعًا وسامحيني

فأنا مسرع إلى نداء الشعب

وعلى ظهري بندقيتي لأقاتل عدونا هناك

لأجل ماهو غال عليَّ

لأجلك لأجل أبي وأخوتي

وسيكتب حسامي ملحمة الشرف

وذهب الشاعـر إلى ساحة القتـال عندما اندلعت نيران الثورة الشـعبية في جنوب بلغـاريا وقاد فريقا من المحاربين وأطلقـوا النيران على جنود المحتل العثماني وأثناء هـذا القتال المرير كان يرسل الأنباء إلى جريدته ليبعث العزيمة والقوة في نفوس الشعب البلغاري .

وأثناء القتال فوق قمة أحد الجبال يصاب الشاعر برصاصة في قلبه ويسقط من فوق قمة الجبل شهيداً ولم يتجاوز عمره ثمانية وعشرين عامًا .

ويحلم الشاعر بوتيف بعصافير الحرية تحلق في سماء بلاده وأنه حسبة الموت شهيداً فوق تراب الوطن ، ويتخيل وجه أمه أمامه فيقول لها :

أنت ياأم تعالي للقائي

تعالي ضميني بين ذراعيك

وعلي جبيني النقي اطبعي قبلة

وحدقي فستجدين عليه

هذه الكلمات العظيمة

عش حرًا أو مت شجاعًا

وهكذا يسجل الـشاعر بوتيف ملحـمة البطولة والنضـال ويصبح رمزاً كـبيراً في ضـمير أمـته وشعبه الذي أحبه ومازال يذكره في سجل الخالدين الأحرار .



روبرت لويس ستيفنسون

(١٨٥٠ - ١٨٩٤م)

في الأدب الإنجليزي خلال عصوره المختلفة لم يظهر شاعر وأديب استطاع أن يؤثر في نفوس الصغار والكبار أكثر من روبرت لويس ستيفنسون الذي اشتهر بقصص المغامرات الشيقة والأسلوب السحرى الرائع الفياض بالمعاني الثرية وعنصر التشويق .

بالإضافة إلى أدب ستيفنسون العذب فقد كانت شخصيته هي الأخرى تتميز بالبساطة والوداعة والخلق المثالي الرفيع . وظلت هذه السمات بارزة في شخصيته وأدبه . ويمكنك إذا قرأت مجموعة مقالاته أو رواياته أو قصصه القصيرة أو قصائده الرقيقة أن تظل منسابًا مع الأحداث والمشاعر والصور المنتزعة من البحار والأمواج والجزر النائية والأبطال المغامرين المنطلقين في البحث عن الكنز . فقد كان قادرًا على خلق عالم روائي متكامل لا يمت إلى الواقع بصلة . ولكنه مدهش ومثير وغريب جذب إليه الصغار والكبار .

كان ستيفنسون منذ طفولته يحلم أن يصبح كاتبًا شهيرًا ولكن والده خطط له ليصبح مهندسًا مثله . واعتقد ستيفنسون أن الأدب رحلة هادئة لا تتطلب سوى القراءة والكتابة ، ولذلك عندما أصيب بمرض في طفولته انقطع عن الذهاب إلى المدرسة وقرر أن يجلس في البيت ليكتب القصص . واضطر أن يذهب إلي الجامعة بعد أن درس وقرأ هناك في التاريخ والفلسفة والأدب وكتب الرحلات والأساطير القديمة . وأصبح لا يذهب إلى مكان ما إلا ومعه كتابين يقرأ أحدهما والآخر يسجل فيه ملاحظاته ومشاهداته وتأملاته للناس والحياة .

واتجه ستيفنسون إلى أدب المغامرات الذي يعتبر أحد رواده وأصدر رواية « جزيرة الكنز » التي انتشرت في انحاء العالم وأقبل عليها الأطفال يتابعون قصص القرصان في جزيرة السحر والغموض ومغامرات الطفل بطل الرواية . ثم كتب بعد ذلك أهم أعماله القصصية وهى «دكتور جيكل ومستر هايد » لتصور الصراع بين الخير والشر في الإنسان وتبع ذلك مجموعة أخرى تدور

احداثها فـي شواطئ المحيط الباسفـيكي وروعة رمال الجزر بالـنهار وغموضهـا في الظلام حيث المغامرات العجيبة .

وتألق أدب ستيفنسـون مبـدع المغامـرات المثيرة والأحـداث العمـيقـة المرتبطة بجنوح الذات واشتياقهـا إلى كل ماهو غريب وغير معقول ، وأصـدر بعد ذلك رواية « الاختطاف » التي اسرت الأذهان وسيطرت علـى العقول بما فـيها من عـالم الإثارة والرعب والمغامرات والـبطولة ، وكتب رواية أخرى من عنصر المغامرات أيضًا هى « رحلة مع حمار » وغيرها من الأعمال القصصية التي جعلت القراء يهملون قصائد ستيفنسون ويعرفونه كروائي المغامرات والتشويق .

وفي الحقيقة ستيفنسون شاعر بارع ينهل من ذكريات طـفولته البريئة ليسجل مشاعره النقية فى مواجهة عالـم الجمال والحب والطبيعة ، ولذلك تلاحظ أن هذه السمة البارزة في شعره ولها صفة الحضور والكينونة ، وخـياله جامح ثري بالصور قادر على تشكيل مـساحات كبيرة من التـفاصيل الصغيرة فيقول :

الكلب والمحراث والصياد

نجمة البحار والمريخ

كلها تشع في الفضاء

حتى الدلو قرب الجدار

فاض بالماء والنجوم

ومن أجمل أعماله الشعـرية ديوان « حديقة الطفل »الذي يحتوي على قصائد تعبـر عن متعته بالمغامرة الطفولية وحنينه الدائم إلى البراءة وعشقه للرحيل والبحار والجزر النائية .

ويقول في إحدى قصائده :

هذه التلال هذه الغابات

متعتي الوحيدة

وهناك النهر توءمه الأسود

لتشرب تروي ظمأها

وفي البعيد أشاهد خيمة

تشتعل النار بها

والأسود من حولها ترقد

وأنا كشاف هندي أدور حولها وأرقص

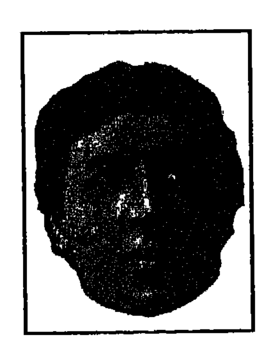
وأصيب في نهاية حياته بداء السل وأوصى أن يُدفن في أحد الجبال التي تطل على المحيط ويكتب فوق شاهد قبره :

هنا يرقد حيث كان يتمنى دائما . .

هذا وطن البحار العائد من أعلى البحار

هذا موطن الصياد العائد من الجبال والتلال

يرقد حيث أحب دائما .



أوسكاروايلد

(١٨٥٤ - ١٩٠٠م)

الأديب الأيرلندي والشاعر المتهتك ، مقتحم وكر اللذات، ومعتنق مبدأ المتعة الحسية وإشباع الرغبات بكل الطرائق والسبل سواء شريفة أو ساقطة ، إنه يخاطر بحريته وشرفه من أجل لحظات المتعة ويمكن أن يقال عنه : متهتك لايقيم اعتباراً للعرف أو المباديء أو العقيدة ، وكان يجاهر بهذا الفسق حتي اكتشف أمره وأودع في السجن ، وفي السجن كتب روايته « من الأعماق» وقصيدة طويلة بعنوان "سجن ريدنغ" يصف عالمًا من الفوضى والجريمة والقتل والخطيئة فيقول :

"لم يكن مرتديًا ثوبه القرمزي فالدماء والخمر لونهما أحمر . . وكانت الدماء والخمرة على يديه . . عندما وجدوه مع المرأة التي أحبها . . ثم قتلها في فراشها ."

أما روايته « صورة دوريان جراي» فهي شهادة تؤكد تحلله الأخلاقي واستهتاره بقيم المجتمع واندفاعه نحو تيار شهواته دون حساب أو رقيب ، وقد فحص النقاد في الغرب أدبه وشعره وقرروا أن هذا الأديب الشاعر ينتمي إلي مدرسة الفن للفن ، فهل الفن غواية وسقوط ومجون ؟ بالطبع لا نوافق أو نؤمن بهذا الذي يقال ، فالفن الحقيقي يساند القيم والأخلاقيات وينبع من الدين والعقيدة وليس الفن اعتداء وتشويهًا للقيم .

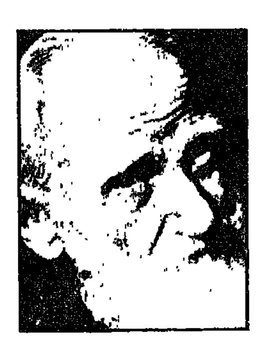
ومازال أبو نواس « ١٤٥ - ١٩٩هـ » لا نقتنع بمجونه وأشعاره الفاسدة في الجواري والغلمان، ولا تعد مصادر دراسية أو روائع أبي نواس بل إن ما قاله في التوبة والزهد ليعد أكثر قيمة فنية مما قاله في الزندقة والاعتداء على المقدسات ، وقد سجن هو الآخر في عهد الخليفة محمد الأمين ورغم أنه ابتدع في الغزل تيارات جديدة من وصف الخمر وغيرها فلم يزل ما ابتدعه مجرد حالات فنية واتجاهات تمضي مع مسيرة الشعر العربي في هذا العصر الذي اختلط فيه الفرس بالعرب حيث كان الفرس لا يهتمون إلا بإشباع رغباتهم وشهواتهم الحسية .

وإذا كان الشاعر والكاتب الأيرلندي قد توفي على حاله الساقط . فإن أبا نواس تاب وزهد

وليس أدل على ذلك من أشعاره التي قالها :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثيرة * فقد علمت بأن عفوك أعظم

وإذا عدنا إلى نظرية الفن للفن التي وصف بها النقاد أعمال الكاتب الأيرلندي نجده يقول : إن كل عمل من أعمال الفن إنما هو في جوهره حدس خاص لا يتجزأ فالعمل الفني نتيجة فريدة لمزاج فريد ، ولكن إذا تخلى الشاعر عن التزامه بالأخلاق والقيم واهتم بالتصوير فقد تعارض مع الموقف الذي يسمو بالمشاعر ويرتقي بالأحاسيس فالفن سلاح الإنسان ضد الفساد والضياع وليس وسيلة للتهتك والفساد .



جورج برنارد شو

(١٨٥٦ - ١٩٥٠م)

جورج برنارد شو الساخر الطريف الذى فشل فى دراسته وأعلن أن المدارس ما هى إلا سجن كبير ، وعندما كتب نصوصا مسرحية رفض كل الناشرين قبولها حتى مديرو ومخرجو المسارح اعتبروا أن هذه الكتابات فاشلة .

ولكن شو لم تنكسر همته ولم يتراجع عن رسالته وعشقه للأدب والمسرح فظل يقرأ فى الليل ويعمل فى النهار بشركة تليفونات إديسون .

وذات يوم يراه المدير يقرأ أثناء فترة العمل فيقرر الاستغناء عن خدماته ويعود شو إلى بيته ويضحك ساخراً من واقع الحياة ويقول :

ــ لقد أصبح للقراءة عقوبة كأنها جرم كبير. ويغرق فى كتب التراث والحضارة الأوربية والأدب العالمي والفلسفة وكتب تاريخ المسرح وتحترق ذاته فى هذا العالم الجميل .

ومع مرور الأيام بدأت الأعمال المسرحية لبرنارد شو تتألق على المسرح الإنجليزى ويقبل الجمهور عليها لما فيها من نقد اجتماعي ممزوج بالطرافة والفكاهة . لقد استطاع شو أن يكون جريئًا وصادقًا مع الجمهور رغم نقده الحاد صوب المجتمع الإنجليزى الذي يخفي فساده خلف صور الوقار والتحفظ .

وقد ارتضى الجمهور هذا النقد العنيف الذي يكشف خباياه لأنه مغلف بالسخرية والفكاهة بحيث يؤثر في الناس دون أن يترك في أعماقهم إحساسًا بالغضب أو الرفض ، وتلك السخرية قائمة على دراسات اجتماعية وبحوث سياسية لأحوال وظروف الواقع بحيث أثار شو العديد من القضايا التي تنادي بحرية الإنسان وتنظيم العمل وتوزيع الثروة توزيعًا عادلاً.

فقد اعتنق شو مذهب الاشتراكية وانضم إلى إحدى الجمعيات التي تدعو إلى هذا المذهب

وأصدر مقالات كثيرة في هذا الاتجاه تضمنها كتابه « رائد المرأة الذكية في الاشتراكية والرأسمالية»

واستطاع شو أن يعرض عيوب المجتمع وسلبياته دون رموز أو مواربة وكان يقول :

ـ إذا اكتشفنا ما تعاني منه من نواقص وعيوب استطعنا أن نتجاوز الأزمات التي تسحقنا ونتغلب على مشاكلنا بكل بساطة"

وقد بث العديد من هذه الأفكار في أعماله الأدبية فهو في مسرحية « بيوت الأرامل » يؤكد أن الرجل لا يجب أن يكتفي بالتقوى والصلاح وفعل الخير وإنما لابد أن يكون ثائرًا ومسئولاً عما يحدث في المجتمع من حوله .

وفي مسرحية « الإنسان والسلاح » يقرر أن البطولة الحربية وأمجاد الحرب ليست إلا أوهامًا من صنع أهل المدن ، أما في الريف فمازال الفرد ينتمي إلى الحقول الخضراء والبساطة والسماء الشاسعة . وفي مسرحية «كنديدا » يعري حياة الواعظ الذي يدعي أنه يحب الإنسانية والمثل العليا بأنه ليس إلا مجرد ثرثار لا يجيد سوى خداع الآخرين بحديثه .

وفي « بجماليون » عن الاستاذ في علم النطق وتنغيم الكلام (الصوتيات) يلتقي ببائعة زهور مشوهة النطق فتثير في نفسه الرغبة لإصلاح لغتها فأخذت "ليزا" تتلقى دروسا منه وتتغير عادات كثيرة لديها إلى الحد الذي تفجرت في داخلها عاطفة حب تجاه البطل ولكن رجل الصوتيات يرفض حبها ويفضل أن تظل مجرد جسم عشيقة في حياته .

وبذلك يدين شو هؤلاء الذين ينادون بالقيم والفضيلة والعلم والأخلاقيات بأنها قد بنيت داخل نفوسهم على ركام من الخراب والفساد وفي حاجة إلى الإصلاح .

وفي أعمال شو صورة لهذا الانسان الذي يتميز بالبساطة والعقيدة والتسامح والثقافة العالية التي تدفعه إلى تغيير واقعه ومواكبة حضارة البشرية حيث يمكنه أن يرقى إلى مستوى يصبح فيه السوبر مان وقد تأثر في هذه النظرية بالفيلسوف نيتشه صاحب مذهب القوة .

ولذلك يقول شو :

في أعماق هذا الوجود قوة تدفع المرء إلى تحقيق المعجزات وتجاوز المستحيل كما أن هناك قوة الله تسيطر على روح الإنسان وتمنحه دائما اليقين والأمل .

وتلاحظ أن أبطال شو شخصيات تتصارع بأفكارها من أجل حياة أفضل وعالم أجمل

وتتجسد الأفكار بصورة مادية أكثر من الشخوص ذاتها ولذلك عندما كتب عن « جان دارك » القديسة الفرنسية فقد ركز على فكرة النضال والاستشهاد من أجل المبادىء والوطن .

وحين نال جائزة نوبل عام ١٩٢٥ قال :

هذا طوق النجاة الذي وصل لي وأنا على الشاطئ .

وقام بتوزيع قيمة الجائزة وهي سبعة آلاف إسترلينية على الفقراء .



أنطون تشيكوف

(١٨٦٠-١٩٠٤م)

تشيكوف الروائي الذي قرر الانتماء إلى المنبوذين في المجتمع والفقراء المعدومين والفلاحين المعذبين في شقاء الحياة وغربتها .

وقف تشيكوف ضد إرث العبودية هذا الإرث الممزوج بالكراهية والحسد والاضطهاد والفظاظة والجهل ويقول:

ـ أكره الروتين والاستبداد بكل أشكاله وأومن بالقيم الرفيعة ومقاومة الشر ونشر رسالة التنوير والنضال من أجل حرية الإنسان وإنقاذ الفقراء من الموت جوعًا وقهراً .

وكشف تناقضات الطبقات البرجوازية وإغفالها حقوق الشعب الكادح وطموحاته الشريفة ، يقول :

ـ إن تناول العشاء في فندق من الدرجة الأولى الممتازة احتفالا بذكرى إلغاء نظام العمل مقابل الطعام الذي كان يتبعه الإقطاعيون والنبلاء بينما يحوم حول موائد الطعام الخدم يقدمون لأسيادهم ، وسائقو العربات ينتظرون في الصقيع خروج هؤلاء الأسياد ، فماذا يعني ذلك ؟ يعني الكذب والتناقض والخداع أمام الروح القُدس .

ولد تشيكوف في مدينة تاجا تروغ لأب يعمل بقالاً وشديد التعصب للدين ، وأم طيبة القلب ولكنها خاضعة لتعسف واستبداد زوجها . وكان تشيكوف ينهض مع شقيقه في الفجر للعمل في دكان البقالة حتى ساعة متأخرة من الليل .

ويقول عن تلك الفترة :

ـ خلال طفولتي لم أعرف طعم الطفولة ، كنت عاملا منذ صغري مع شقيقي في محل البقالة .

وفرض والده عليه نوع من التعصب الديني خلق في داخله خوفًا ورعبًا حيث كان لابد أن يحفظ التراتيل الدينية وينال عقابًا شديدًا إذا لم يكن صوته واضحًا .

ظل تشيكوف يرقب الحياة والأحداث السياسية ويقرأ في صمت داخل غرفته والليل ساكن حوله والضوء الخافت يسري فوق صفحات الكتاب ويفكر في الأحداث التي مرت وقلوب الناس المحترقة بالألم وعذابات الموجوعين بالفقر والحرمان .

ويقول عن موقفه من الحياة :

إذا أردت أن تفهم الحياة امتنع عن تصديق ما يقال لك أو ما يكُتب بل راقب الأمور بنفسك وفكر .

درس تشيكوف كلية الطب وظل يقرأ في الآداب والفنون والتراث والدين وتعلم اللغات الأجنبيةواطلع على المسرح الفرنسي واليوناني والروسي واهتم في قصصه بالإنسان العادي وسعيه من أجل الرزق ومواجهته للظلم والتعسف ونضاله ضد الفقر والمحن والمآسي .

ونشر قصصه في المجلات والصحف وكانت تتجه في البداية إلى السخرية من الطبقات الرأسمالية والإقطاعية ، ولذلك كان رغم عشقه للطبيعة يكره الريف لأنه شاهد هناك عبودية الفلاح الخاضع مسلوب الإرادة يمنح جهده وعرقه ولاينال حقوقه إطلاقاً .

ويقول :

أحببت المدينة التي ولدت فيها وبدت في عيني جميلة ورائعة وأحببت خضرة بساتينها وهدوءها الصباحي وأصوات كنائسها ولكن الحياة في الريف الروسي كرهتها وأحتقرها بكل قواي وكم تعذبت لمشاهدة الفلاحين البؤساء في الحقول بلا حول ولا قوة .

عمل تشيكوف طبيبًا يعالج الفلاحين ويبذل جهدًا خرافيًا من أجلهم ويمزج بين مواقفه الإنسانية والإبداعية في الحياة إلى الحد الذي ساءت صحته ، ولا سيما حينما انتشر وباء الكوليرا وظل يعمل ليلاً نهارًا لإنقاذ الفلاحين وضحايا المرض .

نشر مجموعات قصصية مستوحاة من الواقع الذي عايشه وتعاطف معه وتعذب من اجله فقد قام بزيارة السجون في جزيرة ساخالين واقترب من معاناة هؤلاء المنبوذين من المجتمع وتألم للحياة البشعة التي يعيشونها وعندما عاد سجل هذه المشاهدات في روايته « جزيرة ساخالين » واستطاع توجيه عناية المسئولين إلى ما يحدث في هذه المعتقلات حتي قامت السلطة بالغاء نظام الجلد بالسوط وأنشأت مدارس وملاجئ للعجزة ودور حضانة للأطفال .

ومن سمات أدب تشيكوف البساطة والتكثيف والتعبير عن العواطف الجياشة والأزمات الساحقة والتعاطف مع الفقراء وتصوير البيئة الشعبية في صور تكشف عن أعمق المعاني الإنسانية وكذلك تحريض الإنسان المأزوم على تغيير واقعه والدفاع عن كرامته وحريته ضد عبودية الإقطاعي واستغلاله لطاقات وقدرات الإنسان .

ويقول عن دوره ككاتب :

ـ إني اصنع العسل الذي أقدمه لغيري من رحيق أجمل أزهاري التي أقطفها .

ويصف تشيكوف أسلوبه وطريقته في الكتابة وكيف تنتابه لحظة الإبداع فيقول :

ـ نهارًا وليلاً تلاحقني نفس الفكرة الملحة يجب أن اكتب يجب أن أكتب ما أنهي كتابة قصة إلا وجدت نفسي مدفوعًا فورًا إلى كتابة قصة أخرى ثم أخرى .

أكتب بدون توقف كما أن الزمن يلاحقني ولا أستطيع أن أعمل غير ذلك .. كم هي الحياة غبية ..

ويسخر تشيكوف من نفسه ويقول :

ـ طالما أكتب اشعر بالسعادة ويطلع النقاد على ما أكتب ويقولون : إنه لطيف ويملك موهبة عظيمة ولكن لا يمكن مقارنة أعماله بأعمال تولستوي وتورجنيف . . ويظل النقاد والقراء يعيدون هذا القول حتى مماتي وعندما يمرون على قبري يقولون : هنا يرقد كاتب جيد ولكن أعماله لم تكن في مستوى تورجنيف أو تولستوي .

وعرف عن تشيكوف تواضعه وأخلاقه الراقية وبساطته في التعبير عن ذاته ورؤيته العميقة لوطنه وحبه لقومه وشعبه ، يقول :

– لم تعجبني نفسي أبدًا فلاأحب نفسي ككاتب ، إني أحب هذا النهر وهذه الأشجار والسماء وأشعر بجمال الطبيعة وتثير في المشاعر العميقة والرغبة في الكتابة ولكني لست رسام مناظر طبيعية فقط فأنا مواطن يتوجب عليَّ أن أتحدث عن الشعب وعن آلامه ومستقبله .

أحب تشيكوف الممثلة ميزينوفا ولكن لم يمض معها أيامًا كثيرة فقد سئمت منه ، فقال لها :

ـ وداعًا أيتها الصديقة ورسائلك لي ليست إلا ازهارًا معطرة وليست وثائق لإدانتك ووداعًا .

تزوج أولغا الممثلة المسرحية ولكنها لم تعش معه الحياة التي تمنياها فقد كانت مضطرة أن تظل بعيدًا عنه لتقديم عروضها المسرحية ويظل تشيكوف وحيدًا في البيت يعاني المرض وآلام الوحدة ،

ويقول :

ـ ماذا حدث لي ؟ هل هو التقدم في العمر أم الكسل من العيش ؟ لا أعرف ولكن ما أعرفه هو أني لم أعد راغبًا في الحياة وليست لي رغبة في الموت .

ويظل تشيكوف وحده حائراً يكتب رسائل إلى زوجته الغائبة ويتمنى أن تأتي وتشاركه لحظاته. فيظل يقرأ ثم يكتب ويذهب إلى المسرح وعندما يعود تعانقه الجدران والفراغ والليل المخيف .

فيقول لها :

إني أشعر بالملل القاتل لا أتناول

سوى الحساء وأمضى أوقاتي مسجونًا

داخل المنزل .

لقد بدأ المال يشح لدىّ وشعر لحيتي

يبيض

وأصبح تشيكوف يعاني من حالة عبثية فلا جدوى من كلماته أو كتاباته حيث استبدت به الأحزان ونهشته آلام الغربة والعزلة فيقول :

أحبك يا حبيبتى

احبك كثيرًا ليحرسك الله

اكتبى لى كل يوم

أحس بالفراغ العميق

وأنت بعيدة عني

وبدأت صحته تتدهور . .

وهو مازال وحيداً ويفكر فى رحلة حياته وصراعه مع وباء الكوليرا من أجل إنقاذ الفلاحين وتحديه للسلطات الإقطاعية ودعوته إلى الحرية ومقاومته العبودية .. والمسرح الذى نعاد عليه مسرحياته وتدوم إلى شهور كثيرة .. واسمه الذي يملأ الصحف ووسائل الإعلام وشهرته الكبيرة .

ورغم ذلك يعيش وحيداً بلا رفاق .. بلا زوجة ويقول لزوجته :

إننا نرتكب خطيئة كبيرة

لأننا لا نعيش سويًا

أرى كم أحسدك يا حبيبتي

أحسد نشاطك

وحيويتك وصحتك وسعادتك

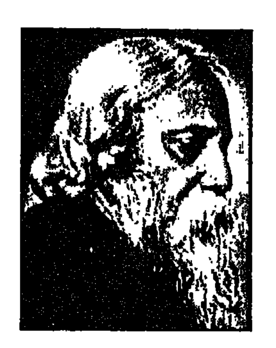
ولم يستطع تشيكوف أن يظل صامداً في الفراغ والوحدة والكآبة تفاقمت أمراضه. .

وسافر إلى برلين للعلاج وكتب إلى زوجته قبل السفر يقول :

إذا عُدت إليكِ فلا تتركيني

وحيداً

وفي برلين أسلم الروح . . ونقل جثمانه إلى موسكو . . ليدفن في الأرض التي ولد بها وظل يدافع فوقها عن الحب والخير والعدل والإنسان . . .



رابندرانات طاغور

(١٨٦١ - ١٩٤١م)

طاغور روح جامحة تألقت تحت الأنداء في الصباح . . روح سمت إلى سماء الحب وتحولت إلى غيمة واعدة بالمطر ، حتى تدفقت شلالاً من الخصوبة والنماء . . وراحت تغني للحب والربيع وتعيد خلق الفرحة للأطفال وعودة احتفالية الميلاد للأرض . . طاغور قلب الشرق المعذب بأوجاع البشر . .

إن طاغور رنين الألم في فضاء العشق ، وانفجار الحنين والتعاطف في رحلة النور إلى ظلمات العالم ، يمضي طاغور في أحضان الطبيعة ، يطلع الياسمين من مزارع القلب ، ويواجه الشمس الحانية ويرقص في إشعاعها الدائم وتوهجها الذي لا ينطفئ ويقول في أشعاره:

آه لهذا الياسمين .. هذا الياسمين الأبيض .. احسبني ما أزال أذكر اليوم الأول الذي ملأت فيه ذراعي.. لهذا الياسمين الأبيض .. لهذا الياسمين الأبيض .. لقد شغفت بنور الشمس .. بالسماء .. بالأرض الخضراء .. لقد تناهى إلى سمعي .. الخرير الناعم من النهر المترقرق .. وظلمة منتصف الليل .. لقد سعى الخريف وغروب الشمس إلى لقائي عند منعطف الطريق في العزلة المنزوية .. كعروس تحسر عن خمارها لتستقبل حبيبها ..

في مولده استقبلته حياة ناعمة ، دافئة بالحنان تضج بالموسيقى ، وتفوح في أرجائها رائحة الورد والياسمين . ولد هذا الفنان في عائلة ثرية تحب الثقافة والفن ، فهذا جد طاغور أمير من الأمراء ترتبط تجارته مع كبار التجار في الهند أيام شركة الهند الشرقية ويعيش هذا الجد في قصره الكبير يقضي معظم وقته في الاطلاع على كتب التراث والإسهام في الحياة الفكرية ومساندة حركات الإصلاح الديني .

أما عن والد طاغور فقد كان يلقب بالمهاريش أي القديس العظيم فقد التزم جانبًا دينيًا في حياته واتبع حياة فاضلة تميزت بالسمو الروحي والعبادة حيث يرحل بعيدًا في الطبيعة يخلو إلى ذاته يناجي ربه ويهرب من حياة الترف و الصخب ويتحول إلى شخص عادي لم تفسد روحه

المادة أو تسيطر على كيانه واتجاهاته الثروة التي حوله .

ويصحو الأب في الصباح يتلو أناشيده الدينية بصوته الهادئ العذب ، وظلت هذه الصورة عالقة في ذاكرة طاغور حيث تأثر بالاتجاه الصوفي الذي اتبعه والده . وظهر هذا الاتجاه فيما بعد في قصائده وأعماله المسرحية وكتاباته النثرية فيقول عن النور :

النور .. آه النور .. أين النور .. ليمتلئ النور حياة .. من نار الرغبة المتأججة .. الرعد ينهزم .. والريح تهب عبر المدى مزمجرة .. والليل داج كالحجر الأسود .. لا تدع الساعات تمر في الظلمة.. وأشعل مصباح الحب من قبس حياتك .

تشرب طاغور ثقافة والده الدينية والفكرية إلى جانب عشقه للموسيقى والغناء وتذوقه للفنون. وحينما ولدطاغور سماه والده بهذا الاسم : رابندرا ومعناها الشمس المشرقة أي أن الطفل سيكون هو النور القادم من أعماقه لينتشر على العالم الخارجي ، ويسفح الظلام ، ويقيم النهار عرائسه تحت الشمس فيقول :

أشعر بأن النجوم كلها تتلألأ في كياني .. إن الكون يجيش في حياتي كأنه السيل .. إن الزهور تتنور في كياني .. إن شباب الأرض والماء والنماء يسمو في قلبي .. كأنه بخور المجامر .. ولهاث الوجود يتردد في فكرى .. كما يتردد في ثقوب الناى .

أما عن أسرته إخوته ، فهو الابن الرابع عشر والأخير في الأسرة ، وهذه المكانة جعلته دائمًا في رعاية وحب وعطف الآخرين ،فمرت أيام حياته وادعة جميلة يجد كل مايشتهيه وما يحبه ويشارك أفراد الأسرة في هواياتهم الفنية فقد كانوا يدعون الفرق المسرحية لتقيم حفلات داخل القصر الكبير ، بل إن أفراد الأسرة أحيانا يشتركون معا في تقديم بعض العروض التي اشترك فيها طاغور وبدأت مواهبه الفنية تتألق نحو الموسيقى والشعر والمسرح . وتعلم طاغور من أخيه العزف على البيانو وسكنت روحه نغمات ساحرة لم تخرج إلا في قصائده وفنه. ويقول عن الموسيقى :

« الموسيقى هى أنقى أشكال الفن وهى أقرب تعبير عن الجمال ، وإننا لنشعر أن إفصاح اللانهاية في الأشكال المحدودة من الخلق هو الموسيقى نفسها تنساب صامته طاهرة ، إن السماء الداجية التي تحصى النجوم دون وني ، شبيهة بطفل مشدوه بكلماته الأولى المبهمة يظل يردد لفظة وواحدة ويصغي إليه بفرحة لا تنضب » .

احتضن طاغور الطبيعة منذ طفولته ، إنه فنان الحقول والمزارع، وليد الألوان والسحب

والياسمين .. صديق الأطيار ،فقد ذهب مع والده إلى قرية اشتراها وهو في الثانية عشرة من عمره للعزلة والعبادة وهذه القرية سماها الأب : دار السلام ، وأمضى هناك فترة طويلة من طفولته ، يصحو مبكرا ويخرج ليعانق الحقول الخضراء ويترنم بإحدى الأغنيات ، ومعه بعض الكتب أو القصائد الهندية القديمة .

وفي تلك الفترة قرأ للشاعر الهندي القديم «كاليداسا » بعض قصائده وتأثر كثيراً بما وصفه الشاعر من صور القرية والمطر والرعود والبرق . ولاشك أن هذه الفترة في أحضان الطبيعة ساهمت في شاعريته كفنان ، وفي تكوينه الفكري كإنسان ، فاقترب بحب من عالم الطبيعة ، وتعاطف مع الحيوانات البرية ، ولذلك حين خرج ذات مرة مع أخيه للصيد وشاهد النمر يسقط مضرجًا في دمائه ، أصابه الدوار واختنق بالدموع ورفض أن يخرج مرة أخرى للصيد وتوسل إلى أخيه أن يتوقف عن صيد الحيوانات إلى الأبد .

وهناك موقف آخر يعبر عن حبه ورحمته للناس ، وذلك عندما أمسك الحراس في القصر بأحد اللصوص ، شعر بالرأفة والعطف تجاه اللص المسكين ودعاه إلى تناول الطعام ومنحه بعض المال وأطلق سراحه دون أن يسلمه للشرطة . إن هذه النزعة الإنسانية التي تسكن حياته وكيانه هي التي جعلت من طاغور ، فيلسوفًا ، وأديبًا وشاعراً وصوفيًا يهدي الحب للناس ويمسح الدموع عن المعذبين ويخفي في صدره فرحة البراءة والخير والسلام ويقول

قالت لي الغمامة : سأمحي .. وقال الليل : سأغيب في الفجر المضطرم .. وقال الألم : سألوذ بصمت عميق كآثار خطاه .. وأجابت حياتي : سأموت وأنا في منتهى الكمال .. وقالت الأرض : إن أنواري تلثم أفكارك .. في كل لحظة .. وقال الحب : وتمضي الأيام ولكني أنتظر.. وقال الموت: سأقود زورق حياتك عبر البحر.

وأحب طاغور أمه حبًا شديداً ، فكان الوحيد دون أخوته الذي يسمح له بالجلوس في غرفة الحريم حيث تجتمع نساء الأسرة حول الأم ، وكلهن يعطفن عليه ، ويرى ذاته في عيون أمه التي أثرت في تكوينه النفسي ، فالحنان الذي ذاق حلاوته من قلبها ، والرحمة التي أولته إياها ، واهتمامها البالغ به ، يجعله يسبح في بحر من الطمأنينة والأمان ويتأمل كل من حوله في دهشة وإعجاب ، ويؤمن بأن هذا الحب النابع من أمه هو هدية من الله ونور يشع من جوانب [illegible] ليخرج بعد ذلك إلى الناس في صلوات حب وشوق وجمال .

ويجلس ساعات طويلة بجوار أمه ، حبه الكبير يقص عليها القصص التي قرأها أو [illegible]

بعض قصائده التي كتبها ، وتفرح الأم وتشجعه وتبث في روحه الأمل والثقة والإيمان بذاته وبقدرة الله ، وعندما رحلت أمه عنه ، تلقى صدمة كبيرة وهو مازال في الرابعة عشرة من عمره .. تملكته الوحشة وقهرته الغربة .. وطعنته الآلام واحتشدت في عيونه الدموع التي لا تجف .. ويقول:

« لقد حرمني القدر أمي وأنا بعد فتى صغير ، فأصبحت وحيداً ، ألوذ بنافذتي ، وأتأمل الطبيعة ، وارتسم في مخيلتي ما يترقرق في الكون من صور شتى .. لقد كانت الطبيعة هي رفيقتي التي وجدتها بجواري دائمًا »

ولم يجد طاغور سوى الطبيعة يهيم في أرجائها .. يغني بين أشجارها .. ويتأمل ألوانها لعل هذا السكون العذب يشفي آلامه و أحزانه .

والتحق بالكلية وتعمق في دراسة الآداب الأجنبية وترجم بعض مسرحيات شكسبير إلى اللغة البنغالية وبعض الآداب القديمة ، وكتب أول قصيدة طويلة بعنوان « قصة شاعر » وطبعت في كتاب مستقل ، وقام أخوه بإصدار مجلة ثقافية ، فكتب فيها طاغور مقالات عن دانتي وبتراك وجوته . وأول مسرحية كتبها كانت بعنوان « رودا شاندا » . ثم سافر إلى إنجلترا والتحق هناك بإحدى المعاهد الدراسية ثم الجامعة واطلع علي الأدب الإنجليزي والموسيقي الغربية وكتب هناك مسرحية « القلب الكسير » .

وكان الهدف من ذهابه إلى إنجلترا في أول الأمر دراسة القانون ولكن الآداب الأجنبية والفنون سيطرت علي حواسه وأفكاره فقرر أن يدرسها ويتعمق في علومها فتلاقت في فكره ثقافة الغرب والشرق ، وفي تلك الفترة كتب ديوانه الثاني « أغاني المساء » ثم ديوان « أغاني الصباح » وعرفه الناس في كل مكان بشاعر الهند طاغور .

ويعتبر ديوان "أغاني المساء" هو الذي ألصق اسم طاغور في سماء الشعر وعرفه العالم وقد حدث أن حضر طاغور زفاف أحد أصدقائه وكان من بين المدعوين الأديب المشهور « بانكيم شاندرا » يطوق عنق العريس بالزهور ، فاعتذر الأديب [illegible] طاغور وطوق عنقه بعنقود الورد ، وقال للحضور : [illegible] إن هذا الشاعر الأحق [illegible] أغاني المساء . ويقول طاغور عن هذا الديوان :

« إن هذه القصائد التي [illegible] أغاني المساء [illegible] الأولى أكتب ما أحبه [illegible] »

ويمضي طاغور في رحلة الحياة ، فيتزوج فتاة عاشت معه حياة سعيدة ولكن الموت اختطفها وتركت له ثلاثة أطفال ، وكأن الموت يطارده في حياته ، فرحل أبوه ثم ابنه وابنته ، وهذه المآسي فجرت الجروح التي لا يشفي منها أو يبرأ ، وكتب قصائد عن الموت يعلن فيها رحيله عن هذا العالم في صمت فيقول :

آه .. أنت .. يا منتهى حياتي الأسمى .. أيها الموت .. يا موتي تعال واهمس في أذني .. يوما بعد يوم سهرت في انتظارك .. من أجلك تذوقت هناءة الحياة .. عانيت عذابها ..

ويخاطب المرأة التي وهبته الحب والبهجة في كلمات حنونة تحمل أحاسيس قلبه الرقيقة وأحزانه الدفينه . فالحب تتجلى صورته في أروع تساميها ومعانيها ، حب يمتزج بالطبيعة ويظل خالدًا لا يفنى .. لحظة الفناء والانتهاء لاتطيح بالمشاعر العذبة الحانية بل تؤجج ما في حشاها من أنغام ونبضات إنسان يحمل رسالة إلى البشرية .. رسالة قوامها المحبة وغايتها التسامي عن الحياة العادية :

يا رفيقتي .. لاتحتفظي لنفسك بسر قلبك .. أفضي به إليّ .. إليّ وحدي خفية .. أنت يامن تبتسمين في رقة .. اهمسي لي بسرك .. في لين فإن قلبي وحده لا أذني هو الذي سيسمعك .. الليل عميق والدار صامتة .. وأعشاش العصافير مسربلة بالنعاس .. اذكرى لي من خلال عبراتك المترددة .. من خلال بسماتك المضطربة .. من خلال خجلك العذب وأساك .. اذكرى لي سر قلبك ..

ولم يكن طاغور شاعرًا أو أديبًا فقط ، بل كان صورة شاملة للفنان الذي احتوى الحياة وصعد إلى القمم العالية يبحث عن المطلق واليقين الروحي .. تنازعت روحه أنغام روحانية ، وأرهف قلبه إلى صوت الريح وضحكات الشجر ودموع الياسمين .. فشاهد ما وراء الحياة .. وما تحجبه الظواهر العادية عن الإنسان من شفافية ، وتطلع إلى وجود ناءٍ لايلمس معالمه سوى الروح المسكونة بعشق الخير والسلام والجمال .

كانت مرحلة « النيرفانا » هى الخلاص الروحي لدى طاغور ، فقد اكتشف عالم ذاته .. والتمس في أجواء "النيرفانا" مرحلة صوفية حالمة تجسد الصفاء والنقاء في عالم الواقع ، وتمحو الخطاياوتطهر الأرض من الفساد . ومرحلة النيرفانا تعني الحب والسكينة ورحلة التأمل والزهد في الحياة ، ورفض عالم الواقع بما فيه من زيف وضياع ، وإيثار حياة العزلة والعبادة ورضاالنفس بالاقتراب من الله والتمتع بنوره الذي يملأ الروح ، ويقول محمود تيمور عن روحانية طاغور:

« لا أعرف لأحد بين أدباء الشرق والعالم من الروحانية ما أعرف لأديب الشرق الأكبر طاغور إنه

عبـقرى فـنان .. تضلع من الزاد العربي في فـروع الثـقافـة وأنماط الأدب ولكنه احتـفظ بجوهره الشـرقي وطابعه الروحي حتى كاد بعبقريته يختص بفن من الأدب وحده فن استشفاف الغيبية التي تشرق للوجدان من جانب السماء...

ولقد نال طاغور جائزة نوبل في الأدب عام ١٩١٤ وقال عنه الزعيم الروحي غاندي :

إن طاغور هو منارة الهند ولعله أن يكون منارة الشرق كله ومنارة تبذل نور المحـبة وتعيد إلى الإنسان المشرد في متاهات المادية أحلامه واستقراره .. تعيد الأمل والإيمان والسلام والثقة بمستقبل أفضل .

ويرحل طاغور إلى عالم الأبدية .. ويتـرك رسالة إلى القارئ الذي يقرأه بعد مائة عـام فيقول له:

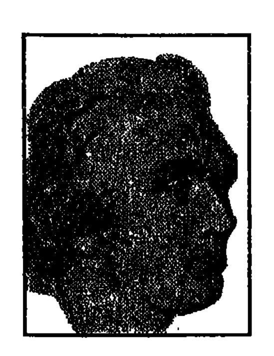
من أنت أيهـا القارئ .. أنت الذي سـوف تقـرؤني بعد مـائة عام .. ليـس في إمكاني أن أبعث إليك بزهرة واحدة .. مـن الإكليل الربيعي ولا بشـعاع مذهب واحـد من تلك السحب هنـاك .. افتح الأبواب وتأمل في المدى القصير ، واجن من حديقتك الزاهرة الذكريات العاطرة من الزهر منذ مائة عام فقد يكون في ميسـورك أن تشعر والسرور يملأ عطفيك بـالفرحة الحية التي تغنت ذات صـباح ربيعي ساكبـة صوتها الهنيء عبر مائة عام .

ورحل طاغور ومازلنا نعيش تجربة الحب معه ، وتجـربة نضاله ضد الظلام والتعاطف مع الحياة والطبيعة والكائنات ، والانطلاق إلى العلياء ، وهاهو ذا صوت طاغور يتردد في الفضاء :

أزف الرحيل .. فتمـنوا لي يا رفاقي حظًا طيبًا .. إن السماء مـخضبة بحمرة الفجـر .. لا تسألني ماذا سأحمل معي .. سأبدأ رحلتي ...

إشارة :

النصوص الشعرية من ترجمة د. بديع حقي في كتابه « قمم عالية » طبعة دمشق سوريا . وتعد من أروع التراجم لشعر طاغور .



فابريل دانونزيو

(١٨٦٣ - ١٩٣٨م)

ولد هذا الشاعر في مدينة بيسكارا ونشر أول ديوان له عام ١٨٧٩ . بعد انتهائه من دراسته الثانوية انتقل إلى روما لدراسة الحقوق ، ثم تزوج من الدوقة ماريا هاردوين بعد أن ظل يحبها واضطر أن يهرب بها ويتزوجها.

نشر في تلك الفترة بعض القصائد بعنوان : "مراثي رومانسية" . وتعرف على الفيلسوف نيتشه، وعشق امرأة اخرى عام ١٨٩٧ هي الممثلة الشهيرة اليونورادوسي وأوحت له بكتابة أعمال مسرحية والاهتمام بالقضايا السياسية وانضم إلى الحزب اليميني المتطرف .

سافر إلى باريس عام ١٩١٠ بعد معارك سياسية مع أتباعه وتعرف هناك على الحركات الأوربية والشعراء والأدباء والفنانين .

في عام ١٩١٤ إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى يعود إلى إيطاليا ويشارك في سلاح الطيران ويفقد عينه اليمنى أثناء حادث للطائرة الحربية التي كان فيها .

بعد الحرب عام ١٩٢٢ يجلس في منزله الريفي بالبندقية على ضفاف بحيرة غاردا ، ويبدأ في إعادة طبع أعماله .

يمنحه موسوليني عام ١٩٢٤ لقب أمير ويعينه رئيسًا للمجمع الإيطالي للغة .

ومن أجمل قصائده يقول :

ينبثق الفجر من روابي ذاتي

وهو يتأملني في علوية بابتسامة ثلجية

بينما الغلال المتراكمة فوق الحقول

يعانق بعضها بعضا على نغم النسيم الخفيف

تلامس وجهي أشذاء أنيقة من حديقتي الصغيرة

وقرع النواقيس الصباحية

يرن من بعيدقادما من أعالي الكنيسة العتيقة

أسراب من قبرات مهاجرة

بألحانها الفرحة الجذلى المفعمة بالغرام

تحييني هاربة من أوراق أيكة

وأنا أفكر في الفن وفي شبابي اليانع

وإزار أمي وجديلتين شقراوين

والأمل يتراقص في قلبي بلذة وحبور

وقد اهتم الشاعر نزيو بعالم الطفولة ذاته المرتدة إلى عـصر البراءة وظل يسترجع أحلام الماضي الجميل ويمزج البراءة بالرقة والشفافية لتتشكل صورة جديدة للحياة والحلم و المرأة .



وليم بطلر ييتس

(١٨٦٥ - ١٩٣٩م)

أحد رواد الأدب الحديث في أيرلندا مع سوينبرن وجيمي تومسون وفرنسيس تومبسون وغيرهم من هؤلاء الشعراء الذين عشقوا موطنهم الأصلي أيرلندا وتغنوا بسهوله ومزارعه ووديانه ومراعيه الخصبة حيث السواقي التي تحيط بها النباتات الخضراء والأزهار والعشب الناضج تحت ضوء النهار .

ولذلك اشتهرت قصيدته « جزيرة إينسفري » التي يتغنى فيها بذكريات الطفولة وأحلام الماضي الجميل والحنين إلى موطنه الساكن في أحضان الطبيعة ويقول :

سأنهض الآن وأذهب إلى إينسفري

وهناك أبني كوخًا صغيرًا من الطين والأغصان

وسيكون عندي حقول وخلية نحل

وأعيش وحيدًا بين الأشجار التي يغمرها طنين النحل

وسوف أنعم بالهدوء هناك حيث تقطر السكينة

قرأ ييتسن في التاريخ والتصوف والفلسفة وقام برحلات عديدة إلى أمريكاوفرنسا وأسبانيا وظل طيلة عمره يشعر بالحنين الدائم إلى أيرلندا فكتب عدة مسرحيات تاريخية تُشيد بأمجاد ماضي أيرلندا وتوقظ الشعور بالفخر والزهو لأبطالها الذين دافعوا عن أرضها واستشهدوا من أجل تقدمها وحريتها . ومن هذه المسرحيات : (الكونتس كاثلين) عن الفلاحة الأيرلندية ، وفي مسرحية (شاطئ بيل) عن بطل أيرلندا الذي لايُهزم أبدا وفي مسرحية (دايدر) فهي مستمدة من أساطير أيرلندا الشعبية .

عاش ييتس تجربة حب فاشلة ولكنها حافلة بالعطاء الفكرى والتألق الوجداني الإبداعي ، فقد أحب امرأة اسمها : مود جون تهتم بالسياسة والفكر وتدافع عن حقوق أيرلندا بعنف وشدة . ورفضت الزواج منه وظل يحبها حوالي ثلاثة عشر عامًا حتى تزوجت من رجل آخر . وبعد مرور سنوات كثيرة حاول ييتسن أن يتزوج ابنتها الشابة ولكن الفتاة رفضت . واضطر أن يتزوج من إمرأة أخرى ، وارتبط مع مود جون بصداقة نقيةوعلاقة أدبية وفكرية ألهمته قصائد حزينة تقطر يأسًا وتعبر عن فشله في الحب فيقول في إحدى قصائده :

لاتعشق طويلاًياحبيبي

فأنا قد عشقت طويلاً طويلاً حتى صرت مهملاً

كأغنية قديمة

وفي قصيدة أخرى يرثي ذاته وحبه الضائع ويبكي على تلك السنوات التي مضت من عمره هباء فقد ظل على علاقة بهذه المرأة أكثر من ثلاثون عامًا حتى انتابه المرض وأصابته الشيخوخة ، وجلس يتأمل حياته فإذا هى سراب في سراب ، يقول :

لا تمنح القلب كله

لأن الغواني يجدن الحب غير جدير بالاحتفال أبدًا

إنهن لا يتخيلن أن الحب يذوي مع السنوات

إن كل ما هو جميل ليس إلا لحظة عابرة

آه لا تمنح القلب مرة واحدة

ورغم أن ييتس انشغل فى الحياة السياسية والأدبية وإصدار الكتب النقدية والدواوين الشعرية إلا إنه ظل يعشق محبوبته ، وقيل له : إنها الآن إمرأة عجوز وخط الشيب شعرها و لابد أن تنساها، فيقول في قصيدته:

القلب يصرخ لا

ليس عندي فتات من السلوى ولا حتى ذرة منها

فبإستطاعة الزمن أن يخلق جمالها مرة أخرى

ومن نبلها العظيم تتوهج النار المندلعة حولها

كلما تحركت وهى أشد تألقًا

وهب بيتش حياته للأدب والمسرح والدفاع عن قضايا الشعب ، والإيمان بحرية الأديب ودور الإنسان لتحقيق سمو في العلاقات والقيم الإنسانية .

وفي نهاية حياته سيطرت عليه فكرة روحية بالتصوف ونبذ هذا العالم والبحث عن حلم مازال في ذاكرته ووجدانه ، يقول :

ـــ ليس العار أن تصيبك الشيخوخة بل العار أن تفقد إيمانك بالحب والحياة .

وفي ليلة كان يتأمل الأشجار عبر نافذته شعر أنه يود أن ينهض ويحلق مثل الطيور وسقط على الفراش وروحه تحلق بعيداً .



روديار كبلينج

(١٨٦٥ - ١٩٣٥ م)

شاعر غنائي ، وروائي شعبي وهب حياته وأدبه للتغني بأمجاد بريطانيا العظمى وسيادتها على البحار وسيطرتها على البلاد النامية . ويرى كبلينج أن السلالة الإنجليزية تتميز بالبطولة والشجاعة وأنها خُلقت لتقود الشعوب الأخرى وتعلمها وتثقفها وتنشر في أرضها الحضارة والنظم العسكرية والقوانين الأخلاقية والدينية . وعبر عن هذه الأفكار في مؤلفاته : البحار السبعة ، الأمم الخمس .

وأصبح كبلينج – الذي ولد في بومباي إحدى المستعمرات الإنجليزية – داعيا إلى أهمية غزوات إنجلترا للشعوب الأخرى من أجل الحق و العدالة و الحضارة . ودعا في مقالاته إلى تميز القادة الإنجليز بالحكمة والدقة والذكاء والحذر من الاندفاع وراء المجد والقوة في تطرف يؤدي بهم إلى الكبر والغرور واحتقار الشعوب الفقيرة والأجناس البشرية .

كما يعتقد كبلينج أن الشعوب يوجد بها الجنس القوي والضعيف ولا بد لهذا القوي أن ينتصر ويتفوق ويقود الآخرين المنهزمين إلى حياة أخرى أكثر تقدمًا من تلك التي يعيشون في ظلالها بائسين منكسرين . وأطلق صيحته الشهيرة: "إن الشرق شرق و الغرب غرب ولن يلتقيا"

وفاضت قصصه وأشعاره بحبه العميق لتاريخ إنجلترا وفتوحاتها الإستعمارية ونضالها في العالم وإخضاعها للبلاد وسيطرتها على الجزر والواتر وبلاد الشرق . و إن إنجلترا هي الشعب المختار الذي [illegible] الحق ويناصر المظلوم [illegible] والعدل والسلام .

و[illegible] في قصصه بلاد الهند [illegible] الإنجازات والمخترعات العلمية مثل الآلة البخارية [illegible] في الغابات [illegible]

في قصصه أيضا نلمح قدراً كبيراً من تجاربه الشخصية ورحلاته في أوروبا والهند وعشقه العميق لأمجاد وتاريخ وطنه إنجلترا ودعوته إلى الغزوات الاستعمارية لتنشر الحرية والنور . ومن هذه الروايات : الضوء الخافت ، كم ، ومجموعة من القصص القصيرة التي برع في نسجها .

أما في أشعاره فقد تميز بحس رفيع ونغمة موسيقية حالمة مع اتجاه إلى الأغاني الشعبية التي تُمجد مآثر الأبطال الإنجليز والقادة والفاتحين .

ويقول في إحدى قصائده :

إذا استطعت أن تحلم ولم تجعل الحلم سيداً عليك

إذا استطعت أن تفكر

ولم تجعل الأفكار هدفـاً

إذا استطعت أن تعالج بالنصر و الانكسار

أؤلئك الاشرار

إذا استطعت أن تسمع وتتحمل الحقيقة

التي جهرتها

والتي يستعملها الأوغاد مصيدة للأغبياء

أو شاهدت أشياءك في قبضة الحياة تسحقها ...

ثم بصبر واقتناع تعيد بناءها بما لديك من أدوات بالية .

وفي نهاية حياته انكسرت ذاته وانطفأوهج إبداعها عندما بدأت إنجلترا ترحل عن مستعمراتها وتقام الثورات ضدها وتلاشت تلك النعرة الاستعمارية وتطلعت الشعوب إلى الحرية والكرامة .. خفت صوت كبلينج ثم ظهر شعراء آخرون كشفوا عيوب إنجلترا ونقدوا الأنظمة الفاسدة والشعارات الزائفة فانطوى كبلينج وحيداً يتأمل حياته وأمجاد بلاده التي طواها النهار الجديد . .



هربرت جورج ويلز

(١٨٦٦ - ١٩٤٦م)

ويلز الأديب الذي أدهش العالم وشغل الأدب بأفكاره العلمية حيث تخيل فيها أرضًا بلا جريمة وبشرًا بلا مشاكل وحياة انتشرت فيها المعارف وبسط العلم نفوذه في كل مكان ليواجه الفقر و الجوع والمرض وترتقي الشعوب وتقرأ موسوعات علمية في مختلف لغات العالم وتحيا في نور وحب وسلام .

وقد تأثر بانتشار النظريات العلمية الجديدة والرغبة الصحيحة في اكتشاف حقائق عن الكواكب الأخرى ، والإبحار إلى مدن جديدة والإيمان بوحدة الشعوب فوق الأرض .

اتجه إلى أدب الخيال العلمى ليبث أفكاره ونضاله لبناء مجتمع آخر قائم على حرية البحث العلمى وتحويله إلى سعادة البشر ولذلك لم يسلم المجتمع الإنجليزي من نقده الحاد فى السياسة والفنون وتحليل أسباب التدهور الاقتصادي والقضايا التي يعانى منها الناس ، فكان يطرح الحلول ويقدم الأفكار ويركز على المستقبل ويحلم بعقول مستنيرة قادرة على الحب واستغلال طاقتها فى البناء و الإبداع وتحقيق الأحلام المستحيلة .

واهتم بأدب الخيال العلمي ليحقق هذه الأفكار فكانت روايته « آلة الزمن » من أروع ما كتب حيث يمكن للإنسان أن يكسر حاجز الزمن ويسافر من الماضي إلى المستقبل ويشاهد عالمًا مدهشًا وغريبًا ثم يعود إلى عصره مرة أخرى .

وفي رواية « الرجل الخفي » يصبح للعلم قدرة فائقة على تحويل جسم الفرد إلى مادة شفافة ومن هنايمكنه تحقيق نتائج خطيرة في بناء علاقات اجتماعية خالية من العنف والكراهية ومواجهة مشاكل الحروب والدمار وكتب أيضا رواية «طعام الآلهة » و «حرب الكواكب » وغيرهما ليؤكد إننا قادرون على التعاطف والتوحد فكريًا ونفسيًا كشعوب حرة لتحويل أرضنا إلى جنة خضراء .
دعا ويلز أيضًا في كتبه إلى الوحدة العالمية وعبر عن ذلك في مؤلفاته : موجز التاريخ ، عمل

الإنسان ، وأوضح أنه ليست هناك قيود تحد من إبداع الشعوب ، وأن نظام الطبقات والعبودية في إنجلترا يعد عقبة في طريق التقدم وستظل الانظمة السياسية بحاجة إلى الإصلاح مادامت تهدف إلى مصلحة الطبقات الرأسمالية وليست لفئات الشعب ومشاكله .

وآمن بالاشتراكية وانضم عضواً في « الجمعية الفابية الاشتراكية » ونشر مجموعة من الكتب تدعو إلى ذلك منها : الاشتراكية والزواج ، الآمال ، المدينة الفاضلة ، عالم جديد ، الإنسانية في دور التكوين .

عاش ويلز في طفولته حياة تعسةفقد اشتغل عاملاً في أحد المحلات التجارية وكان يقرأ في الآداب وقرر أن يستمر في مواجهة إحباطات حياته وظل يدرس حتى التحق بكلية العلوم في جامعة لندن ، وعمل مدرسا وتتلمذ على يد الأديب أولدس هكسلي وأخذ عنه دروسًا في علم الحياة . ووصف في كتاباته بعضًا من طفولته المعذبة وحرمانه ، لذلك كان دقيقًا في تصوير حياة الفقراء وأحاسيس المعذبين وهؤلاء الذين يتألمون في صمت ويذرفون الدموع تحت ستائر الليل الحزين .

وفي رواية «تاريخ السيد نابولي » تجسدت هذه القدرة الفائقة في التعبير عن كفاح الفقراء ضد المرض والقهر وآلامهم في الحياة وجراحهم من أجل رغيف الخبز. ونشأ ويلز في غرفة تحت الأرض لها نافذة تطل على الشارع ، فكان يرى أحذية المارة وظلت هذه المشاهد في ذاكرته حتى كتب قصة اسمها «تعس الأحذية » .

وفي فترة متأخرة من حياته بدأت صحته تتدهور وتزوج من ماري ابنة عمه ، وفشل زواجهما مما أدى إلى تفاقم آلامه وعذابات نفسه ووجدانه ، وأحب فتاة أعجبت بأدبه وعندما رغبت أن تتزوجه قال لها :

ـ احذري لن تكوني زوجة فحسب بل ستكونين ممرضة أيضًا .



مكسيم جوركي

(١٨٦٨ - ١٩٣٦م)

مكسيم جوركي ولد يتيمًا ، ضائعًا . مهملاً . لا عيون تطويه في رفق ، أو يداً ناعمة تلمسه في رقة . إنهاحياة شاقة ، جافة تتنازعها الغربة ، والفرقة ، و الشقاق وهذه المرارة هى التي أوحت له باسم « جوركي » الذي يعني شدة المرارة .

إن الآلام التي صهرت حياته لاشك فجرت في داخله سحر الكتابة ، ورسم الصور بالحروف ، وكشف قضايا المجتمع الذي يعاني الفقر ، والتصدع والسقوط . احتوت قصصه القصيرة على شخوص لا حول لهم ولا قوة في الحياة ، تبحث عن رزقها ، الأشواك تنغرس في القلب ، والأسى يطل من العيون ، ولكنه لايترك هذه الشخوص منهارة ، إنه يضيء لها الطريق ، طريق الثورة على مجتمع القياصرة والعبودية والاستغلال . وهذا كان إيمانه وهدفه الكبير .

تُعتبر روايته « الأم » من أعظم روايات الثورة التي دعا إليها مكسيم جوركي . وفي هذه الرواية صورة دقيقة الملامح للمرأة الريفية في روسيا، هذه المرأة الفقيرة التي تحيا في بؤس وانكسار فزوجها سكير عربيد ، أو متوحش القلب ، قاسي الطباع ، حاد اللسان ، لا تعرف الرحمة احاسيسه ، وتسكنه الخشونة و الفظاظة ، يضربها بشدة ويحرمها من كل شيء إلى أن يموت الرجل ويرحل عنها فتهب حياتها لوحيدها ابنها « بولس » .

تعيش مع ابنهاالشاب المثقف ، المحب للاطلاع والقراءة وحجرته مكتظة بالكتب في مختلف العلوم والفنون ، وتتأمل الأم ابنهاوتتابعه وتنصت إليه وهو يناقش أصدقائه في البيت حين يجتمع بهم ، وتقرأ ما يكتبه : تلك منشورات توزع على الناس في الشوارع سرًا ، إنه ثائر دائما ،وهي تحبه ، تدعو له أن يحفظه الله لها ، إنه أملها الأخير ، وحلمها في الحياة .

ومع مرور الأيام . . بدأت الأم تفهم السر الذي يسعي وراءه وحيدها . . إنه أحد ابطال رجال المقاومة السرية ، يساعد الفقراء ويتحدث بصوتهم وينطلق في الليل من أجلهم ، إنها تخاف عليه

ماذا يريد ؟ الحرية ؟ الحرية من الذل والفقر ، والظلم الذي ساد الأرض ، ولكن فجأة ، يتم القبض علي وحيدها وجماعته ، ولكن الأم لا تتوقف عن ممارسة الدور النضالي الذي بدأه وحيدها بولس ، إنها تطبع المنشورات ، توزعها في الليل ، وتخرج لتساعد الفقراء حتى يأتي يوم تُساق فيه إلى السجن . ويركلها الشرطي بالأقدام ، وتُضرب بالنعال السوداء الثقيلة ، وتذوق الموت ، والأصفاد حول يديها وعنقها وأقدامها ، ويقرأ الناس عنها في كل مكان لتصبح رمزًا للثورة ، الثورة ضد أوغاد المدن وأصبحت رواية « الأم » من أروع روايات أدب الثورة التي أثارت إعجاب العالم .

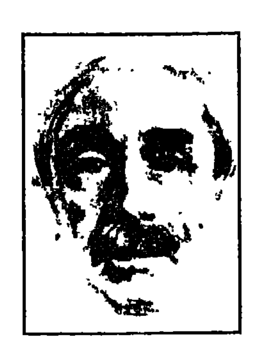
وقد كتب مكسيم جوركي روايات أخرى هي : حياتي في حداثتي ١٩١٤، تحدث فيها عن سيرة حياته ، وأورد نماذج من أدب السيرة بتلقائية وطرافة وأسلوب عذب صادق جريء يحمل ملامح أديب لم يولد إلا ليكون علمًا من أعلام الثورة والنضال ، ورواية أخرى هي : «بين الناس» ١٩٢٣.

ومكسيم جوركي شاعر أيضًا . ثائر ضد الطغاة والأفاقين والخونة والبلهاء الذين يسعون لدمار الحقول الخضراء ليشيدوا قصورهم العالية فيقول :

« طير العاصفة وحده يمضي فخورًا.. جريئًا.. وحرًا .. فوق البحر المرتعش بالصمت .. وتتهاوى الغيوم على البحر .. أكثر انخفاضا .. أكثر إظلاما.. وتهدر .. وتتدفق الأمواج محمحمة.. زاحفة إلى لقاء الرعود .. ويتدحرج الرعد شاحذا نصاله .. مربدًا بالغضب .. والرياح تمسك بقطعان الأمواج وتقذف بها بكل قوة تيارها الوحشي على الصخور .. حيث تتناثر كتل الماء الزمردية .. ذرات من ضباب .. وكالبرق الأسود يمضي منشدًا طير العاصفة .. وكالسهم يثقب الغيوم .. »

ومازال مكسيم جوركي يطل علينا في الأدب ثورة تحلم بالخلاص من واقع تقوض تحت سياط العار والعبودية . وتلمح في قصائده تأثره بالطبيعة التي يرى فيها عواصف وزوابع وأمواجًا بما يرمز إلى هذه الثورة ، فالطبيعة تُلهم الشاعر وتسانده من أجل الحق والحياة الحرة الكريمة ، فيقول:

« صفحة البحر داكنة .. الريح تتجمع فوق الغيوم .. بين السماء والماء وطير العاصفة ينطلق فخورًا ..شبيهًا بالبرق الأسود .. يمس الأمواج بجناحيه مرة .. ويمرق كسهم في الغيوم طورًا .. وهو يرسل صيحاته المنذرة .. »



بول فاليري

(١٨٧١ - ١٩٤٥م)

شاعر المدرسة الرمـزية في الشعر الفرنسي الذي تألق قبل الحرب العالمية الأولى واسـتمر ينشر الدواوين الشعـرية : سهرة مع السيدة تـيست ١٨٩٦، وأبيات قديمة وبارك الشـابة ١٩١٧، وسحر ١٩٢٢، وأوباليونس ١٩٢٣ وروح الرقص ١٩٢٥، والمقبـرة البحرية ١٩٢٦ ، وفاوست كـما أراه ١٩٤١ ، والملاك ١٩٤٥، ونرجس ١٩٤٥ .

والرمزية مـدرسة ازدهرت في الخمسـة عشر عامـا الأخيرة من القـرن التاسع عشر وقـد قامت لتناهض مذهب البـرناسية الذي يرفض التعـبير عن المشاعـر الفردية في حرية وطلاقة وقـد اجتمع مجموعة من الشعراء وهم استيفان مالارميه ، وبول فيرلين وارتو رامبو وجان موريـاس ودعوا إلى قصيدة جديدة تعبر عن العالم الخارجي للشاعر وتُطلق ما في النفس من رغبات وما في الذهن من احلام وما في القلب من أحاسيس .

اتجه الشاعر بول فاليري إلى اعتناق مذهب المدرسـة الرمزية واستطاع أن يخضع شعره للجمال الموسيـقي والاتجاه إلى كشف أسرار الكون وتأمل الطبـيعة وجمـالها ومحاولة النفـاذ إلى ما وراء هذه الطبـيعـة ومزجـها بالحلم الرومـانسي والخـيال الجـامح . وحين تقرأ اشـعاره لا بد أن تخـفق روحك وأنت بين الأوراق المبعثـرة والعبرات المنسكبة وبلابل الحب المـغردة ووجه الحبيـبة الساكن على صدر الشاعر ، يقول :

عندما ترتعش الأوراق المبعثرة وتشرع في الفرار

ثم تسكب العبرات من كل قرار

فإنك تشهد بلابل الحب تعصف بالقلب الغامض

وترى العاشق المجنون ماضى العزيمة

يعانق عشيقته البضة الإهاب منتصراً على الروح

وقد تأثر بول فاليري بالشاعر مالارميه إلا أنه حاول دائمًا أن ينتقي العبارات ويطرح الدلالات الخاصة به في صور شفافة أو حالمة وأحيانا يتوغل في متاهات النفس وينثر أفكارًا مجردة ويقول :

حناني يمتد ليرتوي من هذا الماء

فتأخذه النشوة

أمام نزوات إنسان يحاول ممارسة سلطانه على نفسه .

وقد أصدر فاليري مقطوعـات شعرية تحت عنوان "نرجس" وهذه المقطوعات تحمل الأسطورة اليونانية عن "نرجس" الشاب الرائع الجميل الذي يعشق وجهه عندما يراه في النبع الصافي .

ويرى فاليـري أن الإنسان في داخله نوع من الجمال والإحـساس المبهم الخفي الذي لا يُـفسر أحيانـا وقد يرفض الفرد أسلوب هذا العالم الذي يحـاصره وينفذ إلى أعمـاق ذاته يعشقهـا حتى الإعجاب والهوس ويقول :

أيتها المياه المستوية العميقة

ما أسعد ذواتكن الممتزجة

أنا وحدي .. لو سمحت لي الأصداء والأنواء

وحدي بيد أنني أنا من يقترب من ذاته

عندما يقترب من الضفاف التي يباركها مورق الأغصان

وبول فاليـري شاعر يجسـد الأشياء المجردة ويحـولها إلى طاقات حـسية يُمكنك أن تلمسـها أوتراها وتتخيلها دون عناء فيقول :

لا منظور ولا معروف

أنا العطر .. حي وميت في الريح القادمة

لامنظور ولامعروف

صدفة أم عبقرية ما أن اجيء حتى تنتهي المهمة

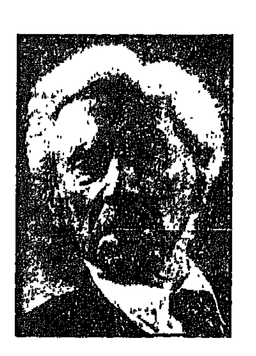
لا مقروء ولا مفهوم ..

كما في ارقى العقوبة من أخطاء موعودة

لا منظور ولا معروف

زمن وغد عار بين قميصين

ويظل بول فـاليري نغمـة ترتعش بين أوراق الشجـر وسحـابة راحلة إلى مدن النهـار الجديد ، وقلب طفل مزقته الريح على حافات مدن اللهب والجحيم .



برتراند رسل

(١٨٧٢ - ١٩٧٠م)

برتراند رسل فيلسوف إنجليزي كتب العديد من المؤلفات التي جعلت منه فيلسوفًا عالميًا يقرأه العالم شرقًا وغربًا وتظل كتاباته حتي اليوم تُدرس كمحتوى لنظريات في الفلسفة والعلوم والآداب . ولكن أهم ما كتب رسل هو آراؤه في الحب والحرية . و لنحاول ان نتعرف على هذا الجانب في فلسقته .

في الثانية من عمره توفيت أمه وعاش محروما من حنان الأم ، ثم بعد عام توفى والده فلم يجد من يرعاه سوى جده اللورد جون رسل واتجه منذ طفولته إلى الاطلاع والبحث و التأمل . وقد أوصى عليه والده قبل موته أحد المعلمين ليدرسه العلوم وقد عرف فكر هذا المعلم بالحرية والعمق .وبعد موت جده تولت جدته التي تميزت بالعقيدة الصارمة والأخلاق المتطرفة ، فقد كانت تؤمن أن التدخين خطيئة وتبتعد عن الناس والمجتمع وتحتقر كل متعه في الحياة ، ولا شك أن هذه الحياة قد أثرت على رسل فدفعته إلى الوحده والتأمل بعمق . وذات مرة أهدته جدته الإنجيل، فقرأه وراح يناقشه مع معلمه وظل اعوامًا كثيرة يفكر في أمور الدنيا والحياة .

قرأ في الشعر والرواية ولا سيما قصائد بايرون وشيلي وكتب جون ستيوارت مل ، ويعترف رسل في مذكراته أن كتب جون مل عن المرأة والحرية كان لهما أثر عميق في نفسه . وحين التحق بجامعة كمبردج ، انفتح عالم جديد له ، فالتقى بالأصدقاء المهتمون بالفلسفة والشعر و الأدب وظل معهم يتناقشون فى السياسة وشتى نواحي عالم الفكر ومن أهم أصدقائه (ماكتاجارت) الذي أعجب به رسل لثقافته الواسعة وإقباله على العلم والمعرفة .

بعد التخرج من جامعة كمبردج عام ١٨٩٤ اشتغل ملحقا شرفيًا في السفارة البريطانية في باريس حيث كان من واجباته أن ينسخ الرسائل المطولة لإقناع الحكومة الفرنسية بأن جراد البحر ليس من فصيلة السمك.

تزوج من امرأة أحبها ، وعاش في برلين يدرس الاقتصاد والاشتراكية الألمانية ، وزار أمريكا وعاش فيها فترة وشاهد منزل الشاعر الأمريكي (وولت ويتمان) ، واطلع على مؤلفات الأدباء والشعراء والفلاسفة والمفكرين ودرس الفلسفة ، وكانت رسالته موضوعها (أسس الهندسة).

عنما زار رسل الصين كتب عنها يقول :

الصين علمتني كيف أفكر تفكيراً يمتد ليشمل مسافات بعيدة من الزمن ولا أدع الحاضر بسيئاته باعثًا على اليأس ، ولولا هذا الدرس الذي تعلمته في الصين لما احتملت العشرين عامًا الماضية بجانبها من مآسي على نحو ما احتملتها .

يحدثنا برتراند رسل عن أهمية الحب في حياة الإنسان بل في وجود البشر بصفة عامة فالحب يعتبره القيمة العليا ، وإن أي نظام اجتماعي يعمل على الحد من التطور الطبيعي للحب لهو نظام قاصر بل فاسد .

ويعلل قضية ازدهار الحب في المجتمعات وتلاشيه بين الأفراد إلى طبيعة العادات والتقاليد والثقافة التي ينشأ عليها الأفراد وإلى سوء فهم للعلاقات بين الرجل والمرأة ،وأيضا إلى عدم معايشة الحب كقضية إنسانية ، وهنا لا يعني رسل أن الحب بين الرجل والمرأة عاطفة ومشاعر رومانسية وإنما الحب الكوني الشامل لكل ماهو جميل ونقي في الحياة . وهنا يدعو إلى حرية الأفراد في التعبير عن مشاعرهم والتزود بالثقافات والعلوم والفنون والآداب الرفيعة .

ويناقش رسل ظواهر الحب في الشعر والمسرح والفن بصوره عامة ويرى إنه على الرغم من أن بعض البلاد تجد شعرائها يتغنون بالحب وجمال المرأة والأدباء يكتبون قصصا تدور حول الحب والفنانين يرسمون في لوحاتهم اشكالا رائعة للحب إلا أن بعض الانظمةوعلماء الاجتماع تجدهم في هذه البلدان يتجاهلون عاطفة الحب ويعدونه من العناصر التي لا يجب مراعاتها في كل برامج الإصلاح والتنظيم الاجتماعي .

إن الإحساس بالحب تجاه امرأة معينه أو لوحة جميلة أو فكرة أو هدف أو غاية يستوي هذا الإحساس مع الأشياء الأخرى مادام الإنسان قادراً على الانفعال ، فالحب يزيل وحشة النفس ويبدد الوحدة ويمحو بذور الخوف من أعماقنا . والحب أيضا يحطم أسوار النفس التي تحجب عنا الهواء وضوء الشمس فيستحيل الإنسان كائنًا حيًا من نوع جديد يشعر بما حوله من جمال وينظر إلى المستقبل بتفاؤل ،وثقة ، ويجب أن ننتبه إلى أن الحب الذي يتحدث عنه برتراند رسل هو نوع من السمو والمثالية المطلقة .

يوضح لنا برتراند رسل مـا هية المواطن الصالح فـي نظر الدولة وعلاقتـه بالحرية الفـردية الشاملة، فالمواطن الـصالح هو الذي لا يثور ضـد القوانين والقـيم والنظريات التي تلقـاها ونشأ عليـها في الدولة ولاسيمـا النظم السياسيـة واتجاهات الدولة . لأنه إذا ثار ضد الأوضاع القـائمة لم يكن في نظر الدولة مـواطنًا صالـحًا ، وقد يسـاهم الدين في هذا المواطن الصـالح بتوجـيهـاته من الدولة ، فالفـرد ينشأ راضيًـا بما قسم له في الحيـاة ومقتنعًـا بولاة الأمر في الدولة ، ومن هنا فـالدين معين للدولة علي بقاء الأنظمة القائمة وبالطبع يتحدث رسل عن الدين المسيحي في بلاده.

ويفسر رسل أن ثورة الفرد يجب أن تنبع من تجربة حيه يعـايشها ، فهو من الضروري أن يشعر بالظلـم مثلا ليثور ويجـرب الاضطهاد ليتمرد وحرية التعبيـر عن الذات هي في قائمة القضايا التي يحارب مـن اجلها رسل . والحـرية هنا ليست حـرية الأرض أو حرية الفـردفي التعـبير بـل حرية الانسان بصورة شاملة في كافة المجالات .



سومرست موم

(١٨٤٧ -١٩٦٥م)

الكاتب الانجليزي وليم سومرست موم قبيل أن يودع هذا العالم قال :

لقد حاولت كثيراً أن أبحث للحياة عن معنى ما فلم أجد إلا معنى واحدًا وهو أن نحياها .

ولد في باريس وأجاد اللغة الفرنسية ودرس الطب ولكنه لم يعمل طبيبًا بعد تخرجه واتجه إلى توظيف علمه في إطار حياته الأدبية ، وقد تأثر بالأدباء الفرنسيين الكبار ومنهم زولا وبلزاك وجي دي موباسان .

وإذا قرأت قصصه أحسست أثرًا لدراسته وحبه العميق لفرنسا ، فهو يميل مثل أغلب الروائيين إلى التحليل العميق للنفس البشرية ودراسة اعماقها بكل ما فيها من خطايا وفضائل وشر وخير وهو يؤمن بأن المثقف الذي يُصرح بالمبادئ والمثاليات أحيانًا لا يستطيع أن يحياها أو يحققها في حياته لأنه يتخذها مجرد شعار وليس واقع وحياة .

في رواية (العبودية والإنسان) ١٩٥١ صورة لهذا البطل المصاب بعاهة في قدمه ويحلم بحياة عالية الهمم والطموحات ولكنه يفشل في ذلك ويحب امرأة لا ينسجم معها فكريًا ويحاصره اليأس من كل مكان فيتراجع عن الطموحات الكبيرة والعزائم الفتية ويقرر ببساطة الانتحار .

وفي روايته (القمر وست بنسات) صورة أخرى عن الفنان الذي يتمرد على حياته بعد أن يكتشف فجأة أنها خاملة بلاقيمة أو هدف نبيل فهو لا يدري كيف يحرك الفرشاة فوق لوحاته فيهجر زوجته وأولاده ويذهب إلى باريس ليخلو إلى فنه ويستطيع إبداع أجمل لوحة في حياته ولكنه يموت بعد ذلك .

ربما كان موم يقصد أن تتوفر للفنان مملكة خاصة يسترد فيها ذاته من واقع الضوضاء والزحام

ووسائل الإعلام التي تُشكل ضغطًا على أعصاب الفنان ، وقد عاش موم تلك المعاناة حين حاولت الصحافة إجراء الحوارات معه والتعرف على آرائه في القضايا العامة وقد رفض كثيراً أن يكتب أو يدلي بأخبار عن سيرة حياته كما يفعل معظم الأدباء والشعراء حتى إنه طلب من أحد أصدقائه أن يحرق رسائله كي لا يستغلها أحد بعده في كشف لبعض أسرار حياته ، فلم يكن مؤمنا بما يقوله الأديب عن حياته ولكن المصدر لسيرته من كتاباته وإبداعه .

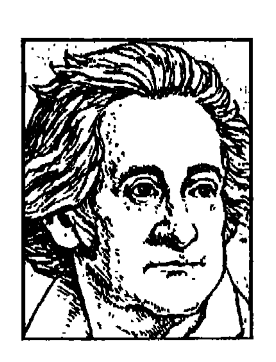
والأديب موم لديه قدرة على وصف الأحياء الشعبية والأماكن التي تحدث فيها رواياته .. وفي ذلك تأثر بالأديب الإنجليزي تشارلز ديكنز . ومن مجموعات موم القصصية قصة : (مطر) التي اشتهرت وفتحت آفاقًا جديدة أمام الكاتب ويقال إن دخله بلغ فيها ما يقارب المليون دولار .. والقصة عن جماعة من الأوربيين في سفينة ومعهم واعظ وامرأة اسمها سادي .. وينتقد الواعظ هذه المرأة بسبب تحللها من القيم .. وتغريه فيزل ويسقط معها فيدفعه الإحساس بتأنيب الضمير إلى الانتحار .. وتنتهي القصة والمرأة تصرخ في وجوه ركاب السفينه قائلة :

«كلكم رجال خنازير قذرة .. كلكم سواء دون استثناء»

وكان هدفه من هذه القصة أن يبين كيف يرد الإحساس بالذنب إلى ضمير من يبيعون الكلام في الهواء دون إيمان عميق بالقضية التي يدافعون عنها ، فالمرء وليد البيئة والظروف والمجتمع الذي نشأ فيه وليس هناك خائن بالصدفة هكذا يؤكد سومرست موم .

وقصة « رد » عن البحار الوسيم الذي يحب سالي ثم يختفي وتعيش سالي أيامًا حزينة فتتزوج هربًا من الأحزان ولكنهاتظل تعسة بسبب حبها للبحار ، وتمر السنوات حتى يشاهدا رجلاً يعرف زوجها أنه البحار الذي أفسد عليه زواجه ويتأمله الزوج فيراه قبيح الوجه ويعجب كيف ظلت زوجته تعاني من حب هذا البحار الأصلع المترهل الجسد المنتفخ البطن ، ويتساءل الزوج ماذا ستفعل الزوجة لو عرفت أن هذا هو « رد » ؟ .

إن الحب لدى موم لا يحيا في الخيال وإنما يعيش على الواقع ويقف ضد تيار الزمن .



رينيه ريكله

(١٨٧٥ -١٩٢٦م)

الشاعر الالماني رينيه ريلكه رعشة ألم في الشعر العـالمي وخفقة قلب انسحق في غبار الغربة .. وظمأ إلى رحيل في سماء الطهر والشفافية .

اعتصر كيانه حزن عميق يرفض هذا العالم المادي المتصارع على النفوذ والمال والقوة والمتعة ثم يزول كل شيء إلى الفـناء وتظل الروح في الجـحـيم تزأر . في شـعـره هالة من الوجـد الصـوفي والنغمة المحلقة في سحائب بيضاء تشتهي البراءة والورد والنهر العذب فيقول :

رب امنح كلامنا القدرة على أن يموت

موته الخاص به .. واجعل الموت لقاءنا

في عمق .. فما نحن سوى القشرة والورقة ..

أماالموت العظيم فيقيم في أحشائنا

ثم ينضج كالثمرة التي لابد أن ينتهي إليها كل شيء ..

ويكتب إلى زوجتـه « كلارا » التي أحبها وصـورها في بعض قصائده ، يشكو لهـا واقع الحياة وكيف يرى الـناس في عجلة من أمـرهم ، والقيم منهارة عـلى الأرض والمشاعر ليس لـها أثر في اعماقهم . اقرأ ماذا يقول :

الناس هنا ينامون على الأرض في النهار ..

وتحت السماء وفي الليل .. .. وعلى وجوههم

علامات من العبوس والضجر ..

فلا واحد منهم راض عن أي شيء ..

فالقيم مزعزعة في كل ركن من أركان ..

هذا العالم المتوتر الأعصاب ..

هل ترين أنه يوم الحشر ..؟

أم ترين أن الاحساس بالمرارة

والاغتراب هو الذي ترك وراءه هذا التعلق الشديد بالنزوة الوقتية العابرة ؟

تميزت قصائد ريلكه وأدبه القصصي وبحوثه باتجاه روحي إلى صفحات خالصة البراءة والنقاء .. يحلم بمجتمع أقرب إلى المدن الفاضلة .. ويكتب ليقاوم هذا المنفى الذي سقط فيه الشاعر .. وتشير بعض كتاباته إلي خروج آدم من الجنة ومعصيته وسقوطه على الأرض وحيداً يعاني الضجر والصراع من أجل الرزق .. وعبر في ديوانه « الساعات » عن هذه الفكرة قائلاً :

كل الذين يبحثون عنك يغرونك .. والذين

يجدونك هكذا يقيدونك بالصورة والإشارة ..

أما أنا فاريد أن أفهمك .. كما تفهمك الأرض مع نضجي تنضج مملكتك

أحس ريلكه بعذاب الوحدة ، وما يسود الوجود من اضطرابات وتمزق بحيث أُهدرت عبقرية البشر في الحروب والبحث عن الأمجاد الزائفة ، وتناست البشرية كيانها الروحي وتعاطفها واشفاقها وإحساسها نحو الآخرين . وجاء في ديوانه "الصور" بعض من هذه الأفكار والرموز فيقول :

الأعمي الذي يقف فوق الجسر .. مظلمًا كعلامة على طريق ممالك مهجورة .. ربما كان ذلك الشيء المتشابه أبدًا .. الذي تطوف حوله ساعة نجوم .. من بعيد ربما كان المركز الهادىء للافلاك .. لان الاشياء كلها تضل من حوله وتنسكب وتبدو رائعة ..

يعد ريلكه شاعر الحياة والزمن الوردي والهمسة الناعمة .. لم تجتذبه سطحية الأشياء وتفاعلها اليومي وهمومها العادية .. يحس أن هناك اسرارًا تتحدث عن نفسها فيما وراء هذا الواقع اليومي، ليست تلك هي الحياة التى يبحث عنها أو يجرب أن ينفعل بها .. هناك حياة أخرى تعلو فيها النفس وتسمو الروح ويخفق القلب بالرقة والعاطفة الجياشة .. وتنهال الدموع والبسمات وتتألق فيها الرحمة والحب و التضحيات الكبيرة فيقول :

والليل .. الليل عندما تهب الريح منعمة بالفضاء الكوني وتطعم من وجوهنا .. من ذا الذي لا تبقى

من أجله ؟ ألا ينبغي أن تصبح هذه الأحزان نافعة لنا ..؟ ألم يأت الأوان كي نتحرر بالحب من المحبوب ونتحمل الفراق ونحن نرتعش .. كمثل ما يحتمل السهم الوتر ؟

لقد قرأ ريلكة أيضا في الأدب العربي ودرس القرآن الكريم وتأثر به وتجلى ذلك في سيطرة مشاعر الطهر والعفة في شعره .. وإيمانه بالحب الروحي ورفضه لمجتمع أوروبا الحديث الذي يستنزف الطاقات الإبداعية ويهدرها عبثًا .



روبرت فروست

(١٨٧٥ - ١٩٦٣م)

شاعر أمريكي حقق شهرة كبيرة ومجدًا إبداعيًا لم ينلهما شاعر آخر في عصره ، فقد مُنح أكثر من أربعين درجة دكتوراه فخرية من جامعات في أمريكا وإنجلترا ، وفي عام ١٩٥٠ أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قرارًا بتكريمه ، جاء فيه :

ـ إن الشاعر روبرت فروست قد ساهمت قصائده في إضاءة الفكر وتوجيه الأذهان إلى الحكمة والمحبة والعدل الإنساني .

وروبرت شاعر تقليدي ينهل من التراث الشعري القديم ، وبناء القصيدة قائم لديه على الوحدة الموضوعية والألفاظ الجزلة والخيال الضارب في أغوار الحياة وتصوير الطبيعة ، وتتجلى أفكار قصائده في تمجيد الحياة النقية ورفض الأحقاد والعنصرية والدعوة إلى الحب والصداقات الانسانية ، وتغيير الواقع الخالي من النظم والقيم إلى واقع آخر تتجلى فيه نغمات الأحاسيس الرقيقة ، ولذلك يقول في إحدى قصائده :

إيه أيها العالم العاصف

الأيام التي لم يلفك بها

الضباب والسحاب

أولم تلتحف بها كأنما في كفن

ولم تكن كرة الشمس المتوقدة

كلها أو بعضها

محجوبة عن نظر البشر

وقد ولد الشاعر روبرت فروست في سان فـرانسيسكو وعاش قريبا من الأرض والمزارعين بل إنه مارس الزراعـة أيضا وعشق الطبـيعة وتعلم لغة الأرض في الـعطاء والحب والتضحيـة وكيف يُغنى الإنسـان لتنمو شـجيـرة خضـراء في قلب الصحـراء وكيف يناضل من أجل وردة تنمـو في الروح . ويقول في إحدى قصائده عن مدى تأثره بهذه المعاني :

هنالك عبر الغابات والحقول

وفوق الأسيجة اتخذت طريقي

وصعدت الروابي المشرفة

وتطلعت إلى العالم

ونزلت ثم عدت إلى البيت

في الطريق الرئيسي

وهنا بلغت النهاية

وروبرت شاعـر الحكمة والنزعة الإنسـانية حيث تنـساب الصور الشـعرية تنفض عن الأرض بقـايا الغبـار وآثار الحـروب وتجلو مـا في قلوب النا س من خـوف ويأس وإحبـاط وتشـعل في الظلمات مصابيح ضياء تهتدي بها البشرية إلى طريق حافل بالعطاء والمشاعر والتوحد مع الطبيعة في وفرة اخضرارها وكثافة عطائها وبساطة خيرها .

روبرت فروست شـاعر يزرع في قلب البشـر لغة التحـدى للظلام والخريف والضبـاب حتي تنفجر الغمامات بقطرات المطر الربيعي ويصحو قلب الإنسان للحب والعطاء .



أنطونيو ماتشادو

(١٨٧٥ - ١٩٤٠م)

أنطونيو ماتشاو شاعر الحب والحياة .. وأحد رموز الفكر المستنير والثقافة المناضلة في أسبانيا .

ولد في مدينة أشبيلية من أسرة تقدمية متحررة ومثقفة إذ أن جده لأبيه عمل أستاذاً جامعيًا ، ووالده اهتم بالتراث الشعبي وعلم الفلكلور ودراسة الأغاني الشعبية الأسبانية وبخاصة الفلامنكو ، ويصف طفولته في قصائده ويقول :

طفولتي ذكريات شاسعة في أشبيلية

وجنينة صافية

حيث ينضج الليمون ..

شبابي عشرون عاما في « قشتالة »

تاريخي بضعة أحداث ..

لاأريد تذكرها ..

وتنتقل الأسرة إلى مدريد حيث يُعين الجد أستاذًا في جامعتها ويلتحق ماتشادو وأخوه بمعهد التعليم الخاص حيث التربية المتحررة والثقافة المنوعةالمختلفة عما يُدرس في المعاهد الحكومية والدينية من ثقافة تقليدية غثة لا تثير الفكر ولا تساهم في الإبداع .

درس الشاعر الأسباني ماتشادو المرحلة الثانوية وبدأ يهتم بالدراسات الشعبية والشعر والفنون وتألقت ثقافته وازدهرت مواهبه ولكنه لم يكن طالبًا لا معًا أو مجتهدًا فظل عشرة سنوات في هذه المرحلة حتى حصل على الشهادة .

وفي عام ١٨٩٨ بدأ ينظم أشعاره وقد تأثر بهزيمة أسبانيا في حربها ضد كوبا وفقدانها آخر مستعمراتها ولذلك غلب على أشعاره النغم الذاتي الحزين والتهويمات والمشاعر الرومانسية .

ويحدد ماتشادو أن الشعر ليس الكلمة من حيث قيمتها الصوتية وجرسها وليس أيضًا التكوين والزخرفة ونظم الأبيات . والشعر أيضًا ليس تعقيد الأحاسيس والمشاعر ، بل رقة الروح وسماتها الخاصة لكي تواجه الكون في شجاعة وإنطلاق . وأصدر ديوانه الأول (وحدة) الذي عبر فيه عن هذه المعاني والأفكار .

وفي عام ١٩١١ سافر إلى باريس بصحبة زوجته بعد حصوله على منحة لدراسة اللغة الفرنسية وآدابها . وهناك التقى بالفلاسفة والشعراء وتأثر بالمذاهب الفنية وتعمقت ثقافته وترقرقت شاعريته .

ويواجه الشاعر ماتشادو محنة رحيل زوجته التي يحبها وظل يتألم لمرضها حتى سقطت بين ذراعيه من أثر المرض . ويكتب لها مرثية يقول فيها :

في إحدى ليالي الصيف

كانت الشرفة مشرعة

وباب داري مفتوحًا

ولج الموت إلى بيتي

وأخذ يقترب من سريرها

حتى إنه لم يلتفت إليَّ

بأنامل جدُّ رقيقة

في خفوت ودون أن يعيرني انتباهًا

مر الموت إزائي مرة أخرى

ماذا فعلت ؟

لم يجد الموت ..

طفلتي همدت ..

وقلبي انفطر..

آه ما فصمه الموت

كان خيطا بيننا عن الاثنين .

ويشرد الشاعر في محنته .. هائما في حلم تحطم ، تحاصره غمامات من تشاؤم وبحيرات من دموع ونزيف الجراح ..

ويرى الوجود من خلف ستائر ظلماء ويقول :

حلمت بأنك كنت تأخذيني

في درب أبيض ..

وسط الحقل الأخضر

نحو زرقة السلاسل ..

نحو الجبال الزرقاء .

ويصف الشاعر ماتشادو تفاصيل رحلة الحلم الأخضر مع الحبيبة التي فارقت الحياة ولكن ماتزال آثارها باقية في لمسات الصباح وصوتها الطفولي يفجر أمطار الحنين :

ذات الصباح الهادئ .. أحسست بيدك

في يدي .. يدك الرقيقة الحانية .

أحسست بصوتك الطفولي في مسمعي

مثل جرس صغير جديد ..

لفجر ربيع

ونشر ماتشادو هذه القصائد الجميلة في ديوانه الجديد واطلع الناس على سر هذه المشاعر الصادقة ونبض الروح المضيء بالحب والجمال فاشتهر الشاعر ماتشادو وكتب إلى صديقه الشاعر خوان رامون يقول له :

ـ " عندما فقدت زوجتي فكرت أن أنتحر بأن أطلق النار على نفسي غير أن النجاح الذي لقيه ديواني أنقذني وليس عن عبث بل لأني فكرت في إنه لدىّ موهبة نافعة ليس لي الحق في القضاء عليها .."

ويسافر ماتشادو إلى بلدة (بياسة) بعد أن تألم لوفاة زوجته حيث كل شيء حوله يذكره بها، ويحيا الشاعر بعيداً منسيًا خلال ست سنوات من العزلة ، وتمرحيانه بين رتابة الحياة وكآبة الطبيعة ويظل يقرأ ويمارس عمله استاذًا في معهد هذه البلدة .

ويلتقي الشاعـر ماتشادو بالشاعر الكبيـر فيديريكو لوركا الذي أطلقوا عليـه الرصاص خلال الحرب الأهلية ، وينشر مـاتشادو ديوانه (قصائد) ليحمل نفـثات قلب أضناه الحزن والبكاء على زوجته الراحلة .

وفي عام ١٩٢٨ يعشق امرأة جميلة اسـمهاغيومار ، مثقفة تحب الشـعر ، ولكنها متزوجة فظل على علاقة بها لمدة أربع عشرة سنة ويكتب لها :

مثل وميض أبيض

في ليلتي الدهماء

وفي الرمال اللامعة إزاء البحر

بشرتك الوردية السمراء

على بغته يا غيومار

في الجدار الرمادي

سجن ومأوى

وفي منظر حالم

مع صوتك والريح لا غير

في لؤلؤة قرطك الباردة

بفمي يا غيومار

وفي قشعريرة فجر مجنون

مطل على رصيف يلطمه بحر حلمي

وتحت جبين سهرى المقطب

خشية أن تأخذني سنة

دائمًا أنت يا غيومار

لقد عشق الشاعر ماتشادو هذه المرأة المثقفة غيومار ولم يكن يراها إلا في المنتديات والأمسيات الثقـافية والندوات الفكرية . وظـل معذبًا في وحـدته لايستطيع أن يحقق أحـلامه معـها ، ويموت

عشقًا من أجلها ، ويقول :

غيومار

أنا مدان بأني أبدعتك

وها أنا لا استطيع نسيانك

إن كل حب لوهم

فهو يبتدع العام واليوم

والساعة وإيقاعها ..

يبتدع العاشق والمعشوق

فهو لا يجرب شيئًا

ويكتب ماتشادو عدة مسرحيات تُعرض في مدريد ويطبع مرة أخرى ديوانه « قصائد » ويندمج في اللجنة الدولية للكتاب في سبيل الدفاع عن الثقافة .

وحين تندلع الحرب الأهلية الأسبانية تغتال قوات الجنرال فرانكو الشاعر الكبير لوركا ولا يدري ماتشادو ماذا يفعل ، فقد مزقته الصدمة ورهبة الحرب وبشاعة الموت ويهرب مع والدته إلى الحدود الأسبانية الفرنسية رغم الإعياء والمرض والآلام ، وتسأله أمه :

ـ متي نرجع إلى أشبيلية ؟

ويظل يقاوم دوار المرض . حتى يسقط على الأرض فاقدًا الوعي .. وأمه تصرخ بجواره ثم يفتح عينيه وينظر إلى الآفاق البعيدة .. يتطلع إلي بلاده ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة ويردد أشعاره :

هذه الأيام الزرقاء

هذه الشمس

شمس الطفولة

أيام الأندلس الزرقاء

وشمس أشبيلية الحنون

وتراب أسبانيا الدافئ

ومات الشاعر أنطونيو ماتشادو غريبًا على أرض فرنسا ، ولحقته أمه ، ولا يزال رفاتهما في ديار الغربة .



جورج صاند

(١٨٧٦ - ١٩٠٤م)

جـورج صاند توهج الروح المتـمردة .. والقلب العـاشق الراحل بين مـوانئ شتى تمزقـه الريح وأنين الدمعات .. ويعـصف به هوى مستبـد وعشق جامح ،خلق منها اسطورة عـاطفية في تاريخ الأدب الفرنسي .

فاضت دمـوع عشقـها ذات يوم حين رحل عنها حـبيبهـا الشاعر الرقـيق ألفريد دي موسـيه ، ولكنها تداوي الداء بالداء فـتركض إلى عيون رجـل آخر لتنسى معه حـبيبهـا الراحل ، فالحب في حياتها عادة يومية والرجال المشاهير الغارقـون في غرامها تتخير منهم ما تحب وتضرب بالآخرين عرض الحائط دون مبالاة أو اهتمام لمشاعرهم أو مواقفهم .

هكذا عاشت جورج صاند كالعاصفة تقتلع المشاعر من نياط القلب واشتباكات الروح ولاتهتم كثيراً بالأخلاق أو القيم الاجتماعيـة أو الأعراف السائدة . إنها تقرر ما تتمناه .. وتحقق ما تحلم به في بساطه وانسجام .

ولذلك فإن شهرتها الحقيقية لـم يكن مصدرها مؤلفاتها في أدب السيرة التي فاقت المائة ، وإنما جاءت شهرتها من علاقاتها المتعددة والكثيرة مع مشاهير عصرها .

تزوجت جورج صاند في الثامنـة عشرة من عمرها وأنجبت طفلين ، وبعد فـترة شعرت بالملل والكآبة فهجرت أسرتها وتوجهت إلى باريس لتحيا في عالم الأدب والإلهام .

وخلال سنوات قليلة اصبـحت صديقة حميمة بل عشيـقة لمشاهير في عـصرها من فنانين وأدباء وشعراء وسـياسيين وموسيـقيين وفلاسفـة . وقد عاشت قصة حب مـؤلمة مع الفنان العالمي فريدريك شـوبان ، ولكنها تركـت الموسيقـار وذهبت إلى رجل أحبـته ووقف مـعها يسـاندها في حياتها الأدبية واسمه جولز صاند ومن هذا الرجل اتخذت اسمها : جورج صاند .

تعددت مؤلفاتها في السيرة الذاتية والقصص الناقدة لمساوئ المجتمع وتحليل قضاياه . وكتبت الرواية الاجتماعية الإنسانية وكُتب الرحلات إلا أنه غلب على أسلوبها الاتجاه الفلسفي .

أحبت الشاعر الفرنسي الحالم ألفريد دي موسيه ، وحين كانت بجواره اثناء مرضه شاهدت طبيبًا شابًا يعالجه فأحبته وهربت معه وتركت خلفها شاعراً يئن ويبكي .. وحين هجرت الطبيب عادت إلي الشاعر تقول له :

« إنى أحبك .. وسأموت من حبي إذا لم يصنع الله معجزة من أجلي .. إني عاجزة عن فعل شي للعزلة .. ياللعزلة .. أريد أن أقتل نفسي .. آه يا طفلي كم تشعر أمك بالتعاسة ».

وظلت علاقتها مع ألفريد دي موسيه ، تتأرجح بين الإقبال والإدبار والتواصل والهجرحتى تركها وسافر لأنها قد خانته فكتبت إليه باكية :

« أيها الطائش إنك تهجرني في أسعد لحظة من لحظات حياتي .. أليس كثيراً أن تقمع كبرياء امرأة وأن تلقي بها علي قدميك .. ياقلقي في الحياة ياحبي المشؤوم » .

وأصبحت قصائد الفريد دي موسيه ورسائل جورج صاند من أروع الوثائق الأدبية التي تجسد رقة الشعور ورهافة الإحساس قي الحب وتعتبر اليوم مصدراً هامًا لدراسة الحالة النفسية والفكرية للمبدعين ومجتمعهم وعصرهم ،ولعل هذه العلاقات العاطفية هي التي أسهمت في شهرة جورج صاند أكثر من مؤلفاتها المائة .



بيتروس ماغنيس

(١٨٨٠ - ١٩٥٣م)

ولد الشاعر ماغنيس في اليونان ودرس الحقوق والتجارة وعاش حياته بين المدن والجزر اليونانية شغوفًا بجمال البحار ودفقة الأمواج والأشجار المائسة والطيور المحلقة وسكنت الطبيعة ذاته ومزجها بعواطفه وأحاسيسه ولذلك يقول إلى الفتاة التي أحبها في قصائده :

عندما تذهبين إلى الدروب

التي كنا فيها متى أوغل الليل

يرافقنا الحب

وتشيعنا الظلمات

عندما تذهبين إلى هناك

سترين أطيافنا مازالت تهيم في هدوء

وتتهامس بأسرارنا

وبين الحين والآخر نتبادل القبل

قرأ ماغنيس في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ووجد ذاته في الاشتراكية والتعاطف مع الفقراء والمنبوذين والمسحوقين من أفراد المجتمع وكان قد آمن بمبدأ الفن للفن في بداية نضجه الفكري ولكنه تخلى عن هذا واتجه إلى الاشتراكية وحاول أن يحول مساره الإبداعي إلى قصائد موجهة إلى أهداف اجتماعية وإنسانية .

وبدأ يرسل قصائده إلى مجلات أدبية في مختلف البلاد ومنها مجلة (الحياة الجديدة) التي كانت تصدر في الإسكندرية .

ويقول في إحدى قصائده في هذا الاتجاه الاشتراكي :

انهمر المطر أمس

واصبح اليوم عطرًا معبقا بالأريج

قطع الماس تتلألأ على أشجار الورد

والزمرد في الأرض الخضراء منتشر

ما أسعد العاملين الذين سيخرجون

إلى الهواء النقي

وراء الرزق يسعون ...

الشمس ستغسلهم وفي أشعتها يسيحون

ولم يكن ماغنـييس راضيًـا عن أحوال وطنه اليونان ، فظل يكـتب مقالات حـادة يهاجم فيـها الطبقات الرأسمالية ويرثي الشرفاء الفـقراء الذين لا يجدون من يناصرهـم أو يساندهـم في معركة الحياة . ويقـرر الرحيل إلى مصر ، وأمضى هناك أيام عـمره الباقية وانفـعل بالأحداث وشارك في اتجاهات الفكر وامتزج بالحياة الاجتماعية والسياسية وأعجب في تلك الفترة بدور الزعيم المصرى مصطفى كامل وأشاد به وبدوره كنضالي كبير.

واستمر في إبداع قصائده الساخرة ، يقول :

سألت ثعلبة بالغة الدهاء ذات مرة :

لماذا يلاحقونك في كل مكان ..

هل لأنك تأكلين الدجاج أم لجمالك و سحرك الفتان ؟

وأجابت الثعلبة :

ـ بل من أجل الفراء .

وفي مـصـر تمزقـت ذاته حنينًا إلى وطنه يـود أن يشـاهد أهله ويخطـو فـوق الأرض والقـمم الشامخة ، ويتذكر طفولته العذبة ولهوه بالمزمار بين الأعشاب فكان يغلبه الحزن والألم ويقول :

آه لو أمكنني أن أمضى حياتي

علي قمم الجبال الشامخة

وأستنشق الهواء الطلق

في صحبة ملهمتي الطيبة ومزماري الحبيب

وكتب في مصر أربعة دواوين شعرية تحمل عذابات إنسانية تواجه تناقضات الحياة ويحترق من أجل البؤساء ويتمنى العودة إلى وطنه هناك . وقد غلف هذا الحزن بفلسفة الحكمة والصمت والنضال يقول :

ــ مرورنا عابر والحياة من حولنا خضم زاخر طوبي لمن يعرف كيف يقف بعد سقطته شامخًا .. طوبي لمهرج السيرك الذي يقهقه ضاحكًا وهو يتلقى الصفعات

وأمضى ماغنيس حياته في مصر تحاصره الأحزان والذكريات الغابرة والسوانح العابرة ويكتب بدم القلب شعرا يصف لواعج حبه لوطنه ولأبناء هذا الكون الضائعين المشردين

حتى رحل عن الحياة ومازال صوته يدوى في تلك الأماكن التي شهدت مجلسه وحضوره ونشاطه الإبداعي



غيوم أبولينير

(١٨٨٠ - ١٩١٨م)

الشاعر الإيطالي غيوم أبولينير لم يفكر في البحث عن ابيه وعقاب امه اللاهية ، وإنما انسحب إلى داخل ذاته يتأمل ويقرأ .. ويحلق في الفضاء حتى سقط مضرجًا في دمائه حينما استقرت رصاصة في صدره أثناء الحرب العالمية الأولى .

هذا الطائر الجريح عشق فتاة في شبابه وأحبها ، والشائعات تطارده بأنه بلا أب ولد في ليلة شيطانية تنتظره أبواب الجحيم والشقاء ، وإذا بالفتاة تهجرة وترحل عنه منكسرة ولا يدري لماذا الفراق ... وخرج متشردًا ضائعًا يبحث عن ذاته الممزقة تفوح منها رائحة الخيانة والسقوط والجريمة .

وفي ليلة وجد نفسه خلف قضبان السجن مع صديقه بيكاسو .. حيث اكتشفت الشرطة قطعة من التحف النادرة في بيته كان أهداها له صديق ولا يدري أنها قد سُرقت من متحف اللوفر .

وفي السجن كتب أجمل قصائده عن الحب والسجن والعدل والغربة والقدر المحتوم الذي يعصف بحياته ، وسجل ذلك في ديوان « خمور » وحين خرج من السجن اشترك في الحرب العالمية الأولى ليصاب برصاصة تضع حدًا لمأساته وبؤسه والعار الذي خلفته له أمه .

وقد أكد أبولينير أن الشعر ليس مجرد رموز وتهويمات ،وإنما لمسات إنسانية وروح تحنو وتتأثر وتشارك في صنع الحياة يقول :

أسمع جلبة المدينة.. ولأنني سجين

بلا أفق .. لا أرى الأسماء معادية .. وجدران

سجني العارية .. النهار يمضي .. ومصباح يشتعل

في السجن .. نحن وحيدون في الزنزانة

أيها الضوء الجميل

أيها العقل الغرير ..

درس أبولينير في المدارس الدينية بمدينة موناكو وسافر إلى ألمانيا وعمل بالتدريس لأبناء النبلاء، وهناك عشق فتاة انجليزية اسمها آني وكشف لها عن أحاسيسه الملتهبة وارتبط معها بعلاقة مصيرية ، ولكن الفتاة هاجرت إلى أمريكا وتركته وحيدا يبحث عن ذاته الضائعة وقال لها في أشعاره :

وداعًا أيها الحب الزائف المختلط

بالمرأة التي تبتعد

بتلك التي فقدتها

في ألمانيا في السنة الماضية

و التي لن أراها من جديد

وعندما قامت الحرب العالمية كان في فرنسا فاشترك مع القوات الفرنسية للدفاع عن الوطن وألحق بفرقة المدفعية ثم إلى فرقة المشاة وساهم ببطولات جريئة في الحرب وحاز إعجاب الجميع

ولكن الشاعر أبولينير أصيب في الحرب برصاصة أحدثت جرحًا خطيرًا في رأسه مما أدى إلى وفاته

وكتب أبولينير قصائد كثيرة من وحي الحرب وتجربة محنته حين ولد لا يعرف له نسبا وأمه التى جلبت له العار ، يقول :

أيها الخريف السقيم والمعبود

ستموت عندما يعصف الإعصار

في حقول الورد

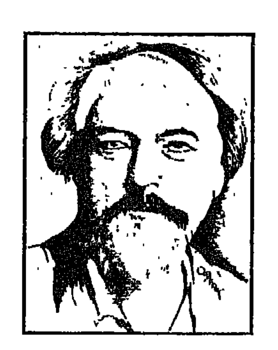
عندما تثلج علي البساتين

يعتبر أبولينير من شعراء المدرسة الرومانسية الذين ساهموا في بلورة حركة الشعر الفرنسي ، فقد عبر بمهارة وصدق عن أحاسيس النفس الممزقة والقلب الحزين والروح الضاربة في أعماق الأسى فجاءت قصائده ذات طابع مبتكر أصيل . وكذلك محنته قد ألهمته بابعاد إنسانية ومواقف

عبر عنها في لحظات من الشجن و الحنين المؤثر .

ويقول في إحدى قصائده الحزينة :

عند منحنى شارع يحترق
بجميع نيران وجهاته
بجروح الضباب الدامي
حيث تنوح الواجهات
امرأة تشبه هذا الضباب
كانت نظرتها التي تنم عن فظاظتها
بجرح عنقها العاري
خارجة ثملة من حان
في اللحظة التي تعرفت فيها
على زيف الحب نفسه



جيمس جويس

(١٨٨٢- ١٩٤١م)

عندما كتب روايته « عوليس١٩٢٢م » مُنعت من النشر في إنجلترا وأمريكا فلجأ الكاتب إلى طباعتها في فرنسا وذلك لما في الرواية من وصف صريح لغرائز الإنسان واقباله على النزوات دون تحفظ أو اعتبار للقيم الأخلاقية واقترافه الآثام والشرور .

إن جويس يتتبع الأفكار الذهنية للبطل وما يدور فيها حول الحياة والموت والمرأة والمتعة معتمداً على الرموز و الإشارات النفسية فجاءت الرواية معقدة ، ذات مستويات فنية عالية ومتعددة .

إن جويس يفسر لك ما يشغل الوعي واللاوعي ، وما في الذهن والحلم و الصحو ، وتكاد تصبح الرواية أقرب إلى الدراسة النفسية الاجتماعية ليوم في حياة البطل يبدأ من الساعة الثانية ظهرا حتى الرابعة صباحًا ترى البطل في جنازة صديق له ، ثم في أحد المطاعم بالمدينة ، وفي مشهد آخر يكون البطل في أحد الحانات يحتسي الخمر مع النساء ، ويتعمد الكاتب أن يصفه من الداخل مع أفكاره وظنونه البشعه الفجه الصارخة الصريحة .

ومن هنا كانت الرواية كبيرة الحجم في أكثر من ٨٠٠٨ صفحة حيث يجد القارئ نفسه راكضا من مكان إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى كأنه خارج الزمان والمكان ، وتشابهت الرواية مع الاعمال الكلاسيكية لكبار الكتاب في أوربا مثل : البحث عن الزمن الضائع لبروست ، الحرب والسلام لتولستوي ، والثلاثية لنجيب محفوظ ، ولا تطفئ الشمس للأديب إحسان عبد القدوس ، وغيرها .

ولا ندري سر الطريقة الغريبة التي اتبعها جويس في بناء روايته من حيث الغموض والعالم النفسي وأسرار الذات ويقال أن هذا يعود إلى طفولته وحياته التي عاشها محرومًا يعاني الغربة والعذاب ، حيث كان أبوه مولعًا بالشراب . ماجنًا لا يقيم وزناً للقيم و الأخلاق وأمه سيدة رقيقة المشاعر تحتمل حماقات الأب بصبر من اجل ابنها واضطرت الأسرة إلى إيداع ابنها مدرسة داخلية

ووقف جويس الطفل يبكي وهو يبتعد عن أمه إلى المدرسة .

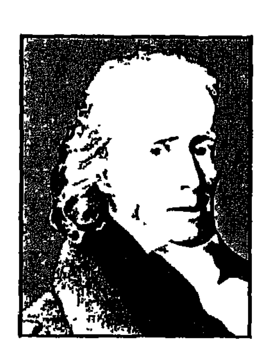
وفي داخل المدرسة صادف النظم المعقدة التي لا تبالي بالمشاعر والعواطف فشعر بالاحتراق والكبت وأنه يود تدمير هذا العالم . وكبر في داخله شعور بالاضطهاد والرغبة الشديدة في التمرد و الثورة على القوانين ، وربما هذه الظروف السيئة هي التي جعلته يقبل على القراءة ، فتأثر باعمال الأديب النرويجي هنريك أبسن ، وصموئيل بيكت هذا الذي أصبح صديقًا له بعد ذلك وعشق في هؤلاء تقديسهم للحرية والحياة .

وبعدما توفيت أمه شعر بصدمة كبيرة لارتباطه العاطفي بها وحبه العميق لها وكتب في تلك الفترة روايته « صور الفنان في شبابه » ، ورمز بها إلى حياته التعسة وشقائه الذي لا حد له بين ما يحلم به وما يراه في الواقع من إحباط وتوحش ودمار .

وقرأ جويس في علم النفس وتأثر بكتابات فرويد رائد التحليل النفسي ولذلك اتبع في قصصه النفس الممزقة وأعماقها وأسرارها ورغباتها وانفعلاتها بالمواقف وكشف الجانب الخفي من تيار اللاشعور بطريقة مباشرة أحيانا ورمزية أحيانا أخرى .

ومن المواقف الغريبة التي اعترضت حياته أنه بعدما كتب مجموعته القصصية «أهل دبلن» وطبعها على نفقته وذهب لاستلام النسخ من المطبعة فوجيء بأن شخصًا مجهولا جاء استلم النسخ كلها وحرقها ، ولكن جويس أعاد طبع المجموعة مرة أخرى ليتحدى هذا القدر الذي يترصده ومن يقف ضد إبداعه .

كانت ابنته تحب صديقه الكاتب صموئيل بيكيت ومرضت وماتت، فحزن عليها كثيرًا وأنفق ما يملك ليعالجها ولكن لم يكتب الله لها الشفاء فظل يائسًا يلعن الأيام والأحداث حتى ضعف بصره وغادر فرنسا إلى جنيف وأصيب بمرض في المعدة أدى إلى وفاته عام ١٩٤١ .



ذيونيسيوس كوكينو

(١٨٨٣ - ١٩٦٩م)

أديب الواقعية في الأدب اليوناني الحديث الذي عبر عن إيحاءات الصراع اليومي في الحياة من خلال عاطفة الحب والترابط الحميم بين الرجل والمرأة ، إن الحب الرومانسي ولحظات انخطاف الروح لا تعني هذا الأديب وإنما الحب الذي يقهر اليأس ويرقي بروح الإنسان ويقاوم شظف العيش ومرارة الواقع وهزيمة الفرد هذا الحب المغلف دائما بالمأساة بين عالم المدنية والصخب و التسابق إلى المال و السلطة .

ويرفض كوكينو شطحات الخيال والاغراق في الأوهام ويقول :

إن الأحداث في الحياة غير متوقعة لو قرأها المرء في كتاب لسخر من المؤلف لشطحات خياله غير المبررة التي تولد كل هذه المغامرات .

ولذلك نلمح في قصصه هذا التقارب الحميم مع الأبطال سواء في المدن الكبرى أو القرية أو البيئة الشعبية وهذه الواقعية دائمًا مقترنة بالمأساة التي تمزق الأبطال وتصهر نفوسهم وتلقى بهم في بحار الشجن والعذاب .

ففي قصة « سائق العربة » نجد البطل قد فقد ابنه في الحرب وماتت زوجته وابنه الآخر في مصحة لأمراض الصدر ، وابنته الوحيدة هربت من البيت إلى طريق الضلال ، ثم وجدها ميتة على الطريق ، ويعتني البطل بحفيده الوحيد ويشعر بالحياة والحب معه ولكن يأتي والد الحفيد الذي خرج من المستشفى ليصطحب ابنه معه ويرحل به بعيدًا ويظل الجد يبكي من أجل حفيده حتى ينهار تمامًا ويشعر أنه فقد كل شيء وتنتابه نوبة قلبية وتفارقه الروح .

هكذا ينسج الأديب اليوناني أحداث قصصه الدامية ويتناول الجانب النفسي بالتحليل والتركيز على انفعالات الأبطال ، إنهم في الغالب مهزومون وبؤساء ومنسحقون أمام الأحداث والأقدار

ويؤمن كوكـينو بأن في أعمـاقنا روحًا مأسـاوية كُتب عليهـا أن تغامر وتنـاضل فى مواقف الألم والشقاء وقد تنهزم هذه الروح ولكن هذا لا يهم مادامت تناضل حتى اللحظة الأخيرة في الحياة .

أما في رواية « السيدة ذات الحصان الأبيض » عن شاب يـدون مذكراته ويعشق فتاة تتزوج من رجل لا تحبه ويظل الشاب هائـمًا في حبيبته المقـدسة ويسامحها لزواجهـا من غيره إلا أنه يكتشف في يوم ما أنها على علاقة آثمة برجل صعلوك فيسـرع إليها ويطلق الرصاص عليها ويعيش معذبا بضميره وآثامه .

إن علاقة الرجل بالمرأة لا بد أن تـقوم دائمًا على مكاشفات عـاطفية صادقة ومـواقف وجدانية وافكار اخلاقية وقـد حاول كوكينو أن يبرز صوراً مـتناقضة لهذا المجتمع اليـوناني وما يسوده من اضطراب في الاخلاق وجشع في النفوس وغلبة الجانب المادي على الروحي .

وهنا يدعو الأديب اليونانـي إلى علاقات قائمة على المثل العليـا والقيم الأخلاقية فـالمرأة عليها مواجهـة الحياة بثقافـتها وعلومهاوفكرها وارتبـاطها بدورها الكبير تجـاه المجتمع والناس. والرجل مسئوليته كبيرة في موقعه واتجاهه إلى التعمير و البناء وتربية النفس و العقل .

ومن أهم الكتب التي نشرها كو كـينو: تاريخ الثورة اليونانية فى اثنى عشـر جزءً وقد نجح هذا العمل الكبير لأنـه كُتب بطريقة شيقة وظل طيلة الخمـسة والعشرين عامًا الأخـيرة من حياته يدون تاريخ الثورة اليونانية معتمداً على ما لديه من وثائق .

وعندما أنهى كوكينو هذا العمل التاريخي كان راضيًا تمامًا عن إنجازه الكبير وقال :

- استطيع الآن ان أستقبل الموت وأنا في أحسن حال فقد قدمت لوطني كل عصارة ذهني وفكرى .

وفي الحقيقة لم يعد قادراً بعد ذلك على أن يراجع مؤلفاته أو أن يضيف لها شيئًا جديداً .

ويقـال أن كتـابه التاريخي هـذا أصبح مـرجعًـا مهـمًا في الجـامـعات وأقـبل عليه البـاحثـون والمتخـصصون والدارسون ، وأشـار كبار المفكرين و الأدباء وأساتذة التـاريخ أن ما قدمه كـوكينو يعتبر أعظم ما كتب في تاريخ اليونان .



فرانز كافكا

(١٨٨٣ - ١٩٢٤م)

فرانز كافكا أديب ألماني ولد في براغ ، عانى في طفولته من قسوة أبيه واستبداده . إذا قرأت أعماله وهى : القضية ١٩٢٥ .. القصر ١٩٢٦ .. أمريكا ١٩٢٧ ، شعرت بصدمة رهيبة وألم من الغموض والرعب والوحشة .

فأنت تشاهد البطل محاصراً بالحياة و اللاحياة ، ضائعًا في متاهات غريبة لا يجد منفذًا لخروج أو طريقًا للفرار ، وقد مزج كافكا هذه الصورة بالسخرية و التهكم و المفاهيم الفلسفية العميقة . ويقرر النقاد أن هذا يرجع إلى مآسي عاشها في حياته حيث ينحدر من سلالة يهودية وأسرة تحافظ على التقاليد السطحية المتكلفة ولكنه وقف أمام هذه التقاليد ورفض الحياة .

وقد تزوج امرأة .. لا يحبها فكانت مأساة أخرى وأصيب بمرض السل وعجز الأطباء عن علاجه ، إضافة إلى هذا فالمناخ السياسي الذي عاش فيه هذا الأديب قبيل الحرب العالمية الأولى يتسم أيضًا بالوحشية والكآبة و البؤس وتوقع الكوارث حتى قامت الحرب فشاهد سقوط الإمبراطورية الألمانية وانهارت كل مبادئ العدل وأحلام الشباب .

لقد أطلق النقاد على أدبه أنه « الأدب الأسود » حتى إن كُتبه كانت تصادر وتحرق في برلين بينما تُطبع وتترجم في باريس ولندن وأمريكا ، ومن كلماته يقول :

الدنيا تمشي به ولكن الأغرب أنها بدونه أيضًا تمشي ، إنه مجرد عشب ضئيل شيطاني لا لزوم له . إنني أعيش غريبًا أكثر من الغرباء أنفسهم .

الإنسان عار وقد جلله العار ، لا أجد من يفهمني في شمولي وكياني ولو كان هناك من يستطيع ذلك.. امرأة مثلا فسيكون معنى ذلك أن لا أقف على قدمي وأن أموت .. أموت .

و الحب الجسدي يطمس الحب الروحي ولكنه لا يستطيع ذلك إلا لأنه يحمل الحب الروحي في طياته

ويلا وعي منه .. أنا لا أحبك أنت .. بل أحب ما هو أكثر من ذلك .. أحب وجودي الذي يتحقق من خلال حبك .. لقد مزقت نفسي بنفسي .

وإذا قرأت روايته «القضية »عن رجل جاوز الشباب يفيق من نومه ذات صباح ليدخل عليه رجلان يزعمان أنهما يمثلان الشرطة ويبدآن معه التحقيق وهو في دهشة لا يدري ما هي تهمته ويتركونه بعدما يعرف أنه « متهم » وسيدعى للمحاكمة في يوم ما . ويحاول هذا الرجل أن يعيش حياته فلا يستطيع . يود أن يدافع عن نفسه . وفي يوم تأتيه مكالمة تليفونية بموعد المحاكمة وعليه أن يذهب إلى مكان المحكمة ، وعندما يذهب لا يجد شيئًا .. مكان محطم يسكنه بعض الفقراء ولا يعرف شيئًا .. ويظل يبحث عن المحكمة فلا يدرك مكانها حتى يأخذه رجلان خارج المدينة ، ويطرحانه أرضا ويقتلانه ولا يقاوم ويسمع صوتًا يقول : يموت كالكلب .

وفي رواية « المسخ » يستيقظ البطل ليشاهد نفسه قد تحول إلى حشرة فظيعة ، فماذا يفعل ؟ ولا شك أن هذا العالم الغامض الذي يسيطر عليه اليأس و التشاؤم و الإحباط والموت واللامبالاة صورة من العبث والسخرية في الحياة فالإنسان يولد ولا يدري إلى أين يمضي؟ وماذا سوف يحدث له في الغد ، إنه سجين الظروف والأقدار .

وقد تصور كافكا أن هذه الأعمال التي كتبها لا قيمة لها إطلاقا فكتب في وصيته أن تُحرق كلها لأن القراء لن يجدوا فيها فائدة . ولكن هذه الوصية لم تنفذ ونشرت أعماله كلها ودرسها النقاد وقرأها القراء عن ملامح إنسان خربت روحه وانهارت ذاته في عالم من الفوضى والضباب.



أزرا باوند
(١٨٨٥ - ١٩٧٢م)

شاعر أمريكي تعمق في اللغات الأجنبية و الثقافات العالمية المختلفة وقرأ في النظريات العلمية و التاريخ وعلم النفس ومزج كل ذلك بإبداعه الشعري فأصبحت قصائده أقرب إلى ضباب الأساطير وخرافة ماوراء الطبيعة وحكايات النفس المعذبة الباحثة عن رؤية جديدة في عالم تنهار جمالياته وتتلاشى منابع سحره تحت وطأة الألم و التمزق والغربة .

ولد في أمريكا وأمضى سنوات من عمره في لندن ثم سافر إلى باريس وقرأ هناك و التقى بالشعراء و المفكرين وعاش معهم يساندهم ويضحي من أجلهم في محن الحياة ويدافع عنهم وينشر المقالات النقدية عن إبداعهم .

وقال الأديب أرنست همنجواي عن الشاعر ازرا باوند : إنه يكرس خمس وقته للشعر وبما تبقى من الوقت يحاول أن يساعد أصدقاءه في حياتهم المادية والفنية .

ورحل الشاعر أزرا باوند إلى إيطاليا واستطاع أن يحتل مكانة كبيرة في الحركة الثقافية والأدبية. وشارك في الحياة السياسية ، وفي الحرب العالمية الثانية هاجم امريكا وإنجلترا وانحاز إلى موسوليني.

وبعد الحرب العالمية وجهت إليه تهمة الخيانة العظمى وقبض عليه وأودع السجن وكان يتحدث عن حرية الانسان والعنف الدموي الذي اجتاح البشر والأرض فرأت المحكمة أنه مختل الذهن وغير قادر على الاتزان النفسي و التحكم في سلوكه فقررت إرساله إلى مستشفى الأمراض العقلية وظل هناك من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٨ .

اثناء فترة السجن كتب أروع أعماله الشعرية وهي ديوان « الأناشيد » الذي بلغت أجزاؤه أكثر من مائة جزء عبر فيها عن أفكاره وخياله العميق وأحلامه المتطرفة ومدى تأثره باللغات اليونانية

واللاتينية و الفرنسية والإنجليزية وظهرت في قصائد "الأناشيد" أيضًا ملامح من أعلام الشعر والأدب و الحضارات الغربية والنظريات العلمية وشواهد من الأساطير الخارقة و الحضارات القديمة .

ولذلك تشعر أن قصائد «الأناشيد» تخلو من الوحدة الموضوعية أو التسلسل المنطقي والفكرة المحكمة ، فهى قفزات في الفكر من عصر إلى آخر يمزج التاريخ بالسياسة بالفن بالأدب بالفلسفة والجغرافيا .

ويقول في إحدى قصائده :

ما تحبه اليوم الحب الصحيح يدوم

كل ما عداه نفاية

ما تحبه الحب الصحيح لن يغتصب منك

ما تحبه الحب الصحي إرثك الحق

عالم من عالمهم أو عالمي

أم أنه ليس بعالم واحد ؟

جاء النعيم المرئي أولا أي المحسوس

وإن كان في ردهات الجحيم

ما تحبه الحب الصحي إرثك الحق

ما تحبه الحب الصحيح لن يُغتصب منك

وفي نص شعرى آخر يقول :

خفف غرورك

أنت كلب منهك تحت البرد

متورم بشمس متقلبة

أسود نصفك ونصفك ابيض

لا تميز الجناح من الذنب

خفف غرورك ..



جان جون برس

(١٨٨٧ - ١٩٧٥م)

جان جون برس شاعر فرنسي امتد أثره الفني إلى الشعراء العرب فتسرب إليهم بعض من مزاجه النفسي وأهوائه الشعرية والتداعي الحر الذي ترحل فيه القصيدة إلى ما وراء هذا الواقع وضربات اللا وعي والحلم الخرافي وتأوهات النفس وإحساسها بالقيود والظلم .

سافر الشاعر إلى بلاد كثيرة بحكم عمله فى وزارة الخارجية حتى اختار أمريكا مسكنًا له ، صدرت له مجموعات شعرية هي مدائح ١٩١١ ، وأخيراً ديوان «وقائع ١٩٦٠»

وأهم ظاهرة فى شعره هو النسيج الباطني الذي يشكل الصور الفنية ، فهو يرتد إلى أعماق ذاته يعبر بطرائق شائكة وصعبة ، وغامضة دائمًا ، ولكن تبعث في القصيدة نغمًا ينثر المتعة ، وتحس بنزيف ألم شاعر لايدري كيف يتوافق أو يواكب الحياة ، فهناك تنافر بين طموحه وما يتحقق أمامه،وقد يغنى للزمن القادم والأيام الغائبة ، يغني فى تيار من الحزن والكآبة ، باحثًا فى ردهات روحه عن معنى خفي يمنحه بشارة الأمل ويفجر لديه طاقات من الفرح .

فيقول فى إحدى قصائده :

«أجل ، كل الأشياء مفضوضة .. أجل ..كل الأشياء ممزقة والعالم الذي يمضي .. والجناح عالٍ إنه طيران التبن والريش ، نداوة زبد وخشف .. في صعود العلامات والمدينة المنخفضة نحو البحر فى اضطراب الأوراق البيضاء .. نشرات ونورس في طيران واحد»

وقد أعجب القراء بديوانه «اغتراب» الذي صدر بعد الحرب العالمية الثانية ويمكنك أن تدرك سر هذا الإعجاب لأنه رسم صورة للإنسان المعاصر فى تلك الفترة بعد أن أكلت من حشاشة قلبه حروب وتغيرات الحضارة المادية الأوروبية التي فقد فيها طموحاته وأحلامه البريئة ولذلك يقول :

«انتهى الحلم الذي فيه يبهر انتظار الحالم .. خلاصنا في السرعة وفي الانتهاء .. نفاذ الصبر في كل الأمكنة .. ومن فوق كتف الحالم تهمة الحلم والجمود» .

وقد أدت حياة الحروب إلى جراح في الروح ، وبدأ المفكرون والشعراءيحاولون إيجاد خلاص لهذه الأزمة الروحية ، فكل شيء في شقاق ، والعلاقات الاجتماعية مبتورة ، والحب ليس غير متعة جسدية ويشتري بالمال ، وشاهد الشعراء كيف يتحولون إلى سلع بلا قيمة فوق هذه الأرض فيقول:

«التطرف عقيدتنا .. وحده الهرم هناؤنا .. وكتب كبيرة تحمل أفكار الريح .. أين تراها إذن ... سنجعل منها مرعى لنا .. قانونًا للتعصب .. الانشقاق تقليدنا .. ليس عندنا أيتها الآلهة سوى الشقاق بيننا .. أصفروها أيها المفلسون .. الرياح قوية وهذا هو امتيازنا» .

وهذه الفكرة وهي خراب الروح ودمار الوجود الجميل عبر عنها هؤلاء الشعراء الذين ذاقوا ويلات الحروب ومنهم توماس ستيرن إليوت في رائعة «الأرض الخراب» التي قدم فيها مرثية للحضارة الغربية عام ١٩٢٢ .



توماس أليوت

(١٨٨٨ - ١٩٦٥م)

الشاعر توماس ستيرن اليوت أمريكي المولد والنشأة ، ثم سافر إلى لندن واستقر هناك ، كتب قصيدته « الأرض الخراب » ونشرها عام ١٩٢٢ وهى تعتبر مرثية لحضارة القرن العشرين التي طغت على النفوس بالمادة و الحروب و العنف وعاش الإنسان ضائعا بلا قيم أو أخلاق أو عقيدة تنقذه من هذا الهلاك اليومي الذي يصادفه ، وقد تأثر كثير من الشعراء الرواد بهذه القصيدة مثل صلاح عبد الصبور و السياب و البياتي ونازك الملائكة ، وغيرهم . فماهي الظروف والعوامل التي خلقت من هذا الشاعر هذه الصورة الرائدة في الشعر والنقد والأدب ؟

كان والده يدير شركة صناعية ويهوى الرسم وتملكته في البداية المبكرة لحياته رغبة أن يصبح رساما ويذكر أن عائلة إليوت ساهمت في تأسيس جامعة واشنطن ، كما كان لها فضل السبق في الهجرة من انجلترا إلى أمريكا قبل مئات السنين .

أما عن أمه ، فهى امرأة مثقفة تقرأ في الأدب والدين وعندما لم تتوفر لها الظروف للدراسة في الجامعة ، اتجهت للعمل بالتدريس ، وقد نشرت بعض القصائد التي تكتبها ، منها قصيدة عن حياة الراهب « سافونا رولا » . في هذه الأسرة نشأ إليوت متأثراً بالاتجاهات الفكرية المتوارثة داخل العائلة ، وذلك باهتمامه بالتقاليد والإيمان بقيم الشرف والنبل والحق و الأخلاق . ومن خلال هذه الروح المحبية للماضي ، المتطلعة إلى ماهو أصيل وجميل ، أقبل إليوت في طفولته على الشعر ، يقرأ في الأدب اليوناني و الروماني والشعر الإنجليزي ، وكتب الشعر في مرحلة مبكرة من حياته وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر .

أول ديوان شعري أصدره بعنوان « بروفروك وملاحظات أخرى » وذلك عام ١٩١٧ وديوانه الثاني بعنوان « قصائد » حتى نشر قصيدة « الأرض الخراب » عام ١٩٢٢ فأحدثت دويًا هائلاً في عالم الأدب و النقد لما تضمنته من أسلوب غير مألوف وثورة على الرومانسية وتأصيل للواقعية

والعودة إلى تراث الشعر الأوربي القديم متأثراً بالشاعر الكبير « دانتي » .

توالت أعماله الإبداعية في الشعر ولاقت نجاحًا وهى : أربعاء الرماد ، الديوان الكامل ، بيرت نورتون ، إيست كوكر ، إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، والرباعيات الأربع .

وفي المسرح ساهم بمجموعة من المسرحيات هى: الصخرة ، جريمة اغتيال في الكاتدرائية ، جمع شمل العائلة ، حفل كوكتيل ، أمير السر ، رجل الدولة الكبير ، وفي هذه المسرحيات وظف لغة الحياة اليومية داخل العمل ذاته فقد كانت المسرحيات تلجأ إلى المبالغة و التهويل وتقديم أفكار تعلو على فكر الجمهور العادي كما في مسرحيات شكسبير .

ولكن جاء إليوت وجعل الناس يشعرون أن العمل الذي يجرى أمام عيونهم بأحداثه واقع يلمسونه كل يوم ويشاركون في اتجاهاته ، وهذا ما جعل مسرحياته يقبل عليها الجمهور ويناقشها النقاد وتحقق جدلاً بين المثقفين ، وكذلك القضايا التي عبر عنها في المسرح هي التي يعاني منها الإنسان في حياته اليومية . وهذا التكنيك الفني الذي أقام عليه مسرحه قد أكده في نظرياته النقدية التي كتب عنها ونشرها في دراساته ومقالاته الكثيرة ،ومنها : "الغاية المقدسة" وهو أول كتاب نقدي يصدرله .

في قصيدة "الأرض الخراب" نغم حزين يرفض الواقع ويغرق في اليأس والتشاؤم ، فالإنسان قد هبط إلى الحضيض وانطمست جذوة الروح وغابت في الرغبات الحسية وتحت أصوات الآلة التي تحطم المشاعر وتسلب الفرد من كيانه وإنسانيته .

في "الأرض الخراب" بحث إليوت عن الشرف والكرامة والأخلاق الرفيعة ، فروعه أن كل هذا قد سقط وضاع ولانجاة من هذا الواقع المؤلم . كما نجد في "الأرض الخراب" هناك إشارات كثيرة إلى تراث الشعر الإنجليزي وشعر دانتي وأوبرات فاجنر و الشعر الألماني و الفرنسي وصور ومشاهدات وحوارات وشخوص كثيرة ، وقد يخيل لك أن هناك عدم ارتباط بين مقاطع القصيدة وكل أجزائها ولكن بعد الانتهاء منها وتحليل دلالاتها ترى أنها تؤلف وحدة عضوية متناسقة في الفكرة والإحساس .

"الأرض الخراب" قصيدة عميقة لاتخلو من غموض ، ولهذا لم تُكتب لـلقارئ العادي وإنما للصفوة المثقفة التي لديها أفكار مسبقة عن التراث و الشعر والفن ، وهذا هو أدب إليوت الموجه إلى المثقف ثقافة عميقة جادة وصادقة .

وإليوت هو صاحب نظرية المعادل الموضوعي في النقد وتحدث عن هذه النظرية في مقالة

بعنوان « هملت » حيث أوضح بأنه لا يمكن أن يحلل الأفكار الذهنية للبطل هملت من خلال موضوعات أو نظريات نقدية جاهزة أو سائدة ، بل يجب أن نبحث عن معادل موضوعي للأفكار التي في ذهن « هملت » أي البحث عن حقائق ، وأفكار و احداث تكون ذات تأثير وقوة تعادل احاسيس البطل « هملت » وتتفق مع موضوع أفكاره .

ويرى إليوت أن الشعر مهمته ليست في خلق الانفعالات و التطرف في الهياج النفسي أو الحماسي وإنما الشعر تعبير عن الانفعال الإنساني في تدفقه الطبيعي ، والشعر ترويض للشعور وهروب من الذات .

و الشعر الجميل هو ما يُكتب في كلمات موجزة ، مكثفة و الابتعاد عن اللغة الرنانة التي تدوي في فضاء النفس وصحراء القلب بلا أثر .

في قصائده يقول :

اين تكون الكلمة . أين تدوي ؟ .. هنا

في البحر . في الجزر على اليابسة ؟

في أرض المطر أو أرض الرمل ؟

هنا .. لا صمت يكفي أولئك الذين يسيرون

آناء النهار وأطراف الليل .. الزمن

غائب .. والمكان الصحيح غائب ...

ماتزال الأشرعة البيضاء تتجه نحو البحر

ونحو البحر تطير أجنحة غير مكسورة ...

وإلى العصيان تسرع الروح الضعيفة ..

وأصوات البحر الضائعة .. ويسرع الليل

الضائع ...

ومن قصيدة « الأرض الخراب » يقول :

نحن الرجال الفارغون

نحن الرجال المجوفون

نتساند

ورءوسنا محشوة بالقش

واسفًا

واصواتنا الجافة

عندما نتهامس معا

تكون هادئة بلا معنى

بين الفكرة الخضيضة

بين الحرية و العمل

يقع الظل

بين التوهم والخلق

بين العاطفة والاستجابة

يقع الظل

لقد تعبت من حياتي

وحياة أولئك الذين سيعقبوني

وأنا أموت ميتتي

وميتة أولئك الذين سيجيئون بعدي

أيتها المدن التعسة

التي أنشأها رجال مدبرون

أيها الجيل التعس المؤلف من رجال مستنيرين.



وين بي تو

(١٨٨٩ - ١٩٤٦م)

شاعر صيني مناضل ظل يغني لبلاده وفجر الحرية الجديد الذي يطرق الأبواب بدم الأحرار .

درس في جامعة تشينخوا في بكين وسافرإلى أمريكا ليدرس الفنون التشكيلية والأدب واطلع على الآداب الغربية و التراث الصيني القديم.

وكان في طفولته يعشق التأمل ويظل يقرأ ويحلم بأن الكائنات حوله تتدفق في قلبه وأنه ليس وحيدًا في هذا الليل .. فالمصابيح ليست إلا أنفاسًا للحب و الأمان ، والمقاعد اصدقاء و الكتب القديمة لها عطر جميل وفنجان الشاي عالم آخر يكتشف فيه أحلامه .

وعاش الشاعر الصيني حياته من خلال وجدانه يرى الناس بقلبه ويلمس الأشياء برقة إحساسه ويتحدث إلي النجوم و الأفلاك و الطيور بوهج روحه .

ولذلك يقول عن الليل :

هذا المصباح هذه الجدران الأربعة المبيضة بضوئه

هذه المائدة الجيدة

هذه الكراسي الأليفة ألفة أصدقائي

عطر هذه الكتب القديمة الذي يهاجمني

هذا الفنجان من الشاى الصديق

النقى نقاوة عذراء

الطفل الذي يعشق أمه

هذا الليل الحافل بالأسرار هذا الهدوء الشامل

نشيد من الشكر يرتجف في قلبي

في قصائد الشاعر الصيني وين بي تو رسالة شعبية ومهمة إبداعية وهب ذاته وفنه لها وهى التعاطف مع الجماهير المكافحة و النضال من أجل حرية بلاده في صراعها مع اليابان .

وعندما عاد بعد دراسته في أمريكا شعر بأن له دوراً حقيقي لابد أن يمارسه وأن مبادئ الكفاح والإيمان وحب الأرض ليست إلا قضية عليه أن يحملها ويمضي من أجلها شاهراً قلمه وسلاحه وبدأ يوظف اتجاهاته الشعرية لحرية الوطن وإثارة قومه ضدالظلم و العبودية وإلى الاستقلال .

وعندما شبت الحرب انطلق يدافع عن وطنه الصين وينشر القصائد الحماسية والأناشيد الثورية ولا يحلم بشيء سوى أن تنهض بلاده وتعيد مجدها القديم ويغني للوطن ويقول :

أوه يا ريح الخريف السريعة هبي

أريد أن أمجد عبير أزهار وطني

أريد أن أمجد عبير وطني الجميل كالأزاهير

هبي فوق كلماتي لتصبح باقة من الأزهار الغضة

واتجه الشاعر الصيني وين بي تو إلى كتابة المقالات السياسية وهاجم الفساد الذي استشرى في البلاد ونقد مساوئ المجتمع وتخاذل الناس وخوفهم من الحقيقة ، ودعا إلى التمرد على الجمود الذي يسيطر على الأذهان والخروج من ظلمات الجهل إلي نور العلم و المعرفة .

ويعبر عن أحزانه قائلا :

الأرض تدور لا تتعثر

كل شيء يبتسم لشمس الصباح

لست أجهل الابتسامة

ولكن دموعي تسبق ابتسامتي

ومن الغريب أن هذا الشاعر الثائر الذي عشق شمس بلاده وأرضه وخصبهاودافع عن كيانها وشارك في الحروب بالسلاح و الشعر يتم اغتياله ذات ليلة عند عودته إلى بيته ويسقط على الأرض التي أنشد لها اجمل الأشعار .. وتتدفق دماؤه ساخنة في باطن الأرض .

ويبدو أنه كان يتوقع هذه النهاية المفجعة إذ يقول للوطن :

إن حملت إلى السرور

مت مسروراً

وإن حملت إلى الشقاء

مت شقّيا

الموت هو الشيء الوحيد الذي أطلبه منك

موتي هو أقصى هبة أقدمها اليك

ويرحل صوت الشاعر وين بي تو ، وتظل روحه تغني للمجد و النضال وتدعو إلى التمرد على الذل والعبودية وانتصار إرادة الإنسان .



بوريس باسترناك

(١٨٩٠- ١٩٦٠م)

بوريس باسترناك الأديب الروسي الذي حاز على جائزة نوبل عن روايته «دكتور زيفاجو» عام ١٩٥٨ في إيطاليا.

فقد رفضت الحكومة الروسية طبعها اعتقاداً أن الرواية توجه النقد الحاد إلى ثورة ١٩١٧ . وفي الحقيقة هى أحد الأعمال الكلاسيكية الواقعية التي كتب مثلها تولستوي في (الحرب و السلام) ، وهمنجواي في (وداعًا للسلاح) ، و (البحث عن الزمن الضائع) لمارسيل بورست ، و(البؤساء) لدستوفيسكي و (الثلاثية) لنجيب محفوظ .

ولقد ظل باسترناك يحلم بإبداع أقرب إلى الأسطورة ، يحمل في جوهره ملحمة النضال في الحياة ومواجهته للحرب والضياع والتمزق و التضحية وتصوير الأفراد في حالات القنوط والهزيمة و التراجع واليأس وأيضًا في حالات العشق و الفرح و الفراق والموت و الغربة .

وإن كان هناك رصد لوضع الأفراد تحت النظام الشيوعي أو نقد لسلبيات هذا النظام فلم يأت ذلك عمداً ، بل في سياق الإطار الفني للرواية كمايرسمه باسترناك . وقد ترجمت الرواية إلى عدة لغات أجنبية قبل أن تصدر في لغتها الأصلية . وسر نجاحها قدرة الكاتب على تحليل المشاعر وصف العواطف وتأثير المكان والأحداث . فهناك تشويق في الرواية يجعلك مستمراً في متابعتها مع الصدق الفني وإذابة الشخوص في تاريخ الوطن من حروب أهلية وعالمية فتشعر أن الدكتور زيفاجو شخصية تعرفها وتتعاطف معها وربما تجده مرآة ذاتك أو صراعك مع الأنظمة وهول الحروب .

وهذا الطبيب بعد أن تزوج المرأة التي أحبها يذهب إلى الجبهة أثناء الحرب العالمية الأولى ويحب ممرضة كانت تبحث عن زوجها فلم تعثر عليه حتى تعلم أنه مات منتحراً ، ويتعذب زيفاجو بين ولائه لزوجته وغرامه العنيف بهذه الممرضة ، ويذهب بأسرته ويصطحبهم إلى مدينة

بعيدة عن الحرب ، وتشاء الأقدار أن يقابل الممرضة التي يحبها فيرتبط بها ارتباطًا مصيريًا ولا سيما حين تُنفى أسرته ويظل وحيداً ضائعًا ، وعندمايموت تبكي عليه عشيقته الممرضة .

لقد تميز باسترناك برشاقة عباراته ودقة لمحاته وتفاصيله الصغيرة فهو لم يقصد أن يدين النظام الشيوعي ولكنه فنان يتطلع إلى مجتمع لا يتحول فيه الأفراد إلى آلات تُفنى دون قيمة ، أوتموت بلا هدف .

إنما يهتم بالإنسان وحريته وحقه في حياة يشعرفيها بذاته ووجوده وأنه كائن له اعتبار بما يحمله من أفكار واتجاهات للإصلاح الاجتماعي و التنوير العقلي . ومن الغريب أن باسترناك بدأ حياته الأدبية شاعراً وأصدر مجموعات شعرية هى : أختي الضابط شميد ، الميلاد الثاني ، سبيكتور سكي ، بالإضافة إلى ترجمة مؤلفات كبار الأدباء و الشعراء في العالم مثل شكسبير وجوته .

فيقول في إحدى قصائده وهى "حلم" :

في غسق النوافذ لزجاج قد حلمت بالخريف.. بالأصدقاء ..

أنت منهم في زحام المهرجين ومثل صقر شرب الدماء .. هوى من السماء.

قلبي فوق راحتك .. مضى الزمان .. شاخ .. علاه الصم. والفجر بالحرير فضض الأطر.. على زجاجها القى من البستان .. دموع سبتمبر القانية الدماء

وقد أحب في شبابه فتاة ظل يتودد إليها متمنيًا أن تتزوجه وعندما سافرت وركبت القطار هرع، وراءها ولكنها تركته حزينا يتألم ، وهذه التجارب قد حولها إلى قصص في شعره .

ورغم هذه المجموعات الشعرية إلا أنه لم يكن يشعر بالرضى والاستقرار مع ذاته ، إنه يحلم بشيء لا يعرف كيف يطلقه من صدره ، يحلم بالبحث في كل مكان ، التاريخ المجتمع الناس الأنظمة ليصل إلى جوهر الحقائق ولذلك بعد أن انتهى من رواية دكتور زيفاجو تلك قال وهو يتنهد :

استطيع أن أرتاح الآن وأقرأ في وجوه الآخرين صدى روايتي

وكان محقا .. لقد نجحت الرواية وانتشرت وذاعت في العالم لأنه حول التاريخ إلى فن الشخوص إلى أطياف و السرد اليومي للحياة إلى متعة و الحب الذي لا يموت في الروح إلى كائنات تتنفسه وتعيش به وتدافع من أجله وتؤكد حضورها حتى أمام قوى الدمار و الحروب ومفارقات القدر و الحياة .



ماوتسي تونغ

(١٨٩٣ - ١٩٥٣م)

شاعر وزعيم الحـركة الشيوعية في الصين الذي حارب من أجل الفقـراء و العمال ووقف أمام الإقطاعيين والبورجوازيين وصاح:

لتزدهر مائة زهرة ولتنافسها مائة مدرسة

أيها الناس اعطوا قلوبكم لهذا الوطن

الجميع هنا جنود عمال

ولد الشاعـر ماوتسي تونغ في أسرة فقـيرة وعمل في المزرعة ينقب الحطب ويطعـم الحيوانات ودرس في المرحلة الثانوية العلوم الطبيعية و اللغات الأجنبية والتاريخ المعصر والجغرافيا .

اهتم منذ طفولتـه بالقراءة ومتـابعة الأحداث السـياسيـة في وطنه و التعبـير عن رأيه بشجـاعة وتحد. عندمـا كان في السابعـة عشرة من عمـرة شهد الإبادة الجمـاعية للفـلاحين الذين ثاروا ضد الإمبراطور وأعوانه مطالبين بتحسين أحوالهم الحياتية . واستبد به الحزن والألم وقرر أن تتغير هذه الأمور واستقر الغضب في داخله يبحث عن منفذ للانفجار .

وبدأت هذه الأحداث تلـهمه بكتـابة الشعـر وتسجيل مـا يشعـر به من أحاسيـس وأفكار تجاه الواقع القاسي الذي يعاني منه العمال و الفلاحون الفقراء حـيث سيطرت الطبقة المالكة وحاشيتها من الأثريا و الاقطاع على أحوال البلاد وتركت الشعب يعاني الجوع والمرض والآلام .

وعبر ماوتسي تونغ عن غضبه حين انتشـر مرض الطاعون في البلاد وفتك بالأطفال و العجائز وأحدث اضطرابًا في البلاد فقال في إحدى قصائده الحزينة :

ماذا يفيد هذا العدد

الكبير من الأنهار ومن الجبال

والهضاب ؟

عندما لا تستطيع أن تعمل شيئًا

ضد هذا المرض اللعين

الذي سبب فراغ ألف منزل

وسكن الشياطين تحت عشرة آلاف سقف

والأرض لا تقطع في اليوم

أكثر من ثمانين ألف كيلومتر

ولكن إذا ازداد وباء الطاعون

ستذهب السعادة على الحزن

لتسير في مجاري الأنهر الملغاة

في النسيم

في الربيع سيغمر المطر الأحمر

كل هذه النفوس

بدأ ماوتسى في سن مبكرة بالمشاركة في العمل السياسي عندما كتب مقالاً يدعو إلى عودة الزعيم السياسي صن يات تسن لمواصلة نضاله من أجل الشعب الصيني .

كما قام ماوتسى بقص شعر رأسه مع عدد من الطلاب تعبيراً عن الرفض والأستياء والغضب فقد كان التقليد المتبع للشباب هو الشعر المجدول الذي يرمز إلى الطاعة للعائلة المالكة .

ومع الأحداث السياسية انفجرت قنبلة في مدينة هانكو في ٩ اكتوبر ١٩١١ونفذ حكم الإعدام في عدد من الثوار، مما أدى إلى التمرد و الثورة وانضم ماو إلى صفوف الثوار وأطلق كلماته «حرروا الصين » ويكتب المنشورات المعادية للجنرال شيكاى الذي شكل حكومة ادعى أنها جمهورية .

وبدأ ماوتسي يؤسس جـمعيـات وأصدر مجلة للشـباب لنشر المقـالات الثورية وتأثر في تلك الفترة بـالماركسية وكتـابات كوتسكي وتاريخ الاشتـراكية ووجد في الشـيوعية أيديولوجـية جديدة لتنظيم الجمـاهير ورفع مسـتوي الكادحين ، واستطاع أن يؤسس الحـزب الشيوعي وينشـأ نقابات للعمال والباعة والموظفين تحت شعار :

"اقتلوا الطغاة والأسياد والبيروقراطين الفاسدين"

ونظم مـاو الحياة الـتعاونـية من مـصارف وجمـعيـات ومؤسـسات ومكاتب بريد ، وحـاولت الحكومة المركزية مقاومته ودخلت في حروب معه ولكن ماو ورفاقه استولوا على أكبر المدن .

وفي الحرب ضـد اليابان أسهم في توحيـد كلمة الصين وأعلن ثورة الجيش و الشـعب وانتهت الحرب وانتصر ماو على الحكومة المركزية.وأصبح سيد الصين وزعيمها .

وتميزت قصائد مـاو بتوظيفه لمفردات اللغة الصيـنية الكلاسيكية وتمجيده لإنسان وكـفاحه ضد من يحاول استغلال قدراته ويقول :

مناظر الشمال رياح وأضواء

جليد ملتصق فوق آلاف الأميال

هناك سور الصين العظيم

هناك وهناك

لا يوجد سوى الشهب حيث يضيع النظر

والنهر العظيم الذي أوقف فجأة تدفقه القوى

وكتب مـاو مسـرحيات وطنـية واستطاع أن يخلـق من ذاته مبدعـًا وزعيـمًا اشتـراكيـًا أصبح أسطورة شعبه وقالوا عنه :

كان الرئيس ينام فـوق سرير من خشب ولا يطلب خـلال الليل إلا قدحـًا من الماء مع أنه كان يمضي مـعظم ساعـات الليل يعمل ، ولم يـكن يملك سوى ردائين من القطن وخـرج يحتـفظ فـيه بأورقه .



أولدس هكسلي

(١٨٩٤ - ١٩٦٣م)

من رواد الأدب الإنجليزي الحديث الذي تمرد على الاعراف والأصول التقليدية حيث توقف الصراع بين العلم والدين وأصبح الأدباء يتجاهلون موقف الكنيسة تماما ويعبرون بحرية عن مصير الإنسان ودوره في الحياة.

وينحدر أولدس من نسل توماس هكسلي العالم الكبير، وجده توماس أرنولد أحد كبار رجال الدين في العصر الفيكتوري . وهكذا نشأ في بيت علم وأدب باذخ ونشأ شاعر الحس ، مرهف الشعور نزاعا إلى السمو وثابًا إلى الخيال . وأحب العلم والدراسة واهتم بشئون الكون ودرس في أكسفورد .

كانت متعته الحقيقية مطالعة المعارف والموسوعات في عمق وشغف شديد وقرأ كتابات الأدباء الفرنسيين والتراث الإنجليزي . سافر إلي بلا د كثيرة ، وكتب قصصًا تأثرت بالبلاد التي زارها في أوربا وأمريكا .

وكتب الشعر وهو مازال طالبًا في الجامعة ، وبعد دراسته عمل في الصحافة ومارس النقد المسرحي ثم هجر الصحافة وتفرغ للأدب وهجرالشعر بعد فترة وانصرف إلى القصة والرواية والمقال و كتب الرحلات .

وتميز بنزعته العلمية حيث الآراء والنظريات المقترنة بالبحث العلمي في كل شيء ،ويقال أنه هجر الحياة كلها من أجل القراءة والثقافة فهو يود أن يفهم العالم من خلال الكتب ولا يمارس أية تجربة في الحياة . وقد عشق التصوير والموسيقى .

وحين تقرأ كتاباته تجد مباحث كثيرة في القضايا التي تهم المثقفين و الحقائق العلمية خلال سرد طريف ودرامي ، وهو الذي مزج الحقائق العلمية بالسرد ويقول :

ـ كانت الجثة ملقاة وراء الستار وقد بدأت الكائنات الحية الهوائية الدقيقة تغزوها غزوها الذي لا يقاوم ، وسوف تستمرئ هذه الكائنات الحياة في خلايا الجثة الميتة .

وتميز أيضًا هكسلي بأسلوبه الساخر وطريقته في التهكم وهذه الطريقة يعالج بها متناقضات الحياة وأوهام العواطف وجهل الأفراد وغرور الجهلاء وصلف المتكبرين التافهين .

وهكسلي يرى أن العاطفة دائمًا تخدع ولذلك لا يريد الاحتكام إلى منطق العقل وهذا ما يلائم نظم الكون ويواكب الحياة .

ويقول في كتابه «أفعل ما شئت» :

ـ إذا أراد المرء الحياة الحقة فعليه أن يحيا حياة كاملة ملء كيانه بكل جسمه وغرائزه وعقله الواعي معًا.

يقول عن نفسه :

ـ أنا لست قصصيًا بارعًا ، وإنما كاتب مقالات مطبوع ، لأن المقال هو القالب الذي يتسع لما لدي من آراء طريفة كثيرة .

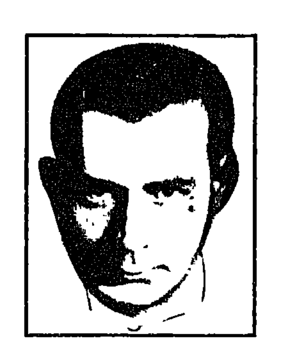
وقصص هكسلي لا ترتبط بالقواعد الفنية التي إتفق عليها النقاد ، وإنما هي غريبة في حوادثها وأسلوبها وتختلف نهايتها ولا تكون منطقية في الغالب .

ويمكن أن يقال بأنها قصص تعتمد على الفكرة وتعمق النظر في الحياة و الكون والإنسان ، والأشخاص في القصة هم رموز لأفكار عديدةومواقف غريبة في الحياة ، ولذلك يطلق على قصصه قصص الآراء والأفكار وليست قصص الفن الخالص و الشخوص المعقدة . وقد تعمد هكسلي أن تظل الشخصيات في رواياته على قدر كبير من الثقافة و العلم وبذلك تخلو قصصه من الشخوص العادية .

وأثار في قصصه قضايا الحرب والانفتاح على العلوم الحديثة والمساواة والنظر إلى المستقبل والسيطرة على الطاقة الذرية .

ويقول :

ـ إن في داخل الإسان نشاطً عاطفيًا ثائرًا إذا لم يوجه للخير اتجه إلى الشر ومن هنا تقوم الحروب المستمرة . ويرى أننا يمكننا معالجة أفكار الناس بالتحكم في عواطفهم والارتقاء بمشاعرهم وعقولهم .



لوتشيان بلاغا

(١٨٩٥ - ١٩٦١ م)

ولد الشاعر الروماني لوتشيان بلاغا في إحدى القرى وكان والده قسًا مثقفًا درس الثقافةالألمانية وأمه سيدة رومانية تميل دائما إلى سرد الحكايات عن تاريخ رومانيا.

اتجه إلى القراءة الفلسفية والأدبية وتأثر بكتابات شوبنهور وكانت وسبينوزا وهيجل والمفكر الروماني فاسيل كونتا وبرجسون . وحصل على لقب دكتور في فيينا عام ١٩٢٠ .

أول مجموعة شعرية هى « قصائد الضياء » ثم « حجارة لمعبدي » وانتخب عضواً في الأكاديمية الرومانية . ثم نشر مجموعات شعرية أخرى هى : خطوات البني مديح الرقاد ، تقسيم المياه ، عصر الحديد ، بواخر الرماد ، أغنية النار . وفي المسرح نشر عدة أعمال مسرحية ضمها مجلدان نشرا عام ١٩٧٧ .

سيطرت الفلسفة على اتجاهات الشاعر لوتشيان بلاغا فتمرد على الحياة وطرح أفكاره الجريئة وكشف تناقضات عصره وكان يرى أن الحياة ليست إلا سجنًا كبيراً وأن روحه تود الانطلاق خارج هذى السجون ، ولذلك كتب عليه القدر أن يصارع الطبيعة والكون ، بل أن يعيش كذلك الصراع و التطاحن والحروب بين الإنسان وأخيه الإنسان .

ولهذا يجب أن نثور ضد هذه المبادئ اللاأخلاقية والمفاهيم المتوارثة التي تبيح للآخرين امتلاك الفرد كأنه إرث أو ماده تَمتلك . واكتشف الشاعر ذاته في تلك الشفافية التي ينسجهاالشعرحول الحياة والموت والمدائن والزمان والمصير و العدم .

وعشق الشاعر الطبيعة الخضراء والمساحات الشاسعة بلا حدود وشعر بالرثاء لهؤلاء الراحلين إلى العالم الآخر وخشى من سيطرة روح العدم والفناء على هذه الأرض الخضراء ولذلك يغني ويقول :

أيتها الأرض امنحيني أجنحة

أريد أن أكون سهمًا لأشعة اللامنتهى

ولا أرى حولي سوى السماء

سماء في الأعلى وسماء في الأسفل

ملتهبة في أمواج الضياء

أريد أن أرقص ممزقاً بالحيوية الخارقة

ليتنفس الحب في أعماقي بحرية

ولا يعلن أبدًا :

« إنني عبد في سجن »

وحاول الشاعر الروماني أن يجد الخلاص لذاته الممزقة في السماء الرحبة و العشب النابت والبراعم الطالعة في الربيع ورحيق الأزهار الذي يهز أعماق النفس ويبعث في حناياها زهو الحياة والجمال وارتعاشات الحب .

هواء السماء

يعانق السماء

بحرارة وقت الغروب

ويجعل وجهها أرجوانيا

ممدد على العشب أنا

حالم أن أنهش البراعم

في غصن الربيع

وفي الطبيعة يتجسد الحزن المنسكب من قلب الشاعر .. حزن عميق لهذه الحروب و الدمار الذي اكتسح العالم ،وسقط الإنسان في بحيرات اليأس والاضطراب يعاني قهر الأنظمة وتعسف السلطات وانكسار الروح ..

هواء مشمس يمسح دموعه الباردة

علي زجاج النوافذ

إنه يبكي

أحزان غامضة تستبد بي لكني لا أشعر بها في نفسي

في القلب و الصدر

وإنما قطرات المطر التي تجري

كان لوتشيان بلاغا شاعر الضوء والشمس والنهار المشتعل بالتساؤلات و القلق الوجودي يبحث عن الضياء في أكوام الظلام ، وعن الوردة الناضرة بين الخرائب والأطلال .. والعشبة النابتة في جوف الصحراء ، يقول :

لا أعرف أين ومتى أظهر في الضياء

الإغراء الذاتي يحملني في الظلام

على الاعتقاد بأن العالم أغنية

حققت ذاتي مبغوتا ضاحكًا بغرابة في ارتقائي

احيانًا انطلق كلامًا لا يسعني مضمونه

وأحيانًا أحب أشياء لا تجاوبني أبدًا

وظل لوتشيان بلاغا يضرب في أنحاء الأرض ويحلق في سماوات الغيب وينشر أحزانه ودمعاته من أجل الراحلين والضائعين في الحياة والذين تواريهم القبور . سكنته الحيرة والدهشة فانقاد وراء غموض الحياة وأسرار الكون وألغازه يفتش في أعماق الإنسان والوجود عن معنى لتلك المشاعر التي تجتاحه والآلام التي تدميه ، ولكن هل عاش في عبث وفقد المعنى الذي يبحث عنه؟.. ربما .

افتش لا أعرف عما أفتش

عن سماء ماضية وشتاء مخيف

جبهة منحنية في قمم المصير

أفتش لا اعرف عما أفتش

عن هالات بحقل الينابيع تترفق مشتعلة

لكنها الآن فنانة ومكتئبة

أفتش لا اعرف عما أفتش .



أندريه بريتون

(١٨٩٦ - ١٩٦٦م)

أندريه بريتون شاعر فرنسي أحدث ثورةفكرية في تطويره لفن ما فوق الواقع الذي اصطلح على تسميته بالسيريالية. ويرى بريتون أن الفن الرفيع ينبع من الأحاسيس الباطنية ومناجاة الوجدان بعيداعن منطق العقل ومباحث الفكر . فلا حدود قائمة في هذا الفن أو اتباع للقواعد و القوانين المألوفة .

السيريالية عبارة عن أحلام تستمد من اللاوعي واللاشعور سواء في اليقظة أم المنام ، ومن تداعي الخواطر . ومن خلال هذه الشذرات المبعثرة تتجمع الافكار والاحلام وتتلاقى لتقيم تجربة جمالية جديدة تمنح الشاعر قدرة على التآلف مع الواقع والوعي بما يشوبه من انهيارات وضلالة وتناقض .

والسيريالية ترجع إلى الحركة الدادية التي أسسها المفكر الفرنسي تريستيان تسارا ١٩١٦ حيث التقى نخبة من المفكرين يعلنون سخطهم على الأنظمة والواقع القائم ، ودعوا إلى منهج إبداعي يتسم بالحرية والتلقائية والعفوية والتعبير عن فردية الإنسان المسحوق .

وكان بريتون أحد أعضاء هذه الحركة ثم انفصل عنها وأجرى تجارب في علم النفس على بعض الأدباء ، وقرأ في نظريات فرويد عن التحليل النفسي وأكد نظريته تلك بأنها فن فوق الواقع أو العالم المحسوس ، وصدر كتابه «ثورة السيريالية» الذي يدعو فيه إلى إعلان جديد لحقوق الإنسان بعد أن دمرته الحروب والحضارة الحديثة .

ويقول بريتون إن المرء له طموحات لاحد لها ويمكنه أن يصل بأعماقه إلى معرفة نادرة يستنير بها لأكتشاف خطواته وتحرير ذاته وإنقاذ البشرية من الهلاك و المادية . فالشعر هنا يتوجه إلى النفس ولا يحفل بقوانين الحياة والتقاليد الفنية الأخرى التي اعتاد عليها المفكرون و الشعراء ، ولذلك فالصور غير مترابطة فى الشعر دون وحدة عضوية ، أفكار متناثرة ومشاعرمتدفقة كثيفة

وعاطفة متأججة ملتهبة وكلمات غريبة وتعبيرات أكثر غرابة فيقول في إحدى قصائده :

(لأنني كنت أنتظرك . كان الهواء وردة بهية تضرب إلى الحمرة وكانت الغابة وأنا أتهيأ لدخولها تبدأ بشجرة أوراقها أوراق لفافات .. ولأنك إن سرت معي .. حيثما شئنا .. يكن فمك النقش العاجي..حيثما تنطلق العجلة الزرقاء الغائمة المحطمة صاعدة تترنح في مدارها القديم .. كانت المفاتن كلها تسرع لملاقاتي .. وكان سنجاب قد خف وارتمى على .. لاصقًا بقلبي .. لاأعرف كيف يلتصق .. لكن الأرض كانت مليئة بانعكاسات أعمق من انعكسات الماء)

وفي هذا النص السيريالي للشاعر أندريه بريتون لا يمكن أن نفهمه أو نحلله طبقاللما تعارف عليه النقد والأدب ، ولكن تتهيأ مثله في رحلة باطنية تستمد خيالات وأحلامًا وهواجس عن هذا اللقاء الذي ينتظر فيه العاشق محبوبته فلا يرى حوله سوى الطبيعة هي التي يتحدث معها ويفحص ألوانها ، فالغابات تتشابك وتتعانق كأنها لفافات ، وفم الحبيبة عبارة عن نقش عاجي ، وربما استقل العاشقان عربة زرقاء تسابق الريح ، والحبيبة بجواره كالسنجاب ، والأرض تتحول إلى ينابيع، وكأنهمايسبحان أو يحلقان في الفضاء من فرط هذا الحب . ولا نعجب إذا عرفنا أن هذا التصوير يحدث في الخيال والأحلام أثناء انتظار العاشق لمحبوبته .

ويقول في نص شعري آخر :

(يقال لي أن السواحل هناك سوداء من حمم ذاهبة إلى البحر وتنبسط علي سفح قمة داخنة من الثلج تحت شمس ثانية من الترنح البري . ما هي إذن هذه البلاد البعيدة التي تبدو وكأنها تسحب كل نورها من حياتك وتهتز حقيقة على أهدابك .. رقيقة علي لون بشرتك كبياض غير رمادي)

وقد يسأم القاريء لهذا النوع السيريالي من الشعرولكنه يتطلب ثقافة عميقة ووعيًا بالتجربة الفنية بحيث يتشكل من خلال هذه الكلمات والصور الممزقة فكرة تبرق أو خاطرة تلمع في نفس القاريء فيعيد البحث في نفسه لعلها تهديه إلى التغلب على معاناته وقلقه وأزمته .



لويس اراغون

(١٨٩٧ - ١٩٦٣م)

لويس أراغون أحد شعراء النضال الوطني والكفاح السياسي .. فقد اشترك في صفوف المقاومة حينما احتلت النازية فرنسا وتحول من الاتجاه السيريالي إلى الواقعي حيث أصبحت قصائده منشورات ثورية تغني للحرية والحب .

وفي رحلته النضالية ظلت حبيبته «إلزا» بجواره تكتب القصص القصيرة المحرضةعلى المقاومة ويرى في عيونها الحرية التي تشتاق لها بلاده ، ولأنه تأثر بقصص الحب العربية فقد اختار لقب «مجنون الزا » العاشق الذي تجسد في محبوبته رمز الحرية والنضال .

ولد لويس أراغون في مدينة باريس دون أن يعترف به والده ، وتلقى الصدمة الأولي في حياته عندما أخبرته أمه بالحقيقة في عام ١٩١٧ . عاش حياته يحمل فيها ذنبًا لم يقترفه ، وتلك الصدمة ظهر اثرها في بعض رواياته مثل « العالم الواقعي » . درس أراغون الطب واشترك في الحرب العالمية الأولى . وفي عام ١٩٢٠ أصدر مجموعته الشعرية الأولى « نار الفرح » ، واشترك في تحرير مجلة السيريالية مع صديقه اندريه بريتون ، ثم صدرت له رواية « فلاح باريس » .

وبعد عودته من روسيا عام ١٩٣٠ ظهر كتابه الذي يحمل عنوان «السيريالية في خدمة الثورة». وانضم للحزب الشيوعي وكتب قصائده النضالية ورواية «الأحياء الجميلة» واشترك في المقاومة ضد النازية وأسس مجلة الآداب الفرنسية ونال جائزة لينين للسلام وساهم مع أندريه مالرو في كتاب « التاريخ المتوازي للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي » وكتب ملحمته الطويلة «مجنون إلزا» .

في بداية حياته تعرف لويس اراغون على اندريه بريتون الذي اتخذ مصطلح السيريالية من الشاعر الفرنسي إبولينير في إحدى مسرحياته التي لم تلتزم بالمنهج الواقعي وقام اندريه بريتون بتأسيس مدرسة جديدة في الإبداع الفني متحررة من قيود المنطق والتعبير عن النشاط الحقيقي للفكر سواء في حالة اللاوعي أو الوعي .

وقد أصدر أندريه بريتون أول منشور سيريالي عام ١٩٢٥ واندفع أراغون إلى الإيمان بالسيريالية رافضًا القيم القائمة حوله التي تفرزها الطبقات البرجوازية وكتب في تلك الفترة بعض الأعمال النثرية هي : قروي في باريس ١٩٢٦ ،وبحث في الأسلوب ١٩٢٨ .

يقول أندريه بريتون في منشوره السيريالي الأول :

الإنسان هذا الحالم المقيد بعاداته اليومية والمرغم على استخدامها ، إنها تمنحه يأسه وكسله وسخطه وعدم رضاه .. فلماذا استسلم لما يدعوه نصيبه أو قدره ؟ لماذالا يرفض ؟

ومن هذا المنطلق اعتنق أراغون السيريالية لتغيير الحياة عبر الفن والأدب ، يحلم أراغون بإمكانية تغيير العالم من خلال تحطيم كل الفروض المنطقية في الخارج وتجاوز كل ماهو قانوني ومعقول وشرعي والاستسلام التام إلى اللاوعي للبحث في أعماق الإنسان وتحريضه على التمرد والهروب من سيطرة الوعي .

واتجه أراغون للبحث خارج عالم الواقع عن تغييرالعالم وتاريخه ، يقول في كتابه قروي في باريس عن ذلك :

« السيريالية هي القصيدة التي تدفعنا في قلب الحياة فالشعر ليس مجرد حالة فنية أو فكرية ، إنه جوهر الحياة وعقلها ... السيريالية هي رهافة الحس والإحساس وطريق المعرفة »

انفصل لويس أراغون عن الحركة السيريالية عام ١٩٣٠ مؤمنا بأن الحقيقة ليست في عالم الغيب والأحلام والوعي ، إنها في الواقع حيث الاشتراكية ويقول :

إن الرذيلة المسماة سيريالية ماهى إلا رغبة في توظيف الفوضوية للصورة الممزقة ، السيريالية هى دوار أطاح بفكر الإنسان وعقله ، إنها وليدة الجنون والظلام .

ويقول في إحدى قصائده التي تحولت هى الأخرى إلى الواقعية والاشتراكية :

قلت لى : كف عن هذا الضجيج الموسيقي ، ثمة فقراء كثيرون لا يستطيعون شراء قواميس ومعاجم يفهمون ما فيهما من معاني الألفاظ ، إنهم يفضلون ويحبون الألفاظ العادية .. التي تسمح لهم بترديدها .
وأجيبك : إنني سأفعل ما ينشده كل فم .

ومن أهم الأحداث التي هزت كيان أراغون وجعلته يصحو على هدير الواقع هوالاحتلال النازي لفرنسا ، ومن القصص المرعبة الدامية لمساوئ هذا الاحتلال هجوم الجنود على منزل أحد الشعراء الفرنسيين والاعتداء على ابنته والخادمة ، وظل الشاعر يدافع حتى سقط صريعًا إثر الضربات بمؤخرة البنادق والأحذية الثقيلة ، والحادثة الأخرى هي إعدام مجموعة من الشباب الفرنسي لاشتراكهم في حركة المقاومة .. وصرخ أراغون بقصيدته « زهور الميلاد » يوجه الإدانة

إلى النازية ويحرض المقاومة على الاستمرار ويقول في هذه القصيدة :

ميلاد يا ميلاد هذا الشروق الضئيل أعاد إليكم الرجال الطبيعي الإيمان ... الحب الذي يموت المرء لأجله بشجاعة ... والمستقبل الذي يعيد الحياة إلى الموت .

ولذلك كان الغزو النازي لفرنسا هوالزلزال الذي قلب السيريالية ونأى بها عن الوجود فتحول أراغون إلى الشعب وضميره وحسه الثوري ، وصار الكفاح الوطني والنضال بالسلاح والكلمة هما الهدف من أجل الحرية .

ويذكر أيضًا أن تريستان تزار مؤسس الحركة العدمية المعروفة باسم الدادية قد تحول أيضًا إلى الواقعية الاشتراكية ومن أصدقاء أراغون كذلك الذين انقلبوا ضد السيريالية الأديب الكبير مكسيم جوركي .

والتحق أراغون بصفوف الجيش أثناء الحرب كمساعد طبيب وتعرض مع فرقته لحصار ، لكنه استطاع الهروب إلى إنجلترا ثم عاد إلى فرنسا ووقع اسيراً ولكنه هرب مع مجموعة من الجنود .. وبعد الحرب نال وسامًا لخدمته في القتال ولهروبه من قبضة الألمان .

وفي نضاله ضد الألمان وقفت محبوبته إلزا معه تشجعه وتسانده وتجلس بجواره في الضوء الخافت يكتب القصائد الثورية وهى تكتب القصص القصيرة .

إلزا امرأة فنانة وأديبة التقى بها أراغون أول مرة في الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٢٨ ، وتكرر لقاؤه بها في مقاهي باريس والندوات الأدبية فكانت تناقشه وتجادله في قصائده وتنصت له بإعجاب ، فشعر بعاطفة قوية تملأ قلبه وروحه نحوها وتجلى هذا الحب العميق بعد زواجهما في أيام الاحتلال النازي ،حيث لم تفارق إلزا حبيبها .

وقد تأثر أراغون بقصص الحب العربية التي قرأها من أصل فارسي في الأندلس فكتب ملحمته الشهيرة مجنون إلزا.. وقد تتخيله قيس بن الملوح عاشق ليلى الذي هام في الصحراء ينقش عليوجه الريح قصائد الحب .

ويقول في ملحمته مجنون إلزا :

أريد أن أبوح لك بسر عظيم

الزمن هو أنت ..

وساعة لا تتنفسين أختنق ..

هؤلاء الذين مروا في حياتك لم يحبوك مثلي .



فديريكو غرسيا لوركا

(١٨٩٨ - ١٩٣٦م)

فديريكو غرسيا لوركا مازال يغني للفجر.. والحب .. والحرية ، وحين اغتاله أعداء الحق والجمال والشعر خرجت من جراحه شجرة النور والبراءة تسكب على العالم روح فنان تكامل في موسيقاه ولوحاته وقصصه وشعره تاريخ عصره وصورة وطنه أسبانيا .

لقد أصبح من المستحيل أن تتخيل غرناطه دون أن تتذكر لوركا الذي هوى فوق الأعشاب مضرجًا بدمائه في غابة الزيتون ، فانكسرت الأغصان وناحت الأطيار وارتجفت الأرض الخضراء وهى تشرب دمه المنساب هادئًا وادعًا .

لوركا يتهادى فوق أرض أسبانيا ، هذه الأرض الأثيرة التي مازالت تفوح بعبير المجد العربي الإسلامي ، هل هي الحلم ؟ أم الفردوس الضائع ؟ .. ولوركا زهرة حمراء تتفجر بالنزيف وتثير الدهشة والغرابة . بارقة من قصيدة شطرت القلب نصفين ، وأعادت إلى الروح الفتح الإسلامي العظيم ، وأيضا الخروج الحزين في ١٤٩٢م .

هناك في إحدى قرى غرناطة ولد لوركا في ٥ يونيه ١٨٩٨ م . في هذه البيئة الأسبانية بدأ الطفل درب النور إلى عالم الإبداع الكبير . والده مزارع وفارس ثرى يمتلك مزارع كثيرة ، تفيض روحه بالبساطة ، وأمه سيدة مثقفة تمارس مهنة التعليم في إحدى المدارس .

ومن الأب تسربت إليه النزعة الإنسانية و النفس النقية التي تحب الحياة والناس والخير ، ومن أمه تشرب الثقافة وأحب الكتب والدراسة . ومرت حياته بالمدرسة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية وقد عشق الموسيقى وأحب أنغامها وتدرب علي العزف تحت إشراف أحد اساتذة الموسيقى الذي وجهه إلى علم الفلكلور والبحث في الأدب الشعبي والتراث . ثم درس لوركا بكلية الحقوق جامعة غرناطة وبدأ في تقديم حفلات موسيقية ، يقول :

لقد أحببت الموسيقى لأني أحببت غرناطة

قرأ لوركـا في الأدب وتعرف على أدباء وشعـراء بلاده وتراثها ، والتقى بالمفكرين المعـاصرين من كل مكان ، وسافـر إلى امريكا لمتابعة دروسه هناك وإلقاء بعض المحاضرات ، وكـذلك سافر إلى كوبا لـيشارك في مـؤتمرات أدبية وأصبـح من الأدباء الأسبان المبدعين في الموسـيقى والشـعر والقصة والمسرح و التراث الشعبي ، حيث قام بجولة داخل أسبانيا يدون الأغاني الشعبية من أفواه الغجـر والناس البسطاء الفـقراء ويسجل هذه الأغـاني ويدرسها ثم يلحـنها ويقدمـها للجمـهور وذاعت هذه الأغاني الشعبية وعرفها الناس في كل أنحاء أسبانيا .

أول كتاب أصدره لوركا هو « انطباعات ومناظر » عبر عن تأملاته التي شعر بها خلال رحلاته الكثيـرة في المدن الأسبانيـة وأوربا ، و من الدواوين الشعرية ، ديوان « الأغـاني » الذي امتزج فـيه سحـر الطبيعـة بعاطفة الشـاعر وتفاؤله وبهـجته بالـحياة وطموحـه في عناق العالم وتحقـيق حلمه الجمـيل . وديوان « القصائد الغـجرية » واحتوى عـلى صور من حياة الغـجر من عادات وتقـاليد وأفكار ، مع إبراز الجانب الإنساني في علاقتهم مع الآخـرين ، وقد اشتهرت قصائد هذا الديوان حتى أطلق الناس عليه شاعر الغجر ، ويقول في إحدى قصائد هذا الديوان :

ما أنت إلا زهرة حمراء .. ممتلئة بالدم .. ففي كل حبة لجمة مضاءة .. وفي كل عـشاء أحمر...يموت غروب

رسم لوركا لوحـات فنية كثـيرة وقد تعـرف على الفنان العالمي سلفـادور دالي الذي صمم له ديكور بعض مسـرحياته « العرس الـدموي » والتقى هناك بالشاعـر بابلو نيرودا الشاعـر الشيلي الذي مُنح جائزة نوبل عـام ١٩٧١ ، ومن المواقف التي مثلت أزمة روحيـة في حياته وفاة صـديقه مصارع الثيـران «إكناثيو» الذي يعشق الأدب ويصادق الشعراء ، ومـات صديقه إثر طعنات قرني الثور في حلبة مصارعة الثيران وكتب عنه قصيدة من أروع القصائد وأنبلها هي :

اكناثيو يصعد إلى النجوم .. يحمل أشجان الموت .. ويبحث عن النهار فوجده قد ذهب .. إنه يبحث عن وجه الحلم الضائع .. والحلم يتلاشى .. يبحث عن جسده النقي .. فانفتح الجرح الدامي.

قرر السـفر لقـضاء الصيف مـع أسرته في غرناطة وحـاول أصدقـائه تحذيره ومنعـه لأن البلاد كانت تسودهـا حالة التوتر السيـاسي ولا سيما في العاصـمة غرناطة ، ولكنه قـرر السفر يوم ١٧ يوليـو ١٩٣٦ حيث تأجـجت الحرب الأهليـة الاسبـانية ، وقـذفت طائرات الجمـهوريين غـرناطة بالقنابل ونهض لوركا وأسرته من النوم في حالة ذعر .

فوجئ لوركا بشخصين غريبين يقتحمان منزله ويربطان أخاه في إحدى الأشجار ويجلدانه بالسوط ، وضربا لوركا وطرحاه ارضًا . واتصل لوركا بأحد أصدقائه ليعرف منه الحقيقة فقال له بأن هناك شائعة كاذبة تفيد بأنه - أي لوركا - جاسوس على اتصال بالسلطة ، وفي يوم ١٦ أغسطس اعتقل لوركا ووضع في السجن حتى فجر يوم ١٩ اغسطس ١٩٣٦ ، أخذوه إلى غابة الزيتون وأفرغوا في جسده الرصاص مع مجموعة أخرى من الناس الأبرياء وقذفوا بهم جميعا في حفرة واحدة وانصرفوا .

وهكذا انفجر دم لوركا يتدفق فوق الأعشاب جدولا من الحنين و الحب وعزفت الطبيعة لحن الوداع لأعظم شعراء أسبانيا ، وزمجرت نفوس العالم بالسخط و الغضب و الانتقام ، وكتبت قصائد كثيرة عن لوركا فقد تحول إلى رمز كبير وخالد ، وقيمة عليا .

ونادرًا ما تقرأ قصيدة في الشعر العربي لأحد الشعراء لم يذكر فيها « لوركا » إنه الرمز لكل المعاني الشريفة و الطموحات الجسورة ضد الظلم و الوحشية و الغدر و الخيانة . ولعل الطريقة المأساوية التي ملت بها وانتهت معها حياته هى التي أيقظت ثورة الشعر والفن لتهتف بحياته وباسمه في العالم كله كأن لوركا لم يذهب بل مازال يغني للفقراء وحياة الغجر المكافحة من أجل عالم أفضل ، كأن لوركا مازال يتمشى في وداعة بين معالم غرناطة ينقش قصائده على الجدران والأبواب والأغصان .

ويقال أن الغجر وجدوا جثته ودفنوها في غابة الزيتون ، وأصبحوا يزورون الغابة كل عام في ليلة مقتله ويغنون له المراثي .



برتولد بريشت

(١٨٩٨ - ١٩٥٦م)

شاعر وكـاتب مسرحي أعلن انحيازه للفقراء والعبيد والجياع ، ورفض سياسية المانيا النازية وصـور قضـية الفـرد المعاصـر بأنها أزمـة اغتـراب في المجتمع الرأسـمالي . قـدم مجـموعـة من المسرحيـات يهدف منها إلى تعـرية النظم الرأسمالية وتناقـضاتها التي تسحق الشـعوب وتمعن في إشعارهم بالاغتراب والضياع ... ولهذا حـاول في مسرحه أن يزيل هذا الاغـتراب حين يخاطب عقل الجمهور بطريقة لا تثير الـشفقة مع البطل أو التوحد في الموقف والذوبان في الفكرة إلى حد أن ينسى الجمهور ذاته .

والمسرح ليس رحلة من الـسحر والمتعـة فقط ، ولكنه واقع يراه الجـمهور ويناقـشه ويحلله في ضـوء الرؤية المنطقيـة و النظرة الواعـية للأحـداث . لذلك يرفض بريشت العـلاقـة التقليـدية في المسرح التي تقوم علي حالة التعاطف والانفعال الشديد بين الجمهور وبطل المسرحية فالجمهور في لحظة انصهار مشاعـره لن يستطيع أن يفسر الأحداث بطريقة موضوعـية وتظل نظرته محدودة في شخصية البطل . وتصبح لحظات الانفعال الشديدة التي قال عنها ارسطو بأنها : التطهير لا تنسجم اطلاقًـا مع مسـرح بريشت ، لأنه يود أن يكون الجـمهور على وعى تام بـأحداث المسـرحيـة وأن يشارك في صنع القرار وإتخاذ الأفكار .

وإذا فقد المشاهد ذاته أمام خشبة المسرح وامتزج تمامًا بالأحداث فإن هذا هو الاغتراب الحقيقي الذي يشكل نوعًا من الضبابية والظلمات حول قضية الحياة و العصر .

ويقول بريشت عن اغتراب الإنسان في مسرحية (غابة المدن ١٩٢٣) على لسان البطل :

ـ إن احساس الإنسان بالوحدة عظيم لدرجة يستحيل معها الصراع .

و المسرحية تهـاجم الرأسمالية التي جعلت العلاقـات الاجتماعية أقرب إلى التـجارة والمشاعر

الإنسانية مـا هى إلا سلعة ، وفي مسرحيـة القرار ينظر التاجر إلى عناصر الإنتـاج على أنها ليست إلا من أجل الربح وإن أدى ذلك إلى دمـار الآخرين . ويحلم بريشت بثـورة الإنسان ضد اغـترابه وزيف الحقيقة وانهيار القيم الأصيلة للمجتمع وخراب الروح و الذات في مستنقع المال والثراء . ولذلك يدعو دائمًا إلى الثورة ضد هذاالزيف ويقول في اشعاره :

نحن نناشدكم في صـراحة ألا تروا فيـما يحدث كل يوم شـيئا طبـيعيا لأنـه ما من شيء يوصف بأنه طبيعي ، في مثل هذا الـزمن الذي يسوده الارتباك الدموي والفوضى المنظمة والتـعسف المدبر و الانسانية المتنكرة لانسانيتها حتى لا يستعصى شيء على التغير .

وقد عاش بريشت يعاني الاغتراب بعيدًا عن وطنه حيث هاجم النازية وفظائعها ، وتسلم هتلر الحكم فرحل بريشت خـارج ألمانيا وعاش في المنفى يكتب شعـرًا وروايات ومسرحيات وقـصصا وكانت أول مسرحية « طبول في الليل » هي التي جعلت منه كاتبًا شهيرًا ، وأصبح من أبرز كتاب المسرح الملتزم القـائم على الحرية ومحاربة الطغـاة ودعوة الشعوب إلى التغـير و الثورة على النظم الغاشمة .



أرنست همنجواي

(١٨٩٩ -١٩٦١م)

ظل همنجواي يخفي رعشة الموت في كيانه ويخشى القلق و التردد والإحساس بعبثية الوجود وخاف كثيراً أن تكون نهايته الانتحارمثل والده الطبيب الذي تملكته رغبة في الهرب من اليأس والفرار إلى عالم آخر ...

ورغم ذلك .. كانت نهاية همنجواي الانتحار أيضًا .

عندما سافر إلى باريس مع زوجته كيت تعرف هناك على السيدة جرتورد شتاين وصالونها الأدبي الذي يحضره كبار الرسامين والأدباء منهم بيكاسو و ماتيس و چاكوب و جان كوكتو والشاعر عزرا باوند وتوماس إليوت ووالتر سكوت وغيرهم .

نشأت علاقة حب شفافة بين همنجواي والسيدة جرتورد ، وكان يعمل مراسلاً صحفيًا يكتب التقارير ويجسد الأحداث ويصف الأشخاص فقالت له صديقته :

ــ أنت خُلقت لتصبح كاتبًا كبيراً وليس مراسلاً للأحداث و الوقائع ..

ومن هنا بدأ همنجواي يغير من أسلوبه التقريري ويميل إلى الحس الدرامي والنفاذ إلى عالم الشعور ووصف اضطرابات النفس وتصوير طبائع البشر بصدق .

ولذلك قال عنها همنجواي :

ــ هذه المرأة ساعدتني في الإفلات من الصحافة واكتشفت في داخلي الفنان ، وتعلمت منها كيف أتأمل الحياة و الطبيعة من حولى .

ساءت العلاقة بين همنجواى والسيدة جرتورد عندما قالت للصحافة أنهاعلمت همنجواي فن الكتابة ، ولكنه رد عليها قائلاً :

ــ إن حديثها ينقصه الدقة ورغم ذلك كنت أحبها كثيراً وأشكرها لأنها علمتني كيف أتحدث وأكتب.

عاش دائمًا همنجواي يخشى»ي لحظة الموت ويتذكر ، عندما كان طفلاً ذهب إلى معسكر الهنود الحمرمع والده لإنقاذ امرأة على وشك الولادةوشاهد صراع المرأة مع الموت حتى أنجبت الطفل وماتت . وقال له والده : هذه هي الحياة تولد والموت أيضًا .

وأحب همنجواي مصارعة الثيران وكان يشعر بلذة حين يرقب المصارع في مواجهة الموت ، وتأثر بتلك المشاهد وسجلها في قصصه ورواياته وأصدر كتابه (مات بعد الظهر) ونشر منه عشرة آلاف نسخة .

وصور في هذا الكتاب التفاصيل المتعلقةبمباريات مصارعة الثيران وكيف تكون التضحية التي تصاحب هذا الموت ، ويقول همنجواي عن الموت :

ـ إن مصارعة الثيران تؤكد انتصار التضحية والشجاعة على الموت ، وبذلك تؤكد أسبانيا تفوقها على أمريكا أرض القوى الخاطئة والمأزق الكبير .

وظلت فكرة الموت تسيطر على ذهن همنجواي وكان يرى أن الموت هو الحقيقة التي لا يمكن تجنبها والشيء الوحيد الذي يستطيع الرجل أن يثق به . فالموت يتجاوز الترف .. فأنت مع الموت لست بحاجة إلى حمام في منزل أو جهاز راديو أو صور تذكارية .

وفكر همنجواي في إحساسه بالعدم وسيطرة الكآبة على روحه ، وتحولت لغته إلى تهويمات أقرب إلى الصوفية أو الميتافيزيقية فالإنسان ليس إلا فراغ وما الحياة إلالحظات من الرماد والعدم .

وعندما تحولت رواياته إلى أفلام سينمائية أصبح ثريًا وامتلك مزرعة كبيرة وسافر إلى أفريقيا حبًا في المغامرة يصطاد الحيوانات البرية .وسافر إلى نيروبي وشاهد ثلوج كليمنجارو التي ألهمته رواية صدرت بنفس الاسم وسافر إلى كينيا وكتب عنها روايته « سهول افريقيا الخضراء » .

وفي هذه الرواية سخر من العقلية والنظم الأمريكية وأيضًا سخر من ذاته حين جاء إلى أفريقيا بحثًا عن المتعة والصيد وحوله أناس يشقون الأرض من أجل رغيف الخبز وقلوبهم تعرف الطهر والقداسة للحيوانات والغابة .

في رواية « ثلوج كليمنجارو » عن البطل هاري الذي يموت في كينيا ويحلم بهذه الثلوج ، وقد ظل البطل يفكر كيف يمكنه مواجهة لحظات الموت ويحلم أن يتزوج امرأة ثرية وتزوجها حقًا ولكن ها هي ذى الثروة لا تعني شيئًا له ، وعندما تظهر الثلوج يدرك معنى الطهر الذي ينقذ الروح.

وجه همنجواي نقده للنزعة الاستعمارية والعنصرية في أمريكا وقال : **سأظل أحارب الشر في نفوس البشر حتى لحظات الظلمة .**

في عام ١٩٣٦ قامت الحرب الأهلية الأسبانية التي قُتل فيها أعظم شعراء أسبانيا وهو الشاعر لوركا وانضم همنجواي إلى فرقة المتطوعين وشاهد الجثث طافية فوق النهر وانتابه القنوط والحزن وكتب مهاجمًا هؤلاء الذين يغتالون الحرية ، وأعلن أن الفرد الأمريكى تخونه المؤسسات والنظام السياسي .

وظل همنجواى يدافع عن مبادئ الحق والشرف ويؤكد مدى التزام الأديب بقضايا وطنه ويقول:

ــ إن الكاتب الذي لا يملك أي شعور تجاه العدالة أو تجاه الظلم من الأفضل له أن يتخصص بكتابة لائحة سجل الشرف لطلاب الجامعة ، لاأن يكتب روايات .

وعندما عاد إلى أمريكا بعد الحرب الأسبانية تحدث في موتمر لمكافحة الفاشية وقال:

ــ إن الفاشية كذبة صنعها المجرمون .

واستطاع أن يقنع الحكومة الأمريكية بتقديم مساعدات للمدافعين عن الحرية في أسبانيا .

في روايته « الشمس تشرق أيضًا » وجه نقدًا عنيفًا للحياة في أمريكا وغلبة الجانب المادي والحسي علي الأفراد وعبر عن تلك الغربة التي تسكن روح الفرد وإحساسه بالمنفى والهلاك .

ناقشت الرواية أيضًا قضية الموت إذ كيف يستطيع الرجل أن يذهب إلى حتفه دون أن يشعر بالسقوط والهوان . وتصور الرواية أيضا كفاح الأبطال من أجل حياة خالية من الحروب والمحن .

في روايته « وداعًا للسلاح » صور همنجواي محنة الحروب وأكد انهيار الحلم الأمريكي الذي بشر بالرخاء و السلام وذلك من خلال قصة الملازم هنرى مع كاترين التي ماتت في النهاية وتركت طفلتهما بين يديه . ونجحت الرواية وبيع منها خلال أربعة أشهر أكثر من ٨٠ ألف نسخة .

وقد ركز همنجواي في الرواية على المواقف الإنسانية ومصير الإنسان أثناء الحرب وأن البطل هنرى ظل لا يولي اعتبارًا للنصر ، وإنما ما يلاقيه البشر من عذابات وهو في مواجهة الموت . وبذلك تؤكد الرواية مأساة الحروب وما يعانيه البشر .

وعندما تموت البطلة كاترين يصرخ البطل متوسلاً إلى الله أن لا تموت ويقول :

ــ يا إلهي أتوسل إليك ، لا تدعها تموت ، سوف أفعل كل ما تأمرني به إذا أنقذتها من الموت...

في تلك الفتـرة بعد الحرب الأهلية الأسـبانية كتب رواية (لمن تدق الأجـراس) وباع منها ٧٥ ألف نسخة و الرواية تصـور كفاح أسبانيا مـن أجل الحرية ومواجهة الموت بشجـاعة ، وكتب في بداية الرواية يقول :

«ليس الرجل جزيرة لكي يتقوقع داخل حدود هذه الجزيرة ، إنه جزء من قارة وجزء من كل، إن موت رجل لا يقلل شأني لأني منتمي إلى الجنس البشرى ، ولذلك أريد أن أعرف أبدًا لمن تدق الأجراس .. إنما تدق من أجلك»

أما في رواية (العجـوز و البحر) التي نشرها عام ١٩٥٢ فهى صـراع رجل وسمكة ، فالبطل العجوز قد سـيطر بحواسه على الطبيعة والـبحر و المياه الساكنة وكان يظن أنه أصـبح مجرد ورقة جرداء في هذه الطبـيعة وأنه أيضًا بلا إرادة .. ولكن عندمـا بدأ يقاوم أسماك القـرش قرر أن ينقذ السـمكة من تحت أنيـابهم ويحـملهـا إلى الشـاطئ برغـم أنها أصـبـحت مـجـرد عظام . ويقـول همنجواى:

وتوالت حفـلات التكريم لهمنجواي ، ونال وسـام الشجاعة في الحـرب وفي عام ١٩٥٤ منح جائزة نوبل في الآداب عن أعماله كلها ..

ورغم ذلك ظل الموت يطارد همنجـواي في إحسـاسه بوطأة المرض والشـيخوخـة وظل يفكر كيف يقهر الموت وأوتار قلبـه ترتعش خوفًا منه . وظل في المستشفى فتـرة للعلاج ثم غادرها وعاد إلى بيتـه يشاهد صـور التكريم وجائزة نوبل و الصـيد في أفريـقيا والحـرب في أسبانـيا وبطولاته العديدة .

وفجأة امتدت يده لتقبض على بندقية الصيد ، ويصوبها إلى صدره ....

وسقط مضرجًا في دمائه .

وكأنه حقًا واجه الموت بشـجاعة وبطولة وشرف فإن الانتحار مغـامرة لا يقدم عليها إلا هؤلاء الذين نظروا إلى الحياة باستهانة ، واعتبروها مهزلة وسخفًا وعدمًا .



جاك بريفير

(١٩٠٠ - ١٩٧٧م)

أحد أقطاب شعراء فرنسا ، ولد في مقاطعة قرب باريس، ودرس في المدارس والجامعات هناك . اهتم بالفن السينمائي فكتب حوارات لعدد كبير من الأفلام . ويقال : إنه اشترك في التمثيل أيضًا . تأثر بالسيريالية والوجودية ، وقصائده مرآة لحياته وأفكاره ، ومن مؤلفاته الشعرية هذه الدواوين : كلمات ، المطر والصحو ، حكايات ، أشياء ،وغيرها .

انشغل هذا الشاعر كثيراً بالطبقات العاملة ووضعها الاجتماعي ولذلك تراه في بعض قصائده يتجه اتجاهًا اشتراكيًا ويكشف عن الصراع النفسي الذي يعاني منه العمال والفقراء و الشعب المضطهد الذي يشقى ولا يجد وقتًا لشراء كتاب أو تصفح جريدة . ووقف الشاعر ضد النظام الرأسمالي وأساليبه التي تسحق الطبقات الفقيرة وتتلاعب بمصيرها وحياتها ، فترى الشاعر في إحدى قصائده يصف العامل في لحظة ذهابه إلى مصنعه فيقول :

« أمام باب المصنع.. يتوقف العامل فجأة . الطقس الجميل شده بسترته ، وعندما التفت رأى الشمس الحمراء تبسم في سمائها الثقيلة ، غمز بتدلل .. قولي يا رفيقتي الشمس .. ألا تجدين أنه من الحماقة إعطاء يوم كهذا لصاحب العمل ..؟ »

في قصيدة جاك بريفير هذا التعاطف العميق مع العامل الذي يحس بحنان الشمس المشرقة الملتهبة ، والصحو الذي يغطي المكان فيشعر العامل بالحسرة والألم لأن هذا اليوم سوف يفقده ويسلبه منه صاحب المصنع .

هذا النص الشعري البسيط يوضح إلى أي مدى يحيا هذا العامل في عبودية وخضوع لصاحب العمل . إنه يحلم بالخروج من هذا المصنع في يوم رائع كهذا ليستمتع بالحرية في الحدائق أو فوق ضفاف النهر ، ولكن كيف ذلك وهو مازال مقيداً برزقه ويخاف التشرد و الضياع ؟

ولا يدهشنا هذا النص الذي يكتبه شاعر فرنسي يعاصر الرأسمالية في عنفوان سيطرتها على كل شيء ، فقد زار الشاعر روسيا وأمريكا والبلاد الشرقية واقترب من هذه الفئة التي تذهب ضحية أصحاب المال . وقد يشعر باليأس أحيانًا من هذا العالم فيرى الأطفال أمامه يسكنهم الحزن والهموم ويقول :

« أيها الاطفال المحزونون الضائعون .. نحن نهيم في الليل .. أين أزهار النهار .. لذاذات الحب.. أنوار الحياة .. ؟ أيها الأطفال المحزونون الضائعون .. نحن نهيم في الليل .. القمر الأبيض العاري .. في السماء يتبعنا ... ابتسامة متجمدة ... وقلوبنا متجمدة أيضًا ...»

فالصورة الشعرية حزينة ويسودها الكآبة واللوعة . إنه عالم يقتل فرحة الأطفال ، حروب تشتعل ، وشعوب تُباد ، وأحرار يُساقون إلى السجون ، وأنظمة تقرر مطاردة الحرية في كل مكان فكيف لا يحزن الأطفال ؟؟؟ واقرأ ماذا يقول عن الحرية :

« أين تمضى أيها السجان .. بهذه المفاتيح المخضبة بالدم .. أمضي لأطلق سراح من أحب .. قبل أن يفوت الأوان .. حبيبتي التي سجنتها بحنان وقسوة في اعماق رغبتي ... في أعماق عذابي .. في خداع المستقبل .. في تفاهات العهود .. أريد أن أطلق سراحها .. أريد أن تكون حرة .

وتشعر أن جاك بريفيرا يبكي ويرثي الحرية فوق هذه الأرض التي تحيا عليها البشرية .


بول إيللوار بريشة فرنان ليجيه

بول إيللوار

(١٩٠٠ - ١٩٥٢م)

بول إيللوار شاعر الحب والجمال والثورة الذي أطلق شرارات قصائده في عتمة مدينة باريس وهى تناضل ضد النازية ، وتغنى بالحرية ، وبعث عزيمة الشباب لمواجهة النازية والموت على ثرى الوطن في بسالة وبطولة مالها حد أو نهاية ، يقول :

أنتِ يا من كنت من لحمي

ودمي ضميراً يحس

أنتِ يا من أحب إلى الأبد

يا من ابتكرتني

لم تكوني تحتملين الطغيان

ولا الإهانة

كنتِ تغنين وأنتِ تحلمين

بالسعادة على الأرض

تحلمين أن تكوني حرة

وأنا امتدادك

ولد إيللور في مدينة سان دينيس حيث عواميد الدخان وبقايا نفايات الحديد والفحم والدخان المتصاعد من المصانع يغطى وجه الجداول والأنهار والمراعى . هذه الصور الكئيبة طبعت شعره بالحدة والسأم والضجر وجعلته رافضًا لعصره يبحث عن إرادة البشر ومصيرهم في الحياة.

وفي عام ١٩١٤ ذهب إلى الحرب وصهرته تجربة النضال الحقيقيةضد النازية ، فانفجر غضبه

واحزانه ، وإن كان غلب عليه بعض التشاؤم والرفض لهذه الحروب ، يقول :

هناك عند أطراف الألم

نافذة مفتوحة

نافذة مضاءة

هناك دائمًا حلم يسهر

أمنية تتحقق . جوع يشبع

قلب كريم

يد تمتد مفتوحة

عيون منتبهة

حياة هي الحياة لنتقاسمها

واستطاع أن يسهم بقصائده الثورية خلال الحرب في التعبير عن وجدان شعبه وصور مدينته باريس المدينة الشامخة التي ترفض الموت أو الاستسلام .

وأثارت قصائده الشعب وقادته إلى دروب من الأمل والجهد والنضال والتضحية و الفداءمن أجل فرنسا . وأدت خطورة هذه القصائد إلى أنه اضطر كل ليلة أن يغير البيت الذي ينام فيه ، وبدأت بلاد العالم جميعًا تنشر هذه القصائد التي مزجت بين عشق الوطن وسلاح النضال في أيدي الشعب الفرنسي .

وأصبح من المألوف أن يلتقي الشاعر إيللوار تحت ستار الظلام بأفراد المقاومة الفرنسية ليوزع عليهم قصائده ويلصقها على الجدران والأبواب في المدينة ، وهو يؤمن أن الشعرحرفة يصنعها الجميع ، وسلاح للمقاومة والنضال .

وتحررت فرنسا وأصبح إيللوار من أكبر شعراء العالم في الحرية ، وترجمت قصائده لمختلف اللغات.

وفي ذات صباح حينما كان مع زوجته يتجول في الغابة ، ويشاهد من بعيد أمواج الأدخنة والغيوم الآتية من المصانع لتغطي وجه الجداول والأنهار ، يصاب بذبحة صدرية ويسقط فوق أعشاب النهر .



أندريه مالرو

(١٩٠١ - ١٩٧٥م)

أندريه مالرو أديب فرنسي دعا إلى الحرية وبحث عن الكرامة والسلام . الأديب المتمرد الذى أعلن أن قدر الفرد يكمن في بعثه لطاقات الثورة من أجل عالم أكثر شرفًا وإنسانية .

ويؤكد مالرو أن الإنسان هو أرقى مخلوقات الأرض ويمكنه أن يحقق المستحيل من المعجزات، فالعظمة والقوة والنبل والكبرياء هم مجده وشرفه ، ولذلك عليه أن يقاوم الشر ويقف ضد خونة العصر وأنظمة القهر والاستلاب .

ومن الجميل أن أندريه مالرو قد عاش هذه الأقوال في الحقيقة ، فقد انضم إلى المنظمات الثورية المناهضة للاستعمار بكل أساليبه الوحشية ، فتجده يذهب إلى الصين ليقاتل مع الشعب الثائر. ونراه يذهب إلى أسبانيا في الحرب الأهلية ١٩٣٦ ليقاوم مع الشعب ضد جيوش الطاغية فرانكو الذي قتل الشاعر الأسباني الكبير لوركا وحارب مالرو مع بلده ضد الألمان ونظم حركات المقاومة السرية إلى أن وقع في أسر القوات الألمانية .

وفي عام ١٩٥٨ شغل منصب وزير الشئون الثقافية في حكومة شارل ديجول ، وفي عام ١٩٦٧ كتب مذكراته التي أسماها (اللامذكرات) ناقش فيها الحياة والموت والفن والحضارة وأن المرء يظل بلا قيمة إذا لم يستطع التمرد والثورة على كل ما هو ضد الحرية والنبل والعظمة والجمال .

لقد نالت روايته (قدر الإنسان ١٩٣٣) جائزة الجونكور الفرنسية وهى تُعد من أروع إبداعاته حيث استطاع أن يحول حياته ومغامراته و رحلته مع كل ثورة إلى فن قصصي ، فكل اعماله الروائية تحمل قدراً كبيراً من حياته ، فرواية «قدرالانسان» هي فلسفته وبطولاته من أجل حياة تنتصر على اليأس والتعاسة ، يقول :

- *إذا رأيت القبح يتمشى أمامك فلا مفر من إزالته من فوق وجه الأرض .*

أما روايته « الأمل » فقد كتبها عن الحرب الأهلية الأسبانية التي شارك فيها ،وروايته «أشجار الجوز » تحمل صوراً من وقوعه في الأسر لدى الألمان واشتراكه في الحرب العالمية الثانية .

لقد سئم مالرو من مظاهر الحضارة الأوربية وتأكد من خوائها وانهيارها طالما لم تقترب من الناس ومشاعرهم وقضاياهم ، فلم تكن ثورته إلا محاولة لرد القيمة لهذه الحضارة واشعال نيران التعاطف والحب والتوحد . فلم تعن الحياة له شيئًا أو الموت ، اختلطا معًا وصار بينهما يعانق الضوء البارق والشهاب الساطع في السماء ليحول هذه الأرض من جدبها وصخورها وصحرائها إلى مساحات خضراء تبتسم للحياة . وقد أصدر مالرو هذه الأعمال الروائية : الغزاة ، الطريق الملكي ، قدر الإنسان ، الأمل ، عصر الاحتقار ، أشجار الجوز ، أقمار من ورق ، غواية الغرب ، المملكة العجيبة .

ونتساءل : لماذا لابد أن نقرأ هذا الأديب ؟ إنه نموذج لتكامل الكلمة والفعل . إنه المثقف الثوري الذي التزم بقضايا البشر فوق الأرض . وليس قضايا بلده وحدها ، وقد أثبت أن المثقف لا يحيا من أجل جماعته أو مجتمعه بل للعالم الإنساني . ولذلك عندما كتب عبر عن فلسفته وأفكاره التي يوجهها لكل العالم ، لقد تجاوزحدود البلاد وأرضه و خبر الحياة، واقترب من الموت وشاهد فظائع الحرب ، وآمن بأن الكلمة هي الحياة والواقع الذي يعطي القيمة والإحساس ويتغلب على عبث الوجود . الكلمة ليست شعاراً نطلقه في الهواء أو ألفاظًا نتلاعب بها ، إنما هي الثورة على الطغيان والثورة على الهزيمةوالسقوط والضياع .

إن أدبه يملؤنا بالحماس والأمل ويحرضنا على الابتكار والإنتاج والحركة من أجل هدف كبير تجن البشرية منه خيراً وثماراً . ورغم أن أباه مات منتحراً من اليأس ، وجده انتحر بعد إفلاسه ، وماتت زوجته في حادث قطار حتى إنه شعر بالوحدة والعراء - رغم ذلك لم يُهزم واندس بين الثوار في كل البلاد المناضلة ليرفع راية الكفاح والعزيمة ويتحدى القدر والظروف الصعبة بتفاؤل وروح لا تعرف اليأس أو التراجع .



أرمان برنييه

(١٩٠٢ - ١٩٨٠م)

أرمان برنييه شاعر من بلجيكا درس الآداب واللغات الأجنبية وقرأ الشعوب الأوربية واليونانية والشرقية واستطاع أن يحقق لإبداعه صفة التمرد والتميز .

فحاول أن يسجل قلق العمر وخوفه من القوى الطاغية التي تدبر المكائد والحروب وتخلق المحن والأزمات وتسحق الفرد والشعوب تحت جنون السلاح والتفوق والسيطرة المادية .

فبدأت قصائده كأنها روح تتحسس الطريق في ظلمات حالكه وصراعات دموية متوحشة فكتب عن اتجاهات وراء الغيب وعبر عن قلق ميتافيزيقي ورؤى غامضة حول العالم والأحداث المتلاحقة .

ومن أجمل سمات قصائده تلك البساطة في الغناء العذب للحياة ومحاولة التفرد بالذات والعزلة الروحية والتأمل الذهني فيقول :

دعوني وحدي في الغابة

فقد تجذرت خطاي الحائرة

في هذا الطين البارد الندي

دعوني وحدي في الغابة

مع المطر لكلمات البراءة

مع الريح مع أرغنها الضخم

فستحط فوق كتفي الأخضر

أطيار ستحط لتشرب

ولا عجب أن تحس بوجع روح معذبة شقية بين الناس تحلم بالصفاء والعودة إلى حالة السلام مع النفس ومهادنة الواقع والارتباط بقوى عليا غيبية يثق المرء في قدراتها وإرادتها . ويرى أن الخلاص قد يكون بين أزهار الغابة حيث الكائنات هاجعه تم الجذور في الأرض بالخصب والأشجار تمد ظلالها الوارفة لتحنو على الأرض أيضًا .

فيقول :

دعوني سأجرح نفسي

متلذًا كيما أزهر

بين العشب والضياء

ألا إن اللقاء ليحلو في الغابة الهادئة

ويعذب بين شتيت الأطيار المغردة

أتراني أعمر ألف عام أتراني أولد ثانية ؟

صرخ الشاعر البلجيكي أرمان برنييه بصوت الحرية والنضال ضد الظلم والثورة على الخيانات والأنظمة الفاسدة وعبر عن ذلك في قصيدة « جواد يحلم بالحرية » ويقول :

إن ثمة عالمًا لا تخلو فيه الجياد مما يوقر ظهورها

عالما تكون فيه الجياد حرة والأفق رحبا

وفي اتجاه تأملي وروحاني يستشف من السماء روعة الجلال والعظمة في الخلق والدهش للجمال المذهل والنظام الكوني البديع ويقول :

عبر هذه المجرة التي ينتشر فيها

عالم مجرى في اتساع بطيء

تهرب فيه سدم لولبية

هى عوالم جمة ادركها المخاض

ألا لقد ضعت بين المشاهد الخارقة

فيما وراء السماء التي تتلامح فيها نجوم جمة

فتؤلف بلا نهاية مجرات جديدة

ويسئم الشـاعر برنيـيه من هذه الحيـاة التي تكالب الناس فيـها على المتع المادية وأهمـلوا القيم الجمالية وحياة التأمل ومتعة الحب الروحي ولذلك يحاول الرحيل أو الهروب :

إني لأبتغي الهرب من هذا الخواء

أبتغي الفرار من ريحه المجنونة

فيا أيتها الأرض إني لأنضم إليك

فقد آن لي أن أنسى

ويرحل الشـاعر من الحـيـاة بعد أن لاذ برعـاية الأرض الحنونة التي ظل يغـني لها ويدعـو إلى الحب والحرية والجمال .



جون شيتاينبك

(١٩٠٢ - ١٩٦٨م)

هذا الأديب الأمريكي عاش في ولاية كاليفورنيا وخبر طبائع وعادات الناس وأحلامهم في الثراء ولمس جراح وعذابات الفقراء والمزارعين الذين يحلمون بثورة على شقائهم الذي بلا انتهاء.

وقد عمل مزارعًا في الحقول وموظفًا في أحد المختبرات وحارس بناية وتعلم في جامعة ستاتفورد واكتسب عشقًا جميلاً للحياة والناس وتعاطف مع آلامهم وأشفق على آثامهم وجنوح أفكارهم ومشاعرهم .

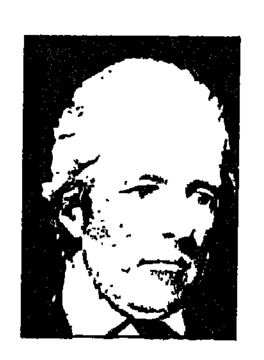
وفي لحظة إبداع يختارالأديب حالة اجتماعية لهؤلاء المزارعين الفقراء حين وجدوا أنفسهم في العراء بلا عمل بعد أن انتشرت الآلات الحديثة في المزارع واستولى كثير من الأثرياء ورجال المصارف على المزارع الصغيرة وطردوا العمال واستخدموا الآلات الحديثة .

ويصبح الموقف الآن بين الآلة التي تجتاح كيان الإنسان المعاصر وتجعله بلا أهمية وتقذف به على هامش الحياة بلا قيمة أو ضرورة له وموقف المزارع الذي يحلم بعالم آخر وحياة جديدة يقاوم الخراب الذي يحاصره.

ويفكر المزارعون في الهجرةإلى ولاية كاليفورنيا فهى الحلم وأرض الثراء حيث العمل في مزارع القطن ، والحصاد وتهاجر الآلاف من الأسر إلى هذه الولاية ولكن لا يواجهون سوى الجوع والتشردحيث احتكر الأثرياء المحاصيل والمواد الغذائية وأقاموا مصانعًا للتعليب وأهلكوا فائض المحصولات .

وصور الأديب جون شيتاينبك رحلة هذه الأسر المهاجرة إلى ولاية كاليفورنيا في روايته «عناقيد الغضب» هذه الرواية التي جعلت الحكومة الأمريكية تنظر إلى هذا الوضع المأساوي وتحاول علاجه .

والأديب جون شيتاينبك حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٢ ، وله عدة روايات منها : الكأس الذهبية ، ومراعي المساء ، وفئران ورجال ، والوادي الكبير ، والليالي السوداء ، وإلى شرقي عدن.



ميكزيسلاف جاسترون

(١٩٠٣ - ١٩٥٦م)

من شعراء بولونـيا يبرز الشاعر مـيكز يسلاف جاسـترون الذي بدأ حياته الشعـرية في مرحلة ساكنة يتـأمل النهر المتدفق ويرهف السمع للنسـيم المغرد أو الأصوات الراحلة في الليل مـعبراً عن خلجات النفوس وعذابات القلب العاشق لوجه النهار .

وعندما احتل الألمان بولونيـا في الحرب العالمية الثانية تفجـرت الأرض تحت الشاعر الهادئ .. وثارت العواصف من خلف الأنهار الـعذبة وتدفقت الحمم من براكين الغضب والتـمرد والثورة ، ويكتب أروع قصائد النضال فوق جبين بلاده ويقول :

حين يستأنف النضال

في سبيل الإنسانية المحررة

يلوح الابن بذكرى أبيه

كأنها السيف من فولاذ أسود

وقد ظل الشـاعر جاسـترون في مرحلته الأولى الساكنـة يطارد الزهرة ويعشق العيون الجـميلة ويقف علي حافة النهر يرقب ارتجافة السنابل تحت قبلات النسائم ويقول :

أنا في قرارة نفسي مجنون

أطارد زهرة

والاحق ظلاً وارفًا

وفنًا من نسيان

يفر عبر مرج الصباح

هذا السكون يتحول إلى ثورة والتزام عميق بقضايا الوطن في الحرية والنضال ، وبعد أن كان يصف الطبيعة والسحر والجمال اتجه إلى القنابل والدبابات ويقول :

انفجار القنابل وصرير الدبابات

كما لو أن الأرض جوقة مأساوية

عاهدت السماء أن تطيل غناءها

هكذا الشاعر البولوني جاسترون يجسد روح النضال ويزرع في قلب بلاده قنبلة في وجه الأعداء بعد أن عاش سنبلة على الضفاف البولونية .



ميخائيل شولوخوف

(١٩٠٥ - ١٩٧٢م)

يصحو الأديب شولوخوف ويطل من نافذة بيته الريفي على نهر الدون في رقة انسيابه بين الحقول والمزارع ويشاهد أمه الفلاحة من قبائل القوذاف تلملم الأعشاب وتنثر حبات القمح للدجاج والطيور ، وأبوه صياد السمك الفقير يحمل شبكته ويبحر في النهر باحثًا عن الرزق تحت شمس يوم جديد .

عاش شولوخوف هذه الحياة البائسة ، يزرع الأرض ويرعى الأغنام ويعاني الفقر والحرمان، وأيضا تنتابه لحظات من الألم حين يقترب من حياة الناس على ضفاف نهر الدون حيث انقسموا إلى طبقة المُلاك الفقراء الذين يبحثون عن ضوء فجرقادم يجتاح ظلمات الظلم والقهر وينقذهم من استبداد طبقة المُلاك . ولذلك حينما قامت الثورة الروسية دافع عنها الفقراء ووقف ضدها الأثرياء ، ومن هنا كان الصراع الذي تصوره رواية شولوخوف الرائعة « الدون الهادىء» .

عشق شولوخوف وطنه وقريته « فيشسكايا » ورفض أن يرحل إلى موسكو ويقول :

ـ في هذه القرية كتبت أجمل رواياتي وعاش أبطال قصصي هنا ولا أحتمل الفراق عنهم ولولا هؤلاء الناس في قريتي لمااستطعت أن أكتب أو أكون أديبًا مشهورًا .

ويعود شولوخوف يقول :

ـ لقد ألهمني نهر الدون قصصًا كثيرة فكتبت «مصير إنسان» عندما شاهدت جنديًا مع ابنه في قارب صغير يعبر أحد روافد النهر ، وعن الفلاح في أرضه وشقائه كتبت قصة « الأرض المعمرة».

ورواية « الدون الهادئ » من الأعمال الكلاسيكية الخالدة التي تحولت إلى مسرحية وفيلم سينمائي وأوبرا يغنيها الشباب على مسرح بولشوي في موسكو ، بل إنها لا تقل روعة عن رواية "الحرب والسلام" لتولستوي أو "البؤساء" لفكتور هوجو .

والرواية ملحمة النضال والكفاح ضد العبودية والفقر والاستغلال وتصوير لهذه البطولات والصراع الدموي العنيف وكيف يرتبط الإنسان بأرضه وينتمي إلى قضايا بلاده محاربًا من أجل العدالة والشرف والكرامة و كشف الحقيقة .

وقد صور شولوخوف الثورة البلشفية ضد روسيا القيصرية ، واتخذ شولوخوف من النهر رمزًا لتاريخ روسيا والحقب التي مرت عليهما والعواصف التي اجتاحت الأرض وفجرت الغضب وأشعلت نيران الثورة .

وترى في الرواية شخصيات حادة العواطف عاشقة للوطن تموت من أجل العدل والخير وتحارب الشر وتقف ضد الفساد والتدهور الأخلاقي .. شخصيات كُتب عليها أن تضحي من أجل مستقبل جديد تسوده الحرية وترفرف عليه حمائم السلام .

وقد دعا إلى الواقعية الاشتراكية في رواياته مؤكدًا على روح العطاء الإنساني وتلاحم الشعب في مواجهة الطغاة والمفسدين والتمرد على الطبقية والأثرياء الذين يكنزون الأموال ويعيشون في نقاهة وترف وفساد .

إن رواية « الدون الهادئ » تحمل بعض ملامح من حياة شولوخوف فقد اشترك في الحرب الأهلية ولم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره ، ووقع أسيرًا لدى قوات حركة المقاومة للنظام الجديد وكاد يُعدم إلى أن أنقذه زعماء الثورة .

وارتبط بتاريخ بلاده وتراثها واكتشف كيف ظل هذا الشعب صامدًا في وجه القياصرة بين سياط العذاب والخوف والمنفى حتى تحررت بلاده من الخوف عند قيام الثورة .

بعد الحرب العالمية الثانية كتب رواية « قاتلوا في سبيل الوطن » عام ١٩٤٤ واتجه إلي التعبير عن كفاح الشعب السوفيتي وقتاله في الشوارع والبيوت حتى استطاع أن يهزم الغزو النازي .

وبعد رواية "الدون الهادئ" أصبح شولوخوف من كبار الأدباء في روسيا وانتخب عضوًا في مجلس السوفييت الأعلى واللجنة المركزية للحزب الشيوعي ووقف يجاهر بصوت الحق دون خوف أو تردد من أجل شعبه الفقير ومشاكل بلاده .

وبعد أن نال جائزة نوبل عام ١٩٦٥ وسافر إلى أوروبا سألوه عن انطباعاته للحياة في أوروبا فقال :

ــ بلادكم جميلة ولكن أفتقد فيها قاربي الصغير الذي أخرج فيه لاصطياد السمك ، وافتقدت الغابة التي أجلس فيها للتأمل ساعات طوال .



وليام امبسون

(١٩٠٦ - ١٩٧٥م)

ينتمي وليام إمبسون إلى الأدب الإنجليزي الحديث ، تلك الفترة التي سادت فيها روح العلم وأدرك الانسان أن الحروب والمجازر البشرية لم تعد ذات معنى في مجتمع يتطلع إلى حرية الفرد وبناء كيانه الإنساني على أسس من العقيدة والكفاح والنضال والإضافة إلى إنجازات السابقين في شتى العلوم والفنون .

ولذلك نشأ أدب جيد يهتم في المقام الأول بالحركة الإنسانية ويترجم عواطف البشر والمشاعر والأحاسيس ويولي اهتمامًا للظواهر العلمية ويؤمن بوحدة المجتمع العالمي ، فلم تعد العزلة أو النعرات الإقليمية لها صدى في عالم العلم والتكنولوجيا والتحليق في الفضاء واكتشاف كواكب جديدة .

وشهدت تلك الفترة أيضًا ولا سيما بعد الحربين العالميتين واصابة العالم بنكسة اقتصادية ومحنة نفسية اتجاه الأدب إلي التبشير بعصر جديد يسوده التفاؤل والابداع الذاتي وتوجيه النقد الحاد إلى سياسة إنجلترا والتمرد على الفوضى والنظم التقليدية ، وكتب جورج برنارد شو وهكسلي وويلز و كبلينج ودعوا إليها وناضلوا من أجل حرية الفكر والإنسان .

ولذلك درس الشاعر وليام إمبسون الرياضيات في جامعة كمبردج وأكد أن تحليل الشعر لابد أن يقوم على تفسير دقيق للألفاظ فإن اللغة ذات دلالات يجب أن يحاول الناقد لمس أعماقها ومعانيها الخفية . ولذلك لابد من تربية ذهن القارئ على التفكير العميق والبحث فيما وراء الكلمات وربطها بالواقع الاجتماعي والوجداني .

ويقول الشاعر وليام إمبسون :

إن القصيدة هي مجموعة من الطاقات الإبداعية المتصلة بالذهن والنفس والوجدان وعلى القارئ المبدع أيضًا أن يستشف رموز هذا العمل دون أن ينتظر من الآخرين كشفه له أو تفسيره .

وأصدر الشاعر كتابًا شرح فيه منهجه النقدي في تناول وتذوق الشعر وأطلق عليه « سبعة أنواع للغموض » عام ١٩٣٠ ويعتبر النقاد أن هذا الكتاب من أهم الأعمال التي تناولت الشعر الحديث وقضاياه لأن الشاعر استطاع أن يقدم منهجًا لم يكن مطروقا من قبل .

وأصدر وليام إمبسون كتابًا آخر اسمه « أنماط القصيدة الرعوية » ويقصد بها تلك القصيدة التي تتناول موضوعات مختلفة مستوحاة من التقليد القديم ، منها البكاء على فراق الأحبة ومباريات الإنشاد والرثاء والمديح والهجاء السياسي الخفي وقد برز الشاعر أدموند سبنسر في هذا النوع من الشعر عندما أصدر ديوانه (تقويم الرعاة) .

اهتم امبسون بتحليل نفوس الطبقات الفقيرة البسيطة وعبر عنها في قصائده ويقول :

ـ إن الشعر ما هو إلا تعبير عن البسطاء وأحلامهم ولغتهم الخاصة .

وفي إحدى قصائده يعبر عن مشاعر سيدة عجوز مفسرًا كيف أن النضج هوالتمام أي الوصول إلى نهاية الحقيقة الأخيرة . وتلك الفكرة عبر عنها الفلاسفة في قولهم أن الإنسان إذا وصل إلى الحكمة والخبرة الخصبة الثرية واستلهم الحقائق فإن تلك هي النهاية .

يقول إمبسون في قصيدته النضج :

النضج هو التمام قدسها في كوكبها

البارد ولا تظنن أنها صارت همًا يدفئها ذنب تخططه .

وتؤهله الآلهة ويخبو على التوالي

بينما الشمس تعيش بعدهم طويلاً

مازال ملكوت روحها قائمًا بلا استدعاء

التفاصيل الكثيرة لحياة اجتماعية

بديهة حاضرة في تدبير البيت ولعب البريدج

وحماس مأساوي في صرف الخدم .



صموئيل بيكيت

(١٩٠٦ - ١٩٨٢م)

حين طرح الشاعر والكاتب المسرحي صموئيل بيكيت تساؤله هذا : من أنا؟ بدأت معه رحلة الضنى والهلاك والبحث عن غمامة فياضة بالمطر في مدن الجمود والقحط والرماد .

كيف يعيش الانسان معذبًا في عصر الخواء .. والهشاشة والتفاهة ؟ تلك هي قضية بيكيت الذي أكد بأن لا شئ معقول فكيف يكتب المبدع أدباً معقولا ؟ .

ومن هذا الانفجار نشأ مسرح اللامعقول الذي ينظر إلى الواقع بشيء من الغرابة ويوجه نقده إلى السفهاء والتافهين والأفاقين واللصوص والخونة والسطحيين الذين نخروا في عظام الحياة وسيطروا على أذهان الآخرين حتى دانت لهم المراكز والمناصب وساهموا في كآبة الواقع واستغلال النفوس الطيبة وتحقير الهمم العظيمة والقيم الجميلة وجاءت مسرحية « في انتظار جودو » نوعًا من العبث فلا شيء حقيقي ، والعالم ليس إلا سرابًا والوجود زائف والحب مستحيل في أرض بلا منطق يحكمها أو قانون .

مسرحية غامضة معقدة تحطم كل ماهو مألوف في المسرح التقليدي .. وتفرض حالة من السأم على المشاهد والمعاناة إلى الحد الذى تصبح أقرب إلى المشاهد المرعبة .. وقد قصد بيكيت ذلك أو هذا ما تهدف إليه المسرحية : إثارة المشاهد في السخط والسأم على نفسه والواقع .

ويبدأ الفصل الأول بشخصين متشردين هما : إستراجون وفلاديمير ، يتحدثان في طريق خال من البشر ولا يصلان إلى نتائج وينتظران قدوم شخص غريب اسمه « جودو » هو القادر على خلاصهما من حالة الارتباك والفوضى التي يعيشان فيها .

وكذلك القصائد التي كتبها بيكيت تدهشك وتعذبك وترهق ذهنك في محاولة فهمها ، ثم إنه لا يعنيه أن تفهم ، أولا تفهم كل ما يبحث عنه بيكيت أن يمتلك القدرة على طرح تساؤله : من أنا؟

فيقول :

ولا شيء للبكاء

وجدتني أعرفها معرفة سيئة

عندي الوقت هذا ما اقوله لنفسي عند الوقت

لكن أي وقت عظمة جائعة وقت الكلب

تلك محاولة عاشها أدباء اللامعقول في تفسير واقع بعيدًا عن العقل وأقرب إلي الجنون .

ولد صموئيل بيكيت في مدينة دبلن ودرس الأدب الفرنسي والإيطالي وذهب إلى باريس ليعلم الأدب الإنجليزي في مدارسها .

تعرف على الحياة الأدبية في فرنسا واقترب من الشعراء وتأثر بالمسرح الثوري وبدأ في نشر قصائده هناك . عاد إلى دبلن ونال شهادة الماجستير في الأدب الفرنسي عن الكاتب الفرنسي «مارسيل بروست » . أحبته ابنة صديقه الكاتب جيمس جويس ولكنه لم يبادلها هذا الحب ورفضه مما أدى إلى سقوط الفتاة في حالة عصبية .

بدأ بيكيت يحس بأن الحياة ليست إلا عبئًا ثقيلاً وشيئًا غير معقول واحساسًا بالمنفى عندما عاش فترة من حياته بعيدًا عن موطنه إنجلترا . وأكد صموئيل بيكيت بأنه ليس هناك عالم عقلاني محكم التنظيم فقد غابت الأسس الواضحة والقيم القائمة على العدل والحب والحرية .

ولذلك بدأت مسرحيات صموئيل بيكيت تهزأ بجميع المعايير وقوانين المسرح التقليدي فليس هناك حوار في المسرحية بالمعنى المتفق عليه وإنما قد يكون هناك ثرثرة لا معنى لها تبدأ بطريقة مصطنعة ومتعسفة .

ويفسر صموئيل بيكيت مسرحه اللامعقول بأنه نوع من الاختزال الفكرى لنمط معقد التشابه من التناول والطريقة والتقليد ومن الأسس الفنية والفلسفية المشتركة سواء أكان ادراكًا بوعي أو بلا وعي ، ومن التأثيرات الناجمة عن رصد مشترك من التراث .

وأصبح بيكيت أحد رواد مسرح اللامعقول مع يوجين يونسكو وجان جينيه وأرثر أداموف وفرناندو أريال وادوارد إلبي .

وأسباب اتجاه هؤلاء إلى هذه الطريقة في الكتابة المسرحية هو انتشار الخواء الروحي في أوروبا

وأمريكا وسيادة التشاؤم بعد عالم الحروب ونتائجها غير المنطقية بحيث إنه تلاشت الآمال والطموحات الكبيرة وأصبحت عهود الدول مجرد سراب في سراب .

ولذلك نجد في مسرح اللا معقول هذا الابتذال في اللغة ولأن الناس فقدوا الرغبة في التواصل الحميم ، والحديث عن أحلامهم فكل منهم قد صدمته الحقيقة .

وقد بث صموئيل هذه الأفكار في مسرحياته :

في انتظار جودو ، نهاية اللعبة ، الأيام السعيدة ، أفعال بلا أقوال ، الكلمات والموسيقى .

وأيضا تلمح في قصائده هذا الإحساس بالضجر والتشاؤم والعبث ويقول :

بين المنظر وبين الزجاج

خال إلا منها

البطن على الأرض

مرمي على أحشائها السود

زبانيتان مذعورتان

جناحان مربوطان

قوائم معقوفة فم ممتص الفراغ

ساق الأثير منسحق على اللامرئي

تحت إبهامي العاجزة تسقط

البحر والسماء الصافية



فابتساروف

(١٩٠٩ - ١٩٤٣م)

الشاعـر البلغارى فابتسـاروف يقف رافعًا جبـينه للشمس الحارقـة يتطلع من فوق الوديان إلى قرى بلاده ، وأحلام قومه الصاعدة في خفق الليل الكئيب .

وقف الشـاعر يناضل ضـد الاحتـلال الألماني لبلاده ، إنـه الضوءالمتكسـر على أجفـان وطنه ، والعصفور النازف مرتعش الأجنحة يغني لبـلاده أن تصحو مع الفجر وترحل مع أطياف النور إلى غايات نبيلة وصادقة . لذلك يصف الشاعر صورة المناضل الذي وهب بلاده روحه ودمه فيقول :

آمن برعشـة الألـم طريقًا إلي الغـاية .. وأن الفردوس الذي تتراءى أطيـافه من بعـيد في سمـاء الحرية المقبلة يتخذ صورة العصافير الزرقاء .

ولد الشاعر في إحدى قرى بلاده « بانسكو » ودرس في مـدينة فارنا وعمل في البحرية ورحل إلي بلاد كثـيرة ومـدائن في الشرق والبـحر المتوسط . قـرأ كثـيرًا وناقش مع رفاقـه في كل مكان قضـايا الحرية والنضال من أجل شرف الوطن . صـادف الشاعر في حـياته معاناةشـديدة ناتجة عن الظروف الاجتماعـية والسياسية الرديئـة التي عاشت فيها بلاده من فقد وبـطالة ، وتشرد ، وضياع وقد ضاقت به الأحوال حتى مرض ابنه وعجزعن علاجه لفقره الشديد فيقول :

ليس لدي خبز .. ليس لدي ماأغذيك به .. انظر سوف أهدئ جوعك بالإيمان بالمستقبل .. وكم تكون الحياة سعيدة عند ذاك .. سنغني جميعًا .. نغني ونحن نعمل .. وستكون أغاني سعيدة.. تمجد الإنسان في كل مكان ...

ومن هنا انطلق الشاعر مؤمنًا بدوره في المجتمع ، عليه أن يكتب ليقود أمته إلي مستقبل مشرق تنتهي فيه حـالات الفقر ، وصرخات الجوع ، والشعر ليس أغنيـات تنساب من الروح إلى الفضاء بلا جدوي ، الشعـر حياة جديدة وبناء ورحيل نحـو عالم جديد ، شعر يشـيد أفكارًا ويهدم افكارًا

وتلك من مزايا الشعر المقاوم الذي يدفع إلى العمل وحب الحياة و الموت من أجل الآخرين.

ومن أروع قصائده تلك التي يصف فيها امرأة تنتظر زوجها العائد من الحرب وتشعر الزوجة بالوحدة والمصير المظلم في غياب زوجها حتى إنها تكره الحرب وكلمة الحرية التي أطاحت بحياتها وأرغمت زوجها على الرحيل والمقاومة من أجل عيون هذه الحرية ، فتقول المرأة اليائسة :

لقد انتهت المعركة يا حبيبي ..ولكنك لن تعود .. كنت أريد أن أستردك .. أنا غيورة .. أكره حتى كلمة الحرية .. هذه التي جذبتك بجنون .. ربما كنت على حق يا حبيبي .. ولكنها مرهقة .. وثقيلة هذه الوحدة .هذه الدخيلة في غرفتنا .

وظل الشاعر البلغاري يكتب أروع قصائده المقاومة متحديًا رصاص الاحتلال الألماني حتى قادوه إلى السجن فكتب على الجدران أناشيد التمرد والغضب حتى أيقن أنه ذاهب إلى المشنقة فصرخ قائلا :

من يسقط في معركة الحرية .. لا يموت أبدًا .. لا يستطيع أن يموت

فانتشرت قصائده بين الناس في الشوارع ، والمدرسة والمعاهد والقرى والمصانع يغنون للوطن ..للفلاح ، والعامل ، والطالب ، و الطفل والمرأة ، أن يهبوا جميعًا في ثورة هادرة .. أن يتحدوا معًا ، يزرعون الفيافي والحقول معا دون خوف أو تراجع .

وبذلك ذاع اسم الشاعر في كل أنحاء بلاده ، وعرفه الأحرار والثوار في كل أرض تناضل الأعداء ، إنهم يرددون جميعًا قصائده :

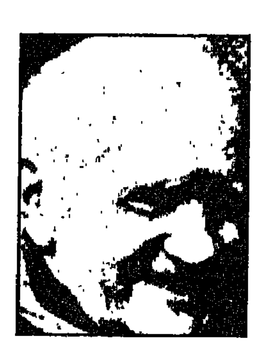
من يسقط في معركة الحرية

لا يموت أبدًا

لا يستطيع أن يموت

وحين شُنق الشاعر وأعدمه الألمان ، صرخت فوق أشجار قارنا عصافير الوطن وتساقطت أوراق الشجر حزنًا في غابات صوفيا ، وصوت الشاعر يجوب الآفاق :

ضارية هي المعركة .. لا هوادة فيها .. والنضال خليق بالملاحم .. لقد سقطت وسيحتل مكاني مناضل آخر سيحتل مكاني مناضل آخر .



جان جينيه

(١٩١٠ - ١٩٨٦م)

جان جينييه الشاعر والروائي والكاتب المسرحي الفرنسي الذي يُعد في طليعة رواد مسرح اللامعقول مع يوجين يونسكو وصموئيل بيكيت وآرثر أداموف وإدوارد إلبي وغيرهم .

وكل هؤلاء ثاروا في كتاباتهم بعد الحرب العالمية الثانية ضد المجتمع وقيمه البالية التي لم تحقق السعادة للبشر وإنما تقاذفت بهم من هاوية إلى أخرى ومن سراب إلى صحراء ومن ضياع إلى إحساس بالفقد والاستلاب ، فلا قيمة لهذا الواقع الذي تفشى فيه الخراب وسادت دول كبرى وبادت دول أخرى و كان الثمن هو دم الشعوب وقهرها واستنزاف الكوارث والمصائب التي حلت على المجتمع .

ويهاجم أيضا التفرقة العنصرية في مسرحيته « السود » عن البطل الزنجي الذي يندفع إلي محاولة القضاء على الرجل الأبيض . إنه صراع نفسي واجتماعي قد أحكمت نسيجه قوى الشر والعنف والاضطهاد .

وفي مسرحية « الستائر » يقف ضد حركة المد الاستعماري وما فعلته فرنسا وطنه في الجزائر من ظلم واستعباد .فكانت المسرحية صرخة كبرى ضد الظلم والطغاة . وتهكم على مبادىء الثورة الفرنسية التي أعلنت الحرية والمساواة والإخاء ثم راحت تسيطر على الشعوب العربية النامية.

فلم يكن مسرح هذا الكاتب الفرنسي إلا وسيلة لتعرية النظام السياسي ومواجهته بآثامه وشروره دون رحمة ، فإذا فقد العالم معناه الإنساني حاول مسرح اللامعقول البحث من خلال الجرأة والصراحة والمخاطرة بتمزيق ستائر الظلام أمام شمس المعرفة والحقيقة . فكان المسرح أقرب إلى الصدمة التي تحرك الشعور وتوقظ الإحساس وترد الوعي المسلوب وتوجه الإنسان إلى غايات أكثر حرية وإنتاجًا و إبتكاراً .

لقد وقف جا ن جينيه أمـام المجتمع متمردًا على قوانينه وأساليبه الظاهرية وعلاقاته المادية التي لا تلمح فيـها شيئًا مـن اليقين أو لمسات من الروح والتعـاطف مع البؤساء والمنبوذين والمقـهورين والمرفوضين والضائعين في أعماق المجـتمع ولذلك يقف الكاتب مع هؤلاء ، سواء كانوا منحرفين أم أشرارًا أو سـاقطين . ويري أنهم من خلال موقفـهـم الشرير قد تمردوا بشكل أو بآخـر على قيم المجتمع الفـاسدة . إن هؤلاء هم ضحايا العـصر ولا ذنب لهم لقد حولهم الواقـع إلى قوى شريرة تنتقم من النظام السائد .

ولاغرابة في مـوقف الكاتب منهم لأنهم عالمه الذي عـاش فيه وهـو واحد منهم ، فقـد مارس السرقـة وحُكم عليـه بالسجن أكـثر من مـرة وصادق المجرمـين في السجـون ، وكانت أول تهـمة وجهت إليه في طفولته حين اقترف السرقـة وتم إيداعه خلف الأسوار يعاني مصيرًا مظلمًا بلا أب أو أم أو أسرة ترعاه فـقد وجُد لقيطا على حـافة الطريق وقامت على تربيته أسـرة لم تكن تهتم إلا بالمال الذي ترسله الحكومة لها مقابل العناية بالطفل ، فلم يذق الحب أو الحنان ولـم يعرف الطفولة البـريئة والحيـاة المستـقرة ، فـانقلب الطفل إلي وحش وشـرير قاس ينظر إلى النـاس حوله بحـقد وانتقام ولا يعرف له أصلا أو انتماء فهو ابن الرذيلة فإلي أين يهرب وكيف يواجه هذا العالـم ؟

لم يجد أمـامه إلا الشر والمعصـية . إلى أن كتب أول قـصيدة له في السـ جن وبدأ يقرأ ويكتب حتى نـشر روايته الأولـي « سيدة الزهـور » وعرفه النـاس وقد وقف معـه في أزمتـه بعض الأدباء الفرنسيين ، وخرج من السجن ليبدأ رحلة الإبداع والتمرد على الورق .



يوجين أونيسكو

(١٩١٢ - ١٩٩٤م)

الأديب الساخط على عالم فقد منطقه العقلاني وسقطت فيه العقائد وانهارت المعتقدات وتمدد الخراب الروحي في كيان البشر فإذا بوعود الحرية والرخاء والحكمة ليست سوى أوهام لا وجود لها في عالم لا معقول ...

ومن هنا برز دور أونيسكو في مسرح اللامعقول القائم على رفض كل الأشكال التقليدية للمسرح سواء الأرسطية أم الملحمية ، وتأسيس مسرح ثوري غاضب ومتمرد لبعث الإنسان مرة أخرى .

مسرح أونيسكو محاولة لإيقاظ الجماهير وتطهير نفوسها وإثارة وجدانها وغضبها على ما يحدث حولها من فساد وسقوط وخراب ولذلك يقدم سلسلة من المشاهد قد تثير الضحك أحيانًا ولكنه ضحك كالبكاء حيث يضحك المشاهد من شقاء الآخرين ، ثم يكتشف أنه من هؤلاء التعساء فيبكي على نفسه .

وقامت مسرحيات اونيسكو على التوغل في اللا شعور وتحريض الجماهير على التمرد والرفض واكتشاف ذاتها ، واستخدم في ذلك القصة الغريبة والحكاية النادرة والمشهد الكئيب واللغة الممزقة والأحاسيس المشوهة والإرادة العاجزة عن الفعل والصوت المختنق في الروح .

وفي مسرحيته « الخرتيت » يشعر البطل «برنجيه» أن كل الناس حوله مجموعة من الخراتيت المتوحشة التي تسعى إلى افتراس بعضها . كائنات فقدت عقلها وإحساسها وانطلقت بغرائزها تفسد في الأرض ، ويصبح هدف المسرح هنا رد الضمير الواعي المستنير لهذه الكائنات المخبولة .

ويقول أونيسكو :

ـ إننا نصدم عندما ندرك أننا نحيا في وهم كبير والسلوك الإنساني يؤكد عبث التاريخ ولا جدوى مما يحدث حولنا . فكل شيء ممزق وفارغ من محتواه وبلا معنى . وفي مواجهة هذا العبث لا يملك المرء إلا الضحك من قلب ممزق حزين باك .

وهكذا ظل أونيسكو يحاول إبراز هذه الوحشية التي تسكن البشر فنرى على المسرح أبطالاً يعانون الوحدة والسأم والضجر والاغتراب ، إنهم فئة عاجزة عن التواصل مع الآخرين واحاسيسها مبتورة فاترة مصابة بالشلل وعندما يحاول الأبطال البحث عن وسيلة للتواصل والإحساس بالتعاطف مع الآخرين يتساقطون ويتحطمون وتتكسر أحلامهم وتتلاشى طموحاتهم ويعيشون في لحظات تهددهم دائمًا وإما بالموت بالانتحار .

وحين يواجه المشاهد هذا التوتر والتناقض واللامعقول في العمل المسرحي فإنه يبحث عن الحياة المحكمة النظم القائمة على أسس ومبادئ أخلاقية وقوانين معقولة .

ويقول أونيسكو :

إنني أعرض العالم الخفي الداخلي في أعماق الجماهير تلك محاولة لفهم الكون وإيجاد نغمة انسجام وتوافق مع العالم حين ترفضه وتناقضه.

ولذلك يلاحظ المشاهد أن ما يحدث على خشبة المسرح مشاهد مروعة وغير مقنعة ، وقد يستاء ويغضب وينتابه الملل و يدفعه هذا الإحساس إلى التفكيرفي حياة أخرى .

في مسرحية «أميديه» زوجان لم يغادرا بيتهما منذ سنوات وفي حجرة نومهماجثة متعفنه ربما تكون جثة عاشق الزوجة الذي قتله الزوج أو جثة لص حاول اقتحام الغرفة . والجثة تنمو وتكبر حتى تندفع قدم ضخمة من حجرة النوم وتهدد الزوجان بالطرد خارج البيت .

وفي مسرحية « المغنية الصلعاء » تقول البطلة : إنني أفضل أن أبيض بيضة على أن أسرق بقرة. وهنا يفكر المشاهد في هذا العبث الذي يقع على المسرح ويرفضه ويحاول أن يجد طريقه للخلاص من هذا الوهم وتلك المأساة .

لقد عاش يوجين أونيسكو طفولة قاسية مع أمه الفقيرة بعد وفاة أبيه ، وشاهد كيف تعاني أمه في الحياة وحدها من أجل الرزق الحلال ، ومع ذلك لم تنجُ من وحشية المجتمع وسفاهة أناس لا ترحم كأنهم حقًا وحوش ضارية لا يعرفون سوى غرائزهم الحيوانية . ولا شك أن هذه الطفولة قد تركت آثارًا في إبداعه المسرحي .

ويقرر أونيسكو بأنه فشل في التلاؤم أو التناغم مع الحياة حوله ، ولعل الحروب والهجرة وبشاعة النظم الأوروبية الاستعمارية قد شكلت موقفه ضد أساليبها ومبادئها الزائفة .

وقد تأثر أونيسكو بكتابات كافكا وراسين ودستويفسكي وأندريه جيد وجوستاف فلوبير ويعتبر أحد رواد مسرح اللامعقول مع صموئيل بيكيت وجان جينيه وأرثر أداموف وفرناند أربال وقد آمن بكلمة شكسبير التي يقول فيها :

إن العالم قصة أبطالها مجانين يرويها أبله





أوكتافيوباث

(ولد ١٩١٤)

شاعر من المكسيك نشأ في أسرة ثرية دفعته إلى القراءة المبكرة في الأدب والفنون ..فاتجه إلى الشعر وعشقه حتى بدأ يكتب بعض القصائد متأثرًا بأعلام مدرسة الشعر الرومانسي الإنجليزي وهم :شيلي ووردز ورث وبايرون . وكذلك اهتم بالشعراء الثوار الرافضين للطغاة والصارخين دائما بالشعر الغاضب الذي يمجد ثورة الإنسان على الظلم وتأييد الحق ومناصرة المسحوقين والبؤساء.

تأثر كذلك بأعلام المدرسة الفرنسية مثل أراجون وإيللوارويبكيت وآرتو وأبولينير ويقول :

ـ إنني حين أكتب قصيدة ما لابد أن أجسد فيها مصير البشر ودور الإنسان في انتصاره على العدم والهلاك .

أنهى دراسته وعمل في السلك الدباوماسي وزار بلادًا عديدة واقترب من وجدان الشعوب وأحلامهم في الحرية والسلام والحب . وقرأ ثقافات وتراث هذه البلاد التي عاش فيها ، وأصبحت ذاته منثورة في جذور الشعوب في كل مكان ..وقضيته الحقيقة لا تكمن في ما يدور داخل بلاده ، ولكن العالم بأسره .

وفي عام ١٩٦٨ عندما كان سفيراً لبلاده في الهند قامت مظاهرات بقوة السلاح والرصاص مما أدى إلى تساقط القتلى بالآلاف على الأرض . وفي الحال استقال الشاعر أوكتافيو باث من منصبه وقرر أن يضم صوته إلى حناجر شعبه ويعري فضائح حكومة بلاده التي استخدمت الإرهاب والقتل والذبح علنًا في الشوارع ضد الشعب الأعزل من كل شيء سوى صوته ويقول :

إذا ما الضوء الأبيض حقيقي

من هذا المصباح

وحقيقة اليد التي تكتب

فهل حقيقة العينين

اللتين تنظران إلى ما أكتب ؟

من كلمة واحدة لأخرى

يتلاشى ما أقول

أعرف أنني حي بين هلالين

يحاول باث في شعره أن يجسد لك الصور المجردة بحيث يخيل لك أنك تلمسها ، فهو لا يلجأ إلى المباشرة أو الصور البسيطة وإنما فكرة ترتج في ذهنه ويبدأ في تشكيل عناصرها في معان مختلفة ومختفية أحيانًا ولكنها ليست إلى حد الغموض المبهم .

إنه شاعر الغموض الساحر وتحويل الاحاسيس الإنسانية من حب وخوف وتمرد وغضب وثورة ورفض واجتياح وإعجاب بجمال الطبيعة إلى أفكار زاهية أمامك واضحة كل الوضوح وأيضا غامضة كل الغموض فيقول :

يداي تفتحان ستارة كينونتك

تلبسانك بمزيد من التجرد

تعريان أجساد مشاعرك

يداي..

تبدعان جسرًا آخر

لجسدك

ويحاول في قصيدة أخرى التعبير عن عالمه الداخلي ولحظات اليقين بالحب والاخضرار والفرح والموج والكوكب المضيء من خلال رموز تطرحها امرأة ما ، يقول :

هناك شجرة واقفة

وهناك شجرة تمشي

نهر أشجار يضرب صدري

إنه الفرح والتموج الأخضر

تلبسين الأحمر

خاتم السنة المشتعلة

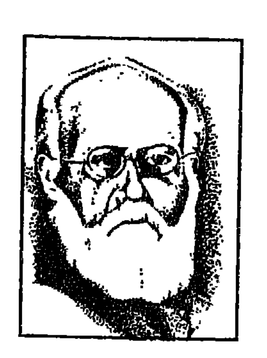
ومن أجمل قصائد الغضب والثورة يقول :

نحن باقون ضد الطغاة

نحن اللهب المستعر ضد الخونة

نحن الانفجار الكبير ضد أعدائنا

نحن باقون حتى الموت على أرضنا .



أنطونيو أوغسطينو نيتو

(١٩٢٢ - ١٩٨٢م)

شاعر ثائر من انغولا وقف ضد الاستعمار البرتغالي وكتب قصائد وطنية حماسية تدعو إلى النضال والحرية .

ولد في قرية « كاكزيكان » القريبة من العاصمة «لواندا» وأنهي دراسته الثانوية وعمل في الخدمات الصحية ، شارك في تأسيس جمعية ثقافية أصبحت ذات نبرة وطنية واضحة .

سافر الشاعر إلى البرتغال لدراسة الطب في جامعة « كواميرا » ونشر قصائد تحمل عذابات قومه المقهورين فقامت السلطات البرتغالية باعتقاله بينما كان يجمع تواقيع لدعم مؤتمر السلام العالمي الذي عقد في أستوكهلم . وأفرج عن الشاعر ثم اعتقل مرة أخرى من ١٩٥٥ حتى ١٩٥٧، بعد وساطة لجنة العفو الدولية تم الإفراج عنه . في عام ١٩٥٩ أنهى دراسة الطب وعادإلى أنغولا وتزوج الشاعرة ماريا أوجينيا.

ظلت أنغولا تعاني الارهاب البوليسي والعنف السياسي حيث أحكم المستعمر قبضته على.. البلاد فقام نيتو بالانضمام إلى حركة التحرير الشعبي عام ١٩٦٠ .

وقبض عليه مرة أخرى وأودع في السجن وقامت السلطات بقتل المواطنين وإحراق القرية فخرج الأهالي في ثورة عارمة ضد الإرهاب وتم إبعاد نيتو إلى « لشبونه » ليسجن هناك .

ووجهت حركة التحرير الشعبى نداء إلى المقاومة بالكفاح المسلح . وقام الثوار بالتوجه إلى «سجن لواندا » لإطلاق سراح زعمائهم وواصلوا النضال ضد القمع والقتل والموت . وتمكن نيتو من الهرب من سجن لشبونه وعاد إلى وطنه مرة أخرى وأصدر مجموعات شعرية هي الأمل المقدس .

وقام المؤتمر الرابع لكتاب أسيا عام ١٩٧٠ بمنحه جائزة لوتس تتويجًا لنضاله الوطني وتقديرا لفهم رسالة الأديب أو الشاعر .

يقول نيتو :

إن رسالة الأيب والشاعر هى أن يحول الرغبة إلى قوة فعالة وذلك عن طريق الكشف والتوعية وأن يحول الساكن إلى متحرك والمهزوم إلى مناضل والعبد إلى سيد والمحروم إلى مطالب بحقه ولو بالقوة .

ويقول في إحدى قصائده عن الزنجي المستعبد :

مبيع

غضوب من أشغاله الشاقة

مجلود من الناس

معاقب في المدن الكبرى

مسلوب في آخر فلس

مهان حتى الغبار

مغلوب على أمره دومًا وأبدًا

مجبر على الخضوع للناس

ضال فقد وطنه

جعلوه يقلد حركاتهم

وروحه تغاير أرواحهم

خرقة بالية سوداء

ضائعة في الزمان

منعزلة في الفضاء

حين يعقد وزرته

يتهامسون

فتمعن روحه في التواري

في صمت العبارات المقعرة

فياله من زلجي يائس

يدعى الشعراء إنهم إخوته

وفي قصيدة أخرى يقول :

تمثل في خاطري

دروب لم تطأها قدم

تتناهى إلى سمعي أصوات نائية

لاناس ما تغنوا أبدا

تساور ذهني أيام هائمة لم أعشها

أهب فيها جسدا

لحيوات لم تكن أبدارل

وأرنو إلى ضياء

لا ألقى فيه سوى ظلمات



الشاعرة البولندية
فيزلافا سيزيمبورسكا
(١٩٢٣ - م)

مُنحت جائزة نوبل في الأداب عام (١٩٩٦) للشاعرة البولندية فيزلافا سيزيمبورسكا. وقد توجهت الشاعرة إلى السويد وتسلمت الجائزة من الملك في الاحتفال الذي يقام لهذه المناسبة وتعتبر الجائزة هي السادسة للحائزين عليها من بولندا .

إن أول سيدة بولندية حصلت على هذه الجائزة في مجال الفيزياء عام١٩٠٣ والثانية هى السيدة مارى كوري عام ١٩١١. في عام ١٩٨٣ منحت الجائزة إلى ليش ويلزا في السلام .

أما في مجال الأدب فتلك الجائزة هى الرابعة حيث حصل عليها عام ١٩٠٥ هنريك سنكلير عن روايته «كوفاديس» التي عبرت عن الروح البولندية في صدق وإبداع متميز حقيقي . وفي عام ١٩٢٤ حصل على الجائزة الأديب البولندي ويلاويسلاوا عن روايته «المزارعين» وفي عام ١٩٨٠ مُنحت للشاعر والأديب سيزيسلاو ميلزوز .

وفي المرة الرابعة تكون الجائزة أيضا لبولندا للشاعرة فيزلافا سيزيمبورسكا حيث جاء قرار اللجنة : بأن أدب هذه الشاعرة يسمو إلى مستوى عال معبراً عن الروح الإنسانية للشعب البولندي هذا بالإضافة إلى رغبته الحميمة في تحليل قضايا الإنسان من خلال المجتمع البولندي .

وجاء أيضًا في قرار اللجنة بأن أدب فيزلافا يرقى إلى شاعرية ونبضات موسيقية حالمة كأن موزارت يعزف ألحانًا عذبة جميلة ، بل أن الشاعرة أيضًا مزجت هذه الأشعار بوهج بيتهوفن .

عندما تلقت الشاعرة فيزلافا خبر حصولها على جائزة نوبل كانت تجلس في بيتها تكتب قصيدة جديدة . وغرقت في بحر من الصمت لبرهة ثم قالت في دهشة وغرابة وكلمات متكسرة يشوبها التلعثم :

ـ لا لا أستطيع أن أتكلم . . . لا أستطيع أن أعبر عن إحساسي ، ماذا أقول ؟ سوف أظل مدة طويلة

أعيش ضد رغبتي حيث لابد أن ألتقي بوسائل الإعلام ووكالات الأنباء وأنا أعشق العزلة والصمت والسكون .

وهكذا كان رد فعلها عندما علمت بالخبر لأول مرة .

ولدت فيزلافا في ٢يوليو ١٩٢٣ في مقاطعة بوزنان ويعد الحرب العالمية الثانية درست علم الاجتماع والأدب البولندي في إحدى أكبر وأقدم جامعات بولندا الشهيرة وهى جامعة جاجيلونيان التي تأسست عام ١٣٦٤ .

وأول قصيدة كتبتها عام ١٩٤٥ وعنوانها : "ابحث عن العالم" . ثم جاء الديوان الشعري الأول عام ١٩٥٢ واسمه : "لهذا السبب نحن نعيش" . وقدم هذا الديوان ملامح من أفكار الشاعرة البولندية تجاه الحروب وأزمة الإنسان وفقدان القيم والتعلق باهداب الآمال وشق درب المستحيل وإعادة بناء الحياة .

وأصبحت في نفس العام عضواً في جمعية الأدباء البولنديين، وأصدرت مجموعتها الشعرية الثانية عام ١٩٥٤ وهى : تساؤلات لذاتي. ويرى النقاد أنها في هذه المجموعة قد بدأت تتميز بأسلوب خاص ورؤية متفردة .

أما نقطة التحول في حياتها فقد حدثت عام ١٩٥٧ في كتابها الرائع « صرخة نداء إلى يوتي»حيث برزت القيم الشعرية السامية والبحث عن مصير الإنسان والتعاطف مع هؤلاء الذين فقدوا الطريق وتهاووا وضلوا في لجج الضياع وانكسرت أحلامهم . وتوالت مجموعات شعرية أخرى منها : "ضحكات الملايين" و"حالة طارئة" و"الرقم الكبير" ، والمجموعات الشعرية الأخيرة صدرت عام ١٩٩٣ وهى : "النهاية والبداية" .

وقد اتجهت في بداية الستينات إلى كتابة الشعر الحر والتعبير عن صورة الإنسان وعلاقته بالكون والطبيعة .

والشاعرة فيزلافا تعمل أستاذة للأدب البولندي في الجامعة وهى تتميز بثقافة عالية وحس إنساني كبير ، ورغم شهرتها فإنها خجولة لاتحب الضجة الإعلامية حول اعمالها أو شخصيتها . وقد ترجمت أعمالها الشعرية إلى ٣٦ لغة وحصلت على عدة جوائز أدبية من وزارة الثقافة البولندية ونادى الأدب وجائزة جوته ومنحتها إحدى الجامعات البولندية الدكتوراة الفخرية كما أن قصائدها يدرسها الطلاب في المدارس الثانوية ضمن المنهج المقرر عليهم .

ترى فيزلافا أن الشعر لا يمكن أن نحده في كلمات ومن الأفضل للمبدع أن يعايش إحساسه الداخلي ويعبرعنه بصدق أكثر من محاولة البحث عن معنى لهذا الإحساس . فالشعر في كل مكان وزمان ونحسه في الفنون التشكيلية والتصوير والنثر والرواية والقصة القصيرة ، بل نحن نحيا تجارب شعرية خصبة ولذلك نتجه إلى التعبير عنها وليس البحث عن معنى لهّا .

وتضيف الشاعرة قائلة : **إن العالم يصبح شيئا مختلفا عندما يتحول إلي شعر فإذا كان العلماء قد قرروا أن الأرض كروية أو مستديرة فإنها في نظر الشعراء قد تكون مسطحة أو مربعة وتدور فوق رءوسهم مباشرة .**

أما عن إتجاهاتها الفكرية أو الأفكار التي تخوض فيها شعريًا فتقول : **إن ما يشغلني هو الانسان في المجتمع المعاصر سواء في السياسة أم التاريخ أم الاجتماع واعتقد أن هذا أيضًا ما يشغل ذهن الأدباء المبدعين في الغرب وبولندا .**

إن موقف الشاعرة فيزلافا من الإنسان موقف يفيض بالتفاؤل والآمال العريضة والطموحات التي بلا حدود لأن الانسان ليس إلا جزءًا من هذا العالم ولابد أن تمتد مشاعره وإنجازاته الإنسانية لتتوحد بالكائنات الأخرى ويحلم معها بالخير والحب والسلام .

وليس هناك تميزاً لكائن عن آخر في الطبيعة والكون الكبير حتى النباتات الصغيرة والحيوانات الكبيرة والافلاك السابحة في الفضاء إنها جميعا تشكل وحدة متكاملة مع الكائن المعاصر . والانسان مشهدحيوي من مشاهد الطبيعة ومن هنا تأتي ثورته من أجل الحق والعدل والجمال والحرية ومقاومة الطغاة ، والمستبدين الذين يحاولون بتر من اعماق الطبيعة .

ومن ناحية أخرى ليس هناك في شعر فيزلافا عداء بين الطبيعة والعلم أو بين الروح والطبيعة ويمكن للفرد أن يجد الخلاص من أزمته الروحية إذا كان متوافقًا أو منسجمًا مع هذا الكون .

وفي قصائد فيزلافا احساس دائم بالفقدان هذا الإحساس النابع من عشق حميم للأرض والمدائن المندثرة التي فقدت في الحروب والدمار الذي اجتاح العالم . فإن هذه المخلوقات التي اندثرت كان يمكنها أن تملأ العالم سحراً وجمالا مثل مدينة «أطللانتس» وهى رمز للحلم البعيد . وقد كتبت الشاعرة قصائد كثيرة في هذا المجال ومنها قصيدة تحمل اسم مدينة اطلانتس .

ولم تكن فيزلافا تهرب إلي عالم الحلم ضجراً من الواقع وإنما محاولة لاستعادة الحلم المثالي أو المدينة الفاضلة التي تحدث عنها توماس مور والفارابي وصورتها العقائد الدينية . فالحلم هنا

تجاوز لحدود المكان والجسد والزمان .

أما عن قضيــة الحب في شعر فيزلافا فأنه الحــب الروحي الخرافي ، دفء عاطفة عميقـة شجية ثرية بالرؤى والتفاصـيل الدقيقة عن مصير الكـائن البشري ومواجهته للعـدم والرماد حين انفصل عن الطبيـعة وتلوثت روحـه وتزيفت الحقـائق وعجز عن التـواصل والخروج من خلف ركـامات الاحزان وإرثه العتيق .

وتلك قصائد من الشاعرة فيزلافا سيزيمبورسكا البولندية الحائزة علي جائزة نوبل لعام ١٩٩٦

* عودة :

عاد إلى البيت ولم يذكر أيًا من الأشياء

رغم أننى كنت صفحة بيضاء

حدث شيء غير مفرح

في سريره دفن رأسه تحت الغطاء

لم ركبتيه

كان في الأربعين

ولم يكن يبدو عليه

إنه يحيا كما لو كان في بطن أمه

يغط في سباته ونومه

في ظلام دامس

غدا سيلقي محاضرة في التوازن والاتزان

وفي علوم المجرة والألوان .

* قصيدة الرابعة صباحا :

من الرابعة حتي الخامسة

ساعة ولادة الضوء من الظلمة الدامسة

تمثل الثلاثون الفائتة

تزحف الساعة مع صياح الديكة ساعة تخذلنا الأرض

ساعة تهب الريح من النجوم الخافتة

ساعة لم يبق لنا أثر

سوى التسليم للقدر

النذر الزخير من الساعات الأخرى

لا أحد يشعر بالرفاة

عند الرابعة صباحا

فإن النمل كان يتشكل

مر حي مرحى للنمل

ولتأت الساعة الخامسة

إن كنا سنستمر في الحياة

* مديحا لأختي :

اختي لا تكتب شعراً

لكن يبدو أنها ستبدأ ذلك فورا

لقد ورثت ذلك عن أمها

وعن والدها الذي لم يصغ الشعر قلائد

في بيت أختي أشعر بالاستقرار

لا شيء يحث زوجها على كتابة الأشعار

رغم أن الأمر يبدو كإحدى قصائد أدم ماكدونسكي

فلا أحد من أقاربي يحفل بكتابة الشعر

وفي مكتب أختي لا يوجد هذا الأمر

لا قديم لديها

ولا جديد في حقيبة يدها

وعندما تدعوني إلي العشاء

لا تقرأ الشعر بل تصنع رائع الحساء

بلا تجريب

وتعد قهوة بلا دلق أو تخريب

عائلات كثيرة لاأجد فيها من بالشعر يحفل

إن حدث فشخص واحد يفعل

فأحيأنا تجود بالشعر الأجيال

تشكل ظواهر مرعبة في العلاقات الأسرية والأحوال

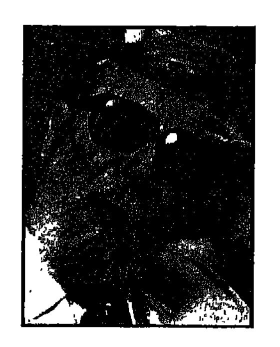
أختى تبدع نثراً راقياً

خاصة على بطاقات التهنئة

وذلك يبشر بعودتها كل عام

وعندما تعود ستخبرنا بكل شيء

بكل شيء



جون اسبون

(١٩٢٩م)

الأديب الإنجليزي جون أسبون رائد حركة الغضب والسخط والرفض وأعلن عن ذلك في مسرحيته « انظر وراءك في غضب » حيث يقف البطل جيمي بورتر في وجه الجمهور ويصرخ غاضبًا :

ـ اللعنة عليكم جميعًا . . .

هذا بطل فقد قدرته على الحياة ، لم يعد هناك ما يثيره أو يدعوه إلى النضال أو يدفعه إلى الثورة ضد الظلم ، لقد سقطت القيم والمعاني الجميلة ، ولم يعد هناك يقين يؤكد بأن من يعيشون على هذه الأرض من سلالة البشر .

ويعود بطل المسرحية يقول :

ـ دعونا نتظاهر إننا بشر. دعونا نتخيل أننا بشر ولو لفترة قصيرة . .

إن ثورة جون اسبورن من أجل محنة الفرد في مجتمع الهشاشة والتفاهة والقشور بحيث اصبح عاجزاً عن تحقيق معنى جديداً بعد أن دمرت الحروب والشعارات الكاذبة كل الطموحات النبيلة .

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد سيطر السفهاء والتافهون والمخربون والأدعياء واللصوص على وكالات الإعلام ومنافذ النشر والصحافة وتحول الجنس والمال والنفوذ إلى لعبة لاضطهاد الشرفاء واصحاب المواقف والرسالات الكبرى .

ولذلك يقول صديق جيمي بورتر في المسرحية :

ـ ليست عندي الشجاعة لأعتمد على نفسي . . أنا إنسان تافه جدًا .

وهذا يرمز إلى واقع المجتمع الذي يسخر منه الكاتب ، وتبدو كذلك زوجة جيمي بورتر امرأة

من الطبقة الثرية التي لا هدف لها في الحياة سوى إشباع ملذاتها . ويثور ضدها البطل ويوجه الاهانات ويحاول تحطيم ما في داخلها من قيم هذه الطبقة العفنة واساليبها المادية المخزية ، حتى تقرر الزوجة في النهاية أنها خسرت القضية وتنحاز إلى فكر زوجها البطل المأزوم وتنهار أمامه مستسلمة لصرخاته وكأن وعيها قد تفتح وفكرها قد استنار .

عاش الأديب المسرحي الساخط جون أسبورن فقيراً يرى والده البائس الحزين يصارع المرض والفقر الذي اهلكه . وبعد رحيل والده عاشت أسرة جون اسبورن في معاناة أليمة ومرارة وحرمان حتى اضطر أن يعمل حمالاً وهو مازال فتى .

واستطاع خلال رحلة كفاحه أن ينضم إلي أحد المسارح ممثلاً صغيرا ثم اتجه إلى كتابة المسرحيات .

وقدم مسرحيته « انظر وراءك في غضب » عام ١٩٥٦ بعد هجوم انجلترا وفرنسا و إسرائيل على مصر وإذا بالمسرحية تصب اللعنات علي سياسة انجلترا المتناقضة والواقع القاسى الذي يسيطر عليه أصحاب الأموال والثقافات الزائفة والصحافة المأجورة والأرستقراطية المتعجرفة الساقطة .

ويقف بطل المسرحية ليعلن أن كل المبادئ التي كانت تنادي بها بريطانيا العظمى قد سقطت بهجومها على مصر وسياستها تجاه الشعوب الأخرى .

ويصرخ بطل المسرحية في وجه الجمهور ليثير انفعالهم ويحرضهم ضد الفساد ويهاجم آراءهم وسلبيتهم ويدعوهم إلى الغضب علي حياتهم وواقعهم المنهار .

إن اسبورن استيقظ فجأة ليواجه بلاده وهى تحتل مدينة بورسعيد وتضربها بالمدافع مع فرنسا وإسرائيل عام ١٩٥٦ .

«إن كل ما يتعلمه الأبناء من قيم الحرية والديمقراطية ونبل السلوك والقيم الأصيلة لا وجود لها فى الحياة البريطانية ، وحرب السويس وبورسعيد خير دليل على ذلك لأنها حرب ضد المثل العليا..»

وكتب اسبورن مسرحي «المهرج» لتعلن هذه الأفكار على الجمهور .

اسبون أحد الكتاب الشبان ، عبر عن واقعه بحرية وجرأة وشجاعة ، فصور إبطاله على المسرح يعانون من الشقاء والبؤس الاجتماعى نتيجة هذه الأساليب السياسية التي تنتهجها بريطانيا ، فإذا أصبح العنف والشر والقبح وسيطرة المال ونفوذ الأثرياء والقوة هم المبادئ السائدة في المجتمع فقد أعلن رفضه التام لهذا السائد حوله وقدم في مسرحيته «انظر وراءك في غضب» صورة لهذا

الرفض والسخط .

قُدمت المسرحية على البلاط الملكي في ٨ مايو ١٩٥٦ لتوضح أن هناك انشقاقاً يتمثل في الفصل بين النظرية والواقع . فالقادة الكبار يقولون وينادون بمبادئ وشعارات كبيرة وعظيمة ولكنهم ينفذون شيئاً آخر . وتحس أن اسبورن في مسرحيته تلك عنيف جارح حتى إنه جعل بطل إحدى مسرحياته يصيح في وجه الجمهور :

اللعنة عليكم جميعًا

كان المشاهد يرتعد حقًا في مواجهة هذا العالم المسرحي أو اللا مسرحي ، مواقف واقعية أو هي مسرح اللا واقع . الفن يغمر كل مكان على المسرح . تذوب الفواصل بين الجمهور والشخوص المسرحية ، يصبح المسرح أداة أو مرآة التغيير حين يرى المشاهد بشاعة وجه حياته ودوره الهابط الساقط مع الآخرين ومع ذاته .

إن مسرحية «انظر وراءك في غضب» تقدم أيضًا بطلاً فقد متعته للحياة ، وكل شئ ساكن حوله لا يثير عواطفه أو أفكاره إنه يتجرد من أحاسيس البشر ، يتلاشى وحيداً في الظلمات ولايدري هل حقًا يتألم أم فقد القدرة على الإحساس بالوجع ، يرنو إلى الأشياء من حوله فيراها غريبة لا تمنحه الدهشة أو البراءة أو الإحساس بالجمال . وكأنه جاء إلى هذا العالم غريباً دون أن يدرك حقيقته من قبل . أنه عالم يتساوى فيه مع الأشياء التافهة والمهدورة الإرادة والمطموسة المعالم.

إن جون اسبورن يمثل الكاتب الملتزم بقضايا بلاده ومحاولة الإشارة إلى الخلل الذي انتشر وأصبح يحاصرنا في كل مكان . وهذا الكاتب قد نشأ فقيراً ورحل عنه والده وهو ما زال طفلاً .

لقد ذاقت أسرته الفقر والمرض والتنقل بين المصحات العلاجية . وعاش اسبورن مع الفقر في صراع دائم حتى بدأ يقرأ ويهتم بالمسرح . فانضم عام ١٩٤٨ إلى فرقته للتمثيل وكتب أول مسرحية حققت نجاحًا كبيراً ويقال أن المسرح الذي قمت عليه هذه المسرحية أعاد له مكانته المادية وفتح أمامه أبواب الثراء إذ كان هذا المسرح على وشك إغلاق أبوابه وإعلان إفلاسه للجمهور .

وانضم إلى اسبورن مجموعة من الشبان الأدباء كان هدفهم مهاجمة هذا الواقع وإيجاد مساحة نقية للفرد المعاصر ليمارس حياته بشرف وكرامة وكبرياء وقد هاجموا كل شئ : السياسة ونظم الحكم والصحافة والفن وضيق عقول الناس وتجمدهم وتعاليهم دون سبب وهاجموا المنافقين السفهاء الذين لا يبحثون إلا عن مصالحهم الذاتية حتى قامت انجلترا بالاعتداء على مصر عام ١٩٥٦ مع فرنسا وإسرائيل فكان الانفجار الكبير في مسرحية : «انظر وراءك في غضب» .



دانيال مور

(١٩٣٠ م   )

الشاعر الأمريكي دانيال مور كان في زيارة إلى المغرب والتقى هناك بالشيخ محمد بن الحبيب الفاسي وتعرف على الإسلام من خلاله وظل يقرأ في السيرة والفتوحات الإسلامية والحديث الشريف والقرآن الكريم والتفسير وبدأ يشعر أن روحه تتأثر ونفسه تتوق إلى هذا النور الذي غشى روحه وشفى ذاته فأعلن إسلامه في المغرب وعاد إلى أمريكا يحلم بمجتمع أمريكي أكثر إنسانية وعدلاً .

وكتب معبراً عن هذا النور في داخله ، ويقول في إحدى قصائده الإسلامية :

عند تلاوة القرآن الكريم

جهرًا في صلاة الصبح

أدرك أن هذا الحلق لم يخلق

إلا لقراءة القرآن

اسمع رجفة في القلب

مندفعًا كجوف النبع

أسمع أحلك الأعماق من روحي

تنشر ملامح هذه الألحان

فأعرف كيف تصبغ

حول نشيدها الإنسان

كمثل شبكة خلقت من الإحساس

فزادك وجهها حسنًا

برجع تلاوة السور

كم أحكمت يا رباه

خلق جوارح الانسان للقرآن

فصار غشاؤه الحجرة وكم يحلو

لهذا الثغر بعد الفجر

الإنشاد والترتيل

بدأ دانيـال مور يـوجه انتـقـاداته للنظام الأمـريكي السائد وأصـبح شـاعر الإسـلام في اللغـة الإنجليزية وتعلم اللغة العربية ليقرأ كتب التاريخ الإسلامي في لـغتها الحقيقية ولكنه ظل بعيدًا عن ذاته باللغة الإنجليـزية . وأصدر ديوانًا من الشـعر يحمل قصـائد أغلبها عن شـهر رمضـان وتجربة الصوم وإرتفاع روح الإنسان فوق مستوى الواقع المؤلم الذي تعايشه البشرية كل .

يوم وفي الحقيقة لم يكن دانيال مور راضيًا عن المجتمع الذي نعيش فيه قبل إسلامه وقد عشق العـزلة والتـأمل في الليل ، ولـم يكن يدري أين الخـلاص من هذه الأزمـات التي تعـصف بروحـه ولذلك عندما سافر إلى المغرب وانفتح بعقله عن الإسلام وحواسه ومشاعره أيقن أن هذا هو باب الخلاص وسكينة الروح واستقرارها الأخير .

يقول عن الصوم في شهر رمضان في قصائده :

وأخيرًا فرض الله الصوم

واستحضر الروح

وسألها أن تسمو فارتجفت وسمت

وسألها أن تنأى فارتجفت ونأت

وسألها أن تدنو فارتجفت ودنت

بالصوم انكسرت شوكتها

صارت أمة الله

وتحولت قصائددانيـال مور إلى لغة شفافة تنشر معاني القرآن الكريم وتتجاوز مسـتويات الحياة وماديتهـا . ومضى الشاعر لا يكترث لهـذا العالم الغارق في البؤس والشـقاء الأزلي .. إن وحدة الوجـود وانصهـار الإنسان في تجـربة مثـالية شـفافـة لا يصح لها إلا الدخـول في الإسلام ، لـقد توحدت الروح بالنور القادم من السماء .

ويقول أيضًا من خلال تأملاته :

إلى الحضرة يدنو العاشق الولهان

في حذر

ويسبقه إذا ما لاحت الأنوار

ويشعشع وجهه المهزول في خطف من الألق

ومن يقرأ قصائده قبل اسلامـه يدرك أنه كان يغني في شجن داخل صحراء النفس الخربة ومن عناوين قصائده تلمح ذلك : القلب المحترق ، مـرثاة لموتى الحرب ، جسد النور الأسود .. في هذه القصائد نعي الحضارة الأوروبية الحديثة وقدم رثاءه إلى الاكتشافات العلمية التي تفخر بها أمريكا ولكنها دمرت الإنسان.وحولته إلى آلة ومسخ جديد .

وبعد إسلامه أصدر هذه الأعمال الشعرية :

الصحراء باب النجاة ، ورد ومولد ، حوليات الآخرة ، صاح كما لم أصح من قبل .



ألبيــر كامــو

(١٩٣١ - ١٩٦٠ م)

الحيـاة لاتستحق هذا الـعناء ،تريث يا صديقى واهدأ ، ليس هناك مـا هو غال ، أو مثمر ، أو جدير بالاهتـمام ، نحن نطفـوا على موجة القـدر ، وتسحقنا المحن فـلا نملك أن نردها ، وتذبحنا الكوارث فنهوى من عل ممزقين .

هكذا يصـيح أحد روائى الغرب الحـديث وهو الأديب البيـر كامـو الذى ذاق مرارة الخـضوع للمستـعمر وعاش النضـال السياسى ليحقق الحـرية لبلاده فرنسا . ولأنه ولد فى الجـزائر فجاءت إحدى رواياته وهى (الطاعون) لتسرب فكرة القدرية والعـبثية فى أذهان القراء ، فالمرء فى عالم لامعقول ؛ لا جدوى من النضال أو الكفاح أو حتى الصراع مع الحياة . إستسلم أيها الانسان . فلا فائدة .

ولذلك تقـرأ فى رواية الـطاعـون عن الجـرذان التى هاجـمت المدينة وانـضم الناس فى عـمل كفاحى مشترك لطردها عادوا بعد الأزمة الى عاداتهم وخمولهم .

كذلك البطل فى رواية (الغريـب) تموت أمه ويذهـب للقاء حبيبـته وفجأة يرى نفسـه متورطا فى جـريمة قتل ، فـلا يهـتم حتى يواجـه لحظة الإعـدام وتتكشف له الحـياة بأنهـا ترتبط بالنضـال الانسانى . وفكرة القـدرية التى يعبر عنهـا البيركامـو أقرتها من قبـل المذاهب اليونانية وعبـر عنها الأدب اليونانى فى أعمال سوفوكليس (أوديب ملكا) وغـيرها ، ويظهر الانسان خلالها بلا ارادة أو قوة فكل شىء قد تقرر فى الغيب ولا يملك الانسان الحرية الكاملة لرفض واقعه .

ولذلك يقول البيـر كامو : لم نتعلم الحرية من الكتب ولكن من البـؤس ، ورغم ذلك نتعجب من هذا الأديب كـيف لم يدافـع عن حـرية الشـعب الجـزائرى وعـاش فى وهران يبث نوعـا من الآداب التى تقتل عزة النفس وتـبعث اليأس والتشاؤم فى الأذهان .. ومن الغـريب أيضا أن موته جاء فى حـادث سيـارة وكأن القدر كـان يترصـده ليسجل نهـاية مفـجعة لأديب ظل يـدعونا الى

التخلى عن مواقفنا لأننا بلا قيمة أو شأن ...

وإذا كان كامو يعتقد بأن الموت قد كُتب على الانسان وأن عليه أن يقاوم وجوده وبأسه فقد عبر عن ذلك فى كتابه (أسطورة سيزيف) تلك الاسطورة اليونانية التى تصور شقاء الانسان وان حياته مجرد عبث فى عبث ولا جدوى منها فقد حكمت الآلهة على سيزيف أن يرفع الصخرة إلى قمة الجبل ثم تعود الصخرة وتنزلق من القمة إلى القاع ويقوم سيزيف مرة أخرى بمحاولة رفع الصخرة إلى القمة ، وفى كتابه سيزيف هذا كتب البير كامو عدة مقالات عن قضية شعب الجزائر ووجه الإدانة لفرنسا وشعبها ولكن لم يكن دوره فعالا قويا فقد كان مجرد كلام فى كلام ويقول :

إن نفوس الفرنسيين مليئة بالحقد وهو حقد أسود أرفض أن أشارك فيه .. لقد كلفتنا هذه القضية كثيرا ومازالت تكلفنا.

ورغم هذه الكلمات لم يتخذ البير كامو موقفا مشهودا أو ثورى ضد احتلال فرنسا للجزائر، هذا الوطن الذى ولد فيه وعاش طفولته وعشق شوارعة وبيئته الجميلة.

وظل كامو مهتما بالانسان وحده وقدرته على التصدى لهذا الشقاء الكبيير الذى اسمه : الحياة . وكتب فى قصصه ومسرحياته ومقالاته يدعو إلى مقاومة الظلم والعبث وهذه السخرية التى تحيط بنا فى حياة ترغمنا على الانتحار والضياع والموت دون ثمن .

وفى مسرحياته (العادلون) عبر عن دعوته إلى مقارمة جنون الحياة وفى رأيه أن هذا الجنون يتمثل فى إدعاء الحرية بينما فى الأرض هناك من يعانى الذل والاستعباد من اجل الرزق . ان الحرية تصبح لا معنى لها إذا كانت شعارا يطلق فى الهواء .

ودعا كامو إلى التمرد على هذا الواقع الزائف والبحث عن الحرية الحقيقية التى تمثل القوة الحياتية المناضلة فى وجه السقوط والعنف والدمار والهزيمة ، وعلى الانسان المعاصر ان يبصر ما حوله بجدية ووعى وفكر متجدد يرفض كل ما يقف ضد كرامته وشرفه ، وقد نال البيركامو جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٧ لتلك الآراء والمبادىء الجريئة التى اطلقها من اجل تحرير الانسان من الخوف ويقول البير كامو:

إن اكبر معركة يجب أن يخوضها الانسان هى معركة مع نفسه.. معركة يتتصر فيها حب العدالة على شهوة الحقد وتستسلم فيها الكراهية والعنف والتعصب الأعمى لكل ما هو نبيل فى الحياة .



يفغيني يفتوشينكو
(١٩٣٣- م)

في بداية الخمسينات صدحت قصائد يفتوشينكو بنغمة تختال في تنهداتها نبضات ماياكوفسكي .. حيث الانتماء الوطني إلى أرض روسيا والحماسة الثورية والدفاع عن قيم الحب و العدل ورفض الحروب والدمار الذي سحق المزارع والحقول واغتال الطيور في السماء .

كانت غنائيات يفتوشينكو تنتمي إلى قصيدة النضال والحرية والثورة على الطغيان والظلم والعبودية وهذا التيار قد أبدع فيه معظم شعراء روسيا الذين واكبوا الثورة وعاصروا صور الإقطاع وشاهدوا كيف يعاني الإنسان الروسي ويسقط تحت استغلال السادة الكبار .

يفتوشينكو شاعر يسكن وجدان بلاده ويمضي حاملاً رسالة للنور والريح والضياء الجديد فوق العالم . ويقول :

أحببت روسيا

بكل جوارحي بدمي

أحببت أنهارها الفوارة في الربيع

والقابعة تحت الجليد في الشتاء

أحببت أنفاس منازلها الخشبية

وعطر صنوبرها

أحببت بوشكين ورازين

والعجائز والشيوخ

والشاعر يفتوشينكو يقف رافعًا رايات الرفض والإحتجاج علي هذه الحروب التي دمرت بلاده

وأحالت الثلوج البيضاء إلى غبار ودم يسيل من قلب ابناء روسيا . إن الشاعر يؤمن بأن المجد الحقيقي للإنسان أن يبدع في وطنه ويحقق قيمًا جمالية وإنسانية للبشر وليس السيطرة والاستعمار ولذلك فهذا الشعب الروسي يرفض الحروب ويؤمن بالسلام والحب :

اسألوا الصمت

المخيم على المروج والحقول

أسألوا اشجار البتولا والحور

هل يريد الروس الحروب

اسألوا الجنود

الراقدين في المدافن تحت البتولا

فيجيبكم ابناؤهم عن السؤال

هل يريد الروس الحروب ؟

ويكشف الشاعر يفتوشينكو عن مصير الإنسان وأحواله في الكون عارضا فلسفة قائمة على الغربة والاستلاب والبحث عن مصير جديد يموت فيه البشر بشرف وكرامة .

ويرى الحياة لعبة يفرضها الكبار على الفقراء المسحوقين ولا أحدقادر على إدراك دوره الحقيقي وتفسيره ، فمانحن إلا كائنات هائمة بخطاياها ، وفضائلها ولكنها عاجزة عن التواصل الحميم مع الأخرين وتلك مسألةأخرى يطرحها الشاعر في نغم حزين :

تلك هي أصول اللعبة التي لا ترحم أحد

الذين يموتون ليسوا مجرد بشر

بل عوالمكاملة

نحن نتذكر الناس بخطاياهم وأفعالهم

ولكن مالذي نعرفه عنهم في حقيقة الأمر

ويشعر الشاعر بالعجز عن الخلاصمن أزمته وما يعانيه من وحدة واغتراب وتألمه لوطنه الكبير الغارق في الحروب والفواجع وتفشي الكآبة والانكسار في روح الشعب ، ويقرر :

أنا عاجز عن بلوغ الخلود

ولكن أملي كله

في بقاء روسيا

ففيها بقائي

وتتفـاقم مشاعـرالعشق وروابط الانتـماء العمـيق لوطنه ويتمنى أن يضـحي ليحـيا هذ الوطن والأجيال القادمة :

لا يهمني أن تنسى روسيا

اسمي بعد حين

فالذي أريده

أن تبقى روسيا أبد الآبدين

هكذا يغني يفتوشينكو لحرية بلاده وخلاصها من النزعات الدموية ويحلم بعصر السلام الذي يخلق للإنسان مناخًا يمكنه أن يبدع ويتقدم ويواكب الحضارات العالمية .



شيريل أنور

(١٩٤٩ - م)

شيريل أنور رائد الشعر الحديث في أندونيسيا حيث بث في صوته صرخات المقاومة والنضال ضد الاحتلال الهولندي لبلاده ، وصدحت أشعاره في الآفاق تغني للمناضلين والثوار الأحرار والشرفاء المثقفين الذين أعلنوا الرفض للطغاة وقرروا أن يضيئوا المصابيح في ليل الظلم الدامس .

ويعبر الشاعر شيريل أنور عن موقفه النضالي في صور شعرية تمزج بين الغناء في عشق الوطن وتحدى الموت والضياع والإصرار على زرع رايات الحرية في أرضه بلاده ويقول :

أما دنت ساعتي

فلن ابتغي أحدًا يذرف الدمع علي

حتى ولا أنت

فما انتفاعي بهذا الألم

أنا الثوري الخارج على القانون

الذي أبعد القطيع عن بلاده

أولول فألهب الأفق

بلون أمابي وغضبتي

وتوغل الشاعر في وجدان شعبه وعاصر المحن والأزمات التي تمر بها بلاده حتى حققت الاستقلال والحرية ، ومن سماته الفنية هذا التعاطف والحنين مع آلام الشعب والانسياب الرقيق في مشاعر الإنسان الأندونيسي فإذا كان أحد كبار الثوار المناضلين في غضبة العواصف وقصف الرعود فإنه من ناحية أخرى يتدفق بالرقة والأحاسيس الرومانسية الدافئة ، يقول :

ثمة من مكان ما في هذا المساء

فتاة تمزج

بأغنية حزينة من بلاد قصية

ثمة ملامح تفرد في زرقة اليم

ثمة أناس صامدون

لنسيان أغلى ما تتوق إليه نفوسهم

وهناك سمة أخرى في أدب شيريل زنورهي تعمقه في التراث الشعبي لبلاده ، تلك الأغاني التي يرددها الصيادون والأطفال والنساء حول الجزر وعلى ضفاف البحيرات واستطاع أن يستثمر هذا التراث الشعبي في بناء قصائده ، ولذلك يصور قلب فتاة حزين في لحظة انتظارلـلغد حيث يعود الملاح الغائب عنها وفي الحقيقة أن الملاح قد أطعمته الريح للبحر ولن يعود .

ويقول الشاعر :

الا فلتكن الأغنيات إذن جميلة

أترى ستعي ذلك أخيتي

التي تذرف الدمع الذي يمزق كبدي

أترى ستعي أن الروح التي ما فتئت هاربة

ليست إلا أشد وحدة

أترى ستعي أن النهار في أقاصي البلاد

لن يطلع أبدًا

وقرأ الشاعر الأندونيسي شيريل زنور في الآداب الفرنسية والألمانية والهولندية ودرس الأدب العربي وتأثر ببعض أعلامه في العصورالمختلفة ولذلك يقول :

ـ يظل الأدب العربي روحًا تسكنني وتحفزني دائمًا إلى الحلم الآتي .

وقد سكنه حقا بعض ملامح الحزن الذي ارتبط بالرحيل والفراق وتحولات الظروف واستشهاد ابناء الوطن وغياب الحبيبة وحلمه أن يرى بلاده تواكب الدول المتقدمة وأن تحقق لها

مكانة في العالم ، ونغمة الحزن نشعر بها من خلال هذه القصائد الفياضة بالأسى والألم.

ليس ثمة روح تطوف هذا المساء

ملتمسة حبّا بينالبيوت العتيقة

لبس ثمة تلك الحكايا التي تسعى خلف

صواري السفن والحبال

ليس ثمة سفن شراعية وزوارق

مذعنة لريح رخاء

تخادعها بموجة منبعثة من عرض اليم

وقد ولد الشاعر شيريل أنور في جزيرة سومطرا وتأثر به ابناء شعبه وسكنت قصائده في مشاعرهم ترتعش لها الأفئدة وتخفق الأرواح .

المراجع والمصادر

١ – صرخات في وجه العصر . جلال العشرى ، دار المعارف .

٢ – كتاب الشعر الفرنسي . بول شاوول . دار الفارابي ، بيروت .

٣ – ادباء القرن العشرين . د. نبيل راغب .. الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨ .

٤ – مختارات من الشعر الإنجليزي . حكمت تلحون ، دار الحداثة ١٩٨٥ .

٥ – الشعر العالمي . سليم مكرزل . مؤسسة عز الدين للنشر ١٩٨١ ، بيروت .

٦ – المعجم الأدبي . صبور عبد النور .. دار العلم للملايين ١٩٨٤ ..

٧ – عريف بالرواية الأوربية . د. سيد حامد النساج . الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ .

٨ – شموع لا تنطفيء . منير تصيف . دار العلوم ، الكويت .

٩ – مختارات من الشعر السوڤيتي . عبد الرحمن الخميسي ١٩٨٥ .

١٠ – من الشعر اليوناني الحديث . إلياس معوض . طلاس للنشر ١٩٨٤ .

١١ – في رياض الشعر العالمي . سعد صائب . دار الرائد العربي ١٩٨٥ .

١٢ – مختارات من الشعر الأسباني المعاصر . د. محمود صبح . العراق .

١٣ – مختارات من الأدب الأفريقي . د. على شلش . العراق ١٩٨٦ .

١٤ – قمم في الأدب العالمي . د. بديع حقي ،سوريا ١٩٧٣ .

١٥ – النظريات الجمالية د. محمد شفيق شتا . بيروت ١٩٨٥ .

١٦ – قصائد من الشعر التركي المعاصر . عبد اللطيف بندر . العراق .

١٧ – رواد الفن التشكيلي . دار الهلال . ١٩٨٥ .

١٨ – الموسوعة الإنجليزية .

١٩ – الموسوعة الأمريكية .

٢٠ – الكوميديا والتراجيديا . عالم المعرفة .(١٨) ترجمة د. على أحمد محمود ود. شوقى السمرى ،

٢١ – قضايا افريقية .. عالم المعرفة (٣٤) د. محمد عبد الغنى سعودى ١٩٨٠ .

٢٢ – الرواية الروسية في القرن ١٩ . د.. مكارم الغمرى ١٩٨١ .

٢٣ – الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف حسين ١٩٨٤ ، عالم المعرفة .

٢٤ – الأدب اليوغسلافي المعاصر . د. جمال سيد محمد ١٩٨٤ ،عالم المعرفة .

٢٥ – الأدب الألماني في نصف قرن . د. عبد الرحمن بدوى ١٩٩٤ عالم المعرفة .

٢٦ – الأدب الأفريقي د .على ، شلش ١٩٩٣ .

٢٧ – ادب امريكا اللاتينية . سيزار فرناندث مورينو ١٩٧٨ .

٢٨ – الأدب في البرازيل ، د. شاكر مصطفى ١٩٨٦ .

٢٩ – دستويفكي . حسن محمود . دار المعارف (٥) .

٣٠ – الشاعر الرجيم بودلير ، عبد الرحمن صدقى . دار المعارف (٧) .

٣١ – بايرون ، امينة السعيد . دار المعارف (١٥) .

٣٢ – دراسات في الآداب الاجنبية ، د. عيسى الناعورى . دار المعارف (٢٤) .

الفهرس

صدر للمؤلف

- الصعاليك ينفجرون بالغناء .
- العصفور والسنبلة .
- الغربة والإبداع .
- عشاق الحزن الجميل .
- سيد قطب (سيرة ذاتية) .
- أعلام الشعر فى الكويت .
- العدوانى فى عيون معاصريه . .
- العدوانى وثائق وصور (مشترك مع د. دلال الزين) .

(صدرت كتب العدوانى عن مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعرى)

- مواقف أدبية فى الحب والجمال والحرية .
- شخصيات أدبية .
- أعلام فى الأدب العالمى .
- الصوت الهامس (نصوص نثرية) .

تحت الطبع :

- الغاضبون فى الأدب .
- مواقف من حياتهم
- السمكة الذهبية (قصص علمية للأطفال) .
- دراسات أدبية .

قائمة الإصدارات*

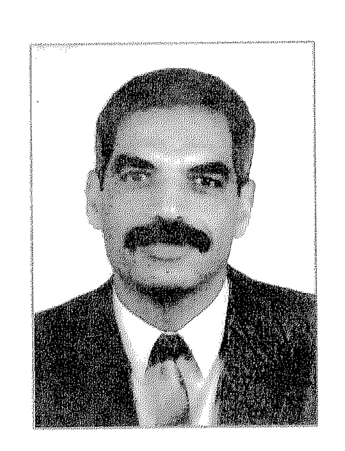
العنوان	المؤلف
موسوعة تاريخ حضارات العالم	سميث . ترجمة : زينات الصباغ
أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث	صلاح زكي
تاريخ العلم	د. عبد الحكيم بدران
العلوم للجماهير	باربارا كاستيل . ترجمة د. عبد الحكيم بدران
خيانة المثقفين	د. عبد الحكيم بدران
صراع الحضارات (إثبات الأنا ونفي الآخر)	شعيب عبد الفتاح
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
حقيقة الغرب	د. مصطفى عبد الغنى
صورة العرب في الغرب	د. عزة على عزت
خفايا المستقبل إلى أين تمضي البشرية وأين موقعنا	محمد الحديدى
المياه العربية بين خطر العجز ومخاطر التبعية	عبد الله العقالي
العرب وإسرائيل .. ميزان القوى ومستقبل المواجهة	د. محمد عبد الشفيع عيسى
السلام الإسرائيلي (قراءة فى المشروعات الاسرائيلية)	حسين معلوم
السلام المتاك	محمد خليفة
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
السوق الشرق أوسطية (من هرتزل إلى باراك)	إكرام عبد الرحيم
البديل الإسرائيلي للعروبة	سيد زهران
مشروع للانتحار القومي !	مصباح قطب
في جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل	شفيق أحمد على
الملف السري للسادات والتطبيع	شفيق أحمد على
مخابرات ومخدرات	شفيق أحمد على
عبادة الشيطان على ضفاف النيل	حسين عبد الواحد
الماسونية	خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
الصهيونية السياسية	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
الاستيطان الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
الإرهاب الأمريكي	خليل إبراهيم حسونة
القدس	خليل إبراهيم حسونة
حماس .. حركة المقاومة الإسلامية	خالد أبو العمرين
يهود ضد إسرائيل	ياسر حسين
حلف الضحية والجلاد	ترجمة : زينات الصباغ
التواطؤ الصهيوني النازى	بن هخت ترجمة : حمدى متولي
غزة أريحا – المأزق والخلاص	عبد القادر ياسين
غزة أريحا – التسوية المستحيلة	جورج المصرى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
أساطير التوراة	عاطف عبد الغنى
التناقض في تواريخ وأحداث التوراة	محمد قاسم
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمود	
الحرب العالمية الرابعة	ياسر حسين
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل	جمال الدين حسين
عملية السرب الأحمر	جمال الدين حسين
الاحتراق الإسرائيلي للزراعة في مصر	صلاح بديوى
احتراق الأمن الوطني المصري	عبد الخالق فاروق
أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات	يوسف هلال
الجماعات السياسية الإسلامية والمجتمع المدنى المصرى	د. أحمد حسين حسن
جماعات المصالح المصرية والسلطة السياسية	د. أحمد فارس
أزمة الانتماء في مصر	عبد الخالق فاروق
التطرف الديني ومستقبل التغيير في مصر	عبد الخالق فاروق
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس
قضية لوكيربي وأحكام القانون الدولى	د. ميلود المهذبي
أزمة لوكيربي والخروج من بيت الطاعة الأمريكى	د. السيد عوض
العلاقات الليبية – الأمريكية	د. السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة باحثين
حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان	أحمد محجوب
الإخوان والعسكر	حيدر طه
القوي الخارجية والاتجاهات الإقليمية في السودان	د. السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية في جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
الإسلام والعرش	سيد زهران
من يحمي عروش الخليج (النفط والتبعية)	د. أحمد ثابت
إعدام صحفي	سعيد حبيب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام
عبد الناصر واليمن	د. عبد العزيز المقالح
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم
عبد الناصر .. والإخوان (أسرار العلاقة الخاصة)	سليمان الحكيم
المرأة التي أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
عبد الناصر وعبد الحليم والزمن الجميل	حسن صابر
البديل الناصري (قراءة في أوراق التنظيم الناصرى)	سيد زهران
أسرار وخفايا ثوار يوليو	محمد متولى
عن الناصرية والناصريين (حوار مع د. الأتاسى)	مجدى رياض
الأقليات التاريخية في الوطن العربي	د. أحمد الصاوي
الناصرية والتاريخ	سيد حسان
الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة في النموذج الناصرى	جورج المصري
فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة	د. أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د. السيد الزيات
الناصرية والتجديد	مجدي رياض
ناصرية جمال عبد الناصر	جورج المصرى
ناصرية الناصرية الغائبة	جورج المصري
الحركة الإسلامية في مصر	صالح الورداني
الحركة الإسلامية في مصر	صالح الورداني
الكلمة والسيف	صالح الورداني
عبود الزمر حوارات ووثائق	أحمد رجب
الله واحد في الإنجيل	ترجمة : عادل حامد
المسيحية والإسلام	حسين السيد
الحكومة والسياسة في الإسلام	ترجمة : سيد حسان
الوجيز في بداية التكوين	عبد العزيز محمد ، مصطفى الخولي
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د. محمد عمارة

الإسلام والعروبة	مجدي رياض
الوطن وحقوق غير المسلمين	محمد محمود عبد الله
كيف تقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف تجود القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف تحفظ القرآن	محمد محمود عبد الله
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله
القرآن . حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله
قبس من نور الأسماء	محمد محمود عبد الله
الأحرف السبعة وأصول القراءات	محمد محمود عبد الله
صوموا تصحّوا (الصيام والصحة)	محمد محمود عبد الله
الأيام المباركة في القرآن والسنة	محمد محمود عبد الله
علمني يا أبي (حوار حول رسالة الصلاة)	حسن سليمان
حروب المشايخ	أحمد الدسوقي
أمن وحماية البيئة	خالد القاسمي / وجيه البعيني
ما هي السينما	صالح أبو سيف
قضايا المونتاج المعاصر (جزءان)	د. عفت عبد العزيز
الصوت والضوضاء	د. مصطفي عبد المطلب
المواد شبه الموصلة ودورها	د. مصطفي عبد المطلب
الأعشاب الطبية	د. موسي الخطيب
الإبر الصينية في العلاج والتخدير	د. لطفي سليمان
المساجد الأثرية في الإسلام	د. أحمد الصاوي
معالم في تاريخ حضارة آسيا الوسطى	د. أحمد الصاوي
النقود الإسلامية في مصر	د. رأفت النبراوي
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور (تراث)	د. أحمد الصاوي
رمضان .. زمان	د. أحمد الصاوي
برلنتي والمشير (القصة الحقيقية)	سيد زهران
اعترافات الأميرة جيهان	ماجدي البسيوني
الجنس والشباب الذكي	كولن ولسون ترجمة أحمد عمر شاهين
تجارة الجنس	چاري جوردون ترجمة زينات الصباغ
صناعة النجوم	سكوت أونيل ترجمة زينات الصباغ
أشهر فضائح القرن العشرين	حسن صابر
أسوأ حكام القرن العشرين	حسن صابر
نجوم في الوحل	حسن صابر
الأميرة العارية وعرش سيئ السمعة	حسن صابر
رؤساء أمريكا في الوحل	حسن صابر
أميرة علي قائمة الاغتيال	محمد رجب / حسن عبد الواحد
أمريكا الانهيار السياسي والأخلاقي	حسين عبد الواحد
بنات إبليس (نساء في مملكة الشر)	حسين عبد الواحد
حسناء البنوك ومعالي الوزير	أسامة الكرم
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقًا	أحمد عمر شاهين
الثلاثية الروائية	د. أحمد إبراهيم الفقيه
حذاء السيد المسن	أشرف العوضي
تاريخ الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
عندما تبيض الديوك	أمجد صابر

لا أحد يحبك	أماني فهمي
ألم يخلقها الله امرأة	أمين العزب
مأساة أسرة	أمين العزب
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيريس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب أطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
التوهمات	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
في لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
أنا ونورا وماعت	رفقي بدوي
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
حبيبي يا ناس	سليمان كابوه
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السمر	شوقى عبد الحميد
أيام الغربة الأخيرة	صالح سعد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
حسد في ظل	عبد النبى فرج
المور للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحد	عبده خال
صَعيدي صُح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامي	عزت الحريري
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
سراديب	عفاف السيد
إيبارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس أبوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وبر مشدود	قاسم مسعد عليوة
حجرات أنتوية	قاسم مسعد عليوة
حب وطلال	كوثر عبد الدايم
براريت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرحل	ليلى الشربينى

رجال عرفتهم	ليلى الشربيني	اذهب قبل أن أبكي	د . لطيفة صالح
الحلم	ليلى الشربيني	الغربة والعشق	مجدى رياض
النعم	ليلى الشربيني	مشاعر همجية	محسن عامر
عريس لبنت السلطان	محفوظ عبد الرحمن	غربة الصبح	محمد الفارس
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوي	وَنَس	محمد الحسيني
كوميديا الانسحاب	محمد بركة	ليالي العنقاء	محمد محسن
أشياء لا تموت	محمد صفوت	العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
الحاح	محمد عبد السلام العمري	هذه الروح لي	نادر ناشد
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمري	هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقي الدجاني
لوحة ممنوع	محمد علي سعد	الدمية والدم	أنور عبد المغيث
الخروج إلي النبع	محمد قطب	محرقة سافونا رولا	ميلاد حكيم
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين	اللعبة الأبدية .. مسرحية شعرية	محمد الفارس
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش	مكة الفرود	محمود عبدالحافظ
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش	هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الهروب مع الوطن	ممدوح القديري	تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
فوق لهيب الشموع	ممدوح القديري	حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس	حقول الرماد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
دم الأبنوس	ناجي الشكري	أثر الثقافة العربية في الأدب الأسباني	د. أحمد أبو حمد
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد	نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة	د. أحمد أبو حمد
الحضور في غياب قرط اللؤلؤ	نهلة السوسو	الوقوف علي الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
ديسمبر الدافئ	هدى جاد	عبد الله البَرَدُّوني .. حياته وشعره	د. أحمد عبد الحميد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة	قراءة المعاني في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
فرد حمام	يوسف فاخوري	ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
رويدًا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي	مغامر حتى النهاية	إدوار الخراط
قصائد حب من العراق (البياتي وآخرون)	إعداد : بثينة الناصري	مسالك الرؤى (قراءة في أعمال خيري عبد الجواد)	إدوار الخراط
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي	اللغة والشكل	أمجد ريان
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي	المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشي
تماماً إلى جوار حنة يونسكو	رشيد الغمري	ثقافة البادية	حاتم عبد الهادي
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام	المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
تصبح علي خير	سعدني السلاموني	أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي	العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
صلاة المودع	صبري السيد	أباطيل المرعوبية	سليمان الحكيم
دنيا تنادينا	طارق الزياد	مصر المرعوبية	سليمان الحكيم
تلف	ظبية خميس	البعد الغائب ، نظرات في القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
البحر المحموم العشب في كف واحدة	ظبية خميس	رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي	البواكير في القصة القصيرة	شوقي عبد الحميد
حواديت لمنتدى	عصام خميس	الثقافة الشعبية وأوهام الصفوة الرثة	د. صلاح الراوي
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادي	رحلة الكلمات	د . علي فهمي خشيم
راتب الألفة	علوان مهدي الجيلاني	بحثًا عن فرعون العربي	د . علي فهمي خشيم
إضاءة في خيمة الليل	علي فريد	أعلام في الأدب العالمي	علي عبد الفتاح
نصف حلم مقفل	عماد عبد المحسن	هيمنجواي .. حياته وأعماله الأدبية	د . غبريال وهبة
عطر النعم الأحمر	عمر غراب	زمن الرواية . صوت اللحظة الصاخبة	مجدي إبراهيم
سراب القمر	فاروق خلف	في المرجعية الاجتماعية للفكر والابداع	محمد الطيب
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف	أبو رجل مسلوخة	محمد مستجاب
أحوال الفتى الطائر	فاروق خلف	أدب الطفل العربي بين الواقع والمسلسل	ممدوح القديري
حين نمر بالبراري	فاروق خلف	مقالات في الحياة والأدب	ممدوح القديري
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوي	الرواية العربية . رسوم وقراءات	نبيل سليمان





أعلام في الأدب العالمي

أعلام فى الأدب العالمى كتابة تحليلية يطوف فيها المؤلف فى خبايا النفس البشرية وأسرار الروح كاشفاً عن أعمق الأحاسيس والمشاعر الثرية بالمواقف الإنسانية والقيم الجمالية والمثل والمعانى السامية .

شخصيات يقدمها الكاتب من خلال نبض الوجدان وبساطة التعبير وتجسيد أجمل مشاعر الحب حين تمتلك الذات وتبحر بها فى عالم من دهشة وسحر وجمال .

وقد استطاع على عبد الفتاح فى هذا الكتاب الذى يتحدث عن أكثر من ١٢٠ شخصية من الأدب العالمى أن يربط بينهم جميعاً بسمات من بحر الإنسانية الفياض . فالإنسان يبحث فى الفضاء عن صدى لقطرات دموعه .. ويجوب القفار هارباً من رهبة الزمن باحثاً عن انتماء جديد .

ومن خلال هذه الصور تشعر بذاتك وتتذوق إبداعات عالمية غيرت وجه الكون ومنحتنا رحيق الوردة فى زمن الغبار وشيدت فى أعماقنا مدائن الحب والجمال فى مواجهة وحشية الواقع وقسوته .

ولعل هؤلاء الأعلام زهور ما زالت نابتة ومزهرة فى حديقة الأدب لا تذبل أبداً .

الناشر

